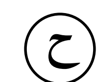
إلى
لقاء المؤمنين
وبناء الجيل المؤمن

فلسطين واللُّعْبَةُ المَاكِرة!

الدكتور
عدنان بن علي رضا بن محمد النحوي

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

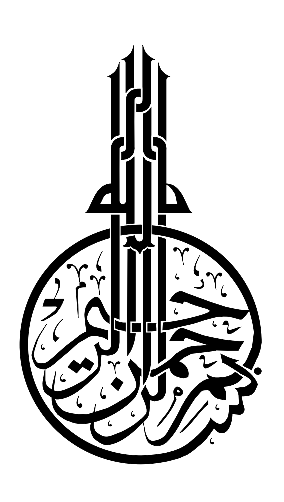
دار النحوي
للنشر والتوزيع

 دار النحوي للنشر والتوزيع ، ١٤٢٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

النحوي ، عدنان علي رضا محمد
فلسطين واللُّعْبَةُ المَاكرة!
عدنان بن علي رضا بن محمد النحوي - الرياض ١٤٢٩هـ
٢٦١ص ١٧ × ٢٤ سم
ردمك :
١- أ - العنوان
ديوي

رقم الإيداع :
ردمك :



الطبعة الأولى
١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م



دار النحوي للنشر والتوزيع
هاتف : ٤٩٢٤٣٣٩ - فاكس : ٤٩٣٤٨٤٢
موقع الانترنت : www.alnahwi.com
البريد الإلكتروني : info@alnahwi.com
ص . ب : ١٨٩١ الرياض : ١١٤٤١
المملكة العربية السعودية



www.alnahwi.com

يهـدف هذا الموقع إلى المساهمـة مع المواقع الإسـلاميـة الأخرى وجهـود العـاملين إلى بناء الجيل المؤمن وبناء الأمة المسلمة الواحدة التي تكون فيها :

كلمـة الله هـي العليـا

نـأمل التلطف بزيارة هـذا الموقع وإبداء مـــلاحظاتكم ونصائحكم على البريد الإلكتروني :

info@alnahwi.com

كما يسرنا دعوة إخوانكم وأصدقائكم لزيارة الموقع .



الإهـــــــــــداء

إلى المؤمنين المتقين ، نعرض قضية فلسطين من خلال التصور الإيماني النابع من منهاج الله ، وندرك أنّ أهلها وأصحابها ومن لهم الحقّ فيها هم الأمة المسلمة الواحدة ، وأنّ فلسطين بكل قدسيتها وجلالها وبركتها جزء من دار الإسلام ، وأمانة في عنق الأمة المسلمة ، ملكاً تحميه أمة قوية عزيزة ، هي خير أمة أُخْرِجَتْ للناس تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله لا تشرك به شيئاً أبداً .

الافـتـتـاح

قال الله تعالى :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١) ﴾ [الإسراء: ١]

قال الله تعالى :

﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (٧١) ﴾ [الأنبياء: ٧١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) ﴾ [آل عمران: ١٠٢، ١٠٣]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

(لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود . فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر . فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم ! يا عبد الله هذا يهودي خلفي ، فتعال فاقتله . إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود) [رواه مسلم : ٢٢٣٩]

المسجد الأقصى!
فيا لحنينه وأنينه وَجراحه وإِسارِ

وَرَجَعْتُ أَبْحَثُ في الدُّروب أَشُقُّهَا ... شَقّاً وأَدفعُ خُطْوَتي وبدَاري
فَلمحتُ آيةَ سَاحِها وعُصَارةَ ... من شَوقها فَهرعْتُ في إصْرارِ
جُمعَ الحَنينُ فكانَ قُبَّةَ صَخْرَةَ ... وطُيُوفَ إِسْراء وطيبَ مَزَارِ
ورَفيف أَجْنحة الحَمامِ وخَفْقَةً ... من أَكْبُدٍ حَرَّى ومنْ زُوَّارِ
ودويَّ آيَات ورَهْبَةَ مَوْكب ... منْ سُجَّدٍ خَشَعَتْ ومنْ أَنْوَارِ
وجَلالَ تكبيرٍ وعِزَّةَ أُمَّةٍ ... قَنَتَتْ ووَثْبَةَ فارسٍ مغْوارِ
فألمُّ أشْواقي هُنَاكَ بِدَمْعَةٍ ... وتَضَرُّعٍ في خُفْيَةٍ وَجِهَارِ

* * * * *

يَاقُبَّةَ الأقْصى طَلَعْت على المدَى ... أُفُقاً يُظَلِّلُ لَهْفَتي وأَواري
فَملأْت آفَاقَ الحَيَاة بلالَةً ... عنْدَ الهَجير وعندَ كُلِّ عطَارِ
يَاساحَةَ الأقصَى ويا لجلاله ... سُدَّتْ إليك مَسَالكٌ وبَرَاري
أَأَمُرُّ في سَاحَاته وأَشمُّ منْ ... عَبَقِ الجنَان به ومنْ أَزْهَارِ
أُصْغي إلى الزَّيتون بيْنَ ظلاله ... قصَصَ الجُدود ونسْمَةُ الأَخْبَارِ
وعلى أريج البُرْتقَال نَدَاوَةٌ ... نَشَرتْ هوَ الآصَالِ والأسْحَارِ
وشَذاً منَ الليمُون بَيْنَ أَريجه ... دفْقُ المَلاحمِ أو دَويٌّ نفَارِ
المسجدُ الأَقْصى ! فَيَا لحَنينه ... وأنينه وَجِراحِه وإِسارِ

* * * * *

كلمـات مضـيئـة

للدكتور عدنان علي رضا النحوي

بنــاء الإنســان

إن بناء عـمارة مـهـما عظمت يسـهل إذا قيس ببناء الإنسـان على قواعـد الإيمان والتوحيد وعلى قواعد المنهاج الرباني . فتلك مهمة يقوم بها المهندسون والفنيون ، أما بنـــاء الإنســـان وإعداده وتدريبه فـهي مـهـمـة بعث الله من أجلهـا الرسل والأنبيـاء الذين خُتِموْا بمحمد ¤ ، ثم جعلها مهمة الأمـة المسلمة الواحدة الممتدة مع الزمن ، على أَسَاس من المنهاج الربّاني – قرآنا وسنة ولغة عربيّة –.

* * *

حـقُّ التعـاون
بين المؤمنين ووجوبه

يجب أن نتعاون فيما أمر الله أن نتعاون فيه ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما أذن الله أن نختلف فيه .

* * *

خافوا على أنفسكم

أيهـا النـاس ! أيهـا المسلمـون ! أيهـا الدعـاة ! كـمـا تظـهـرون الخـوف على الإسـلام ، مع أنَّ للإسلام ربّاً سينصره بجنود ينصرون الله ربهم ويوفـون بعهدهم معـه ، فخافوا على أنفسكم حين تقفون بين يدي الله، يسألكم عما فعلتم في الحياة الدنيا ، وهل نـصرتم الله كـمـا أمـركـم وتجنْبـتُم الفتن التي نهـاكم عنهـا ، والصراع والشقاق وتنافس الدنيا ؟ ! خافوا على أنفسكم كما تخافون على الإسلام .

* * *

إِذا غاب النهج والتخطيط

إذا غـاب النهج والتـخطيط على أسـاس الإيمان والتـوحيـد والمنهـاج الرباني في واقع أيّ أمّة ، فلا يبقى لديها إلا الشعارات تضج بها ولا تجد لهـا رصيداً في الواقع إلا مرارة الـهزائم وتناقض الجـهود واضطراب الخطا ، ثم الشـقاق والصـراع وتنافس الدنيا في الميدان ، ثم الخدر يسري في العروق ، ثم الشلل ، ثم الاستسلام !

❋ ❋ ❋

فـريقـــان
فريق له نهجه وخطته وفريق لانهج له ولا خطة

إذا التقى فريقان : فريق له نهجه وخطته ، فعرف بذلك دربه ومراحله وأهدافه ، فنهض وصدق عزمه لها ، وفريق لا نهج له ولا خطة إلا الشعارات يُدَوِّي بها ، فإن الفـريق الأول بنهـجه وتخطيطه يستطيع أن يحوِّل جـهـود الفريق الثاني لصالحـه ، فيجني النصر ، ويجني الآخر الهزيمة والخسران والحسرة .

❋ ❋ ❋

الأهداف الربانية وتحقيقها

إن الأهداف الربانيـة لا يمكن تحقـيقـهـا إلا بجنود ربانيين ووسـائل وأسـاليب ربانية . وهذه وتلك تحتاج إلى بناء وإعداد رباني .

❋ ❋ ❋

العــاجــز

من عَجَزَ عن إصلاح نفسه فهو أعـجز عن إصلاح غيره أو إصلاح المجتمع . كم من الذين ينادون بالإصلاح والتغيير هم أحوج الناس إلى الإصلاح .

❋ ❋ ❋

تَقبُّل النصيحـة

من سدَّ أذنيه عن النصيحة فَقَدَ فرصة عظيمة لمعرفة أخطائه ، وفرصة أعظم لمعرفة سبيل الإصلاح والعلاج ، وتعرَّض أكثر للمتاهة والضلال .

* * *

اتباع الحقِّ لا الهـوى

إن الهوى لا يُصْلِحُ بل يفسد ويدمِّر ، وإن اتّباع الحق هو سبيل الإصلاح للفرد والأسرة والجماعة والأمة ، وكذلك للبشرية كلها .

* * *

من صدق الله نجـا

بين الحق والهوى باب ابتلاء وتمحيص . من صدق الله نجا ودخل إلى الحق ، ومن ضلَّ هلك ودخل إلى الهوى .

* * *

تكامل الإسلام
وتكامل الدعوة إليه

ليس من الحكمة أن نكتفي بإعلان مبادئ الرحمة والعفو والتسامح والسلام في الإسلام ، حين يكون مثل هذا الإعلان مظهراً من مظاهر الضعف والهوان والاستسلام أو يوحي به . ولكن الحكمة والواجب أن نُظْهِرَ تكامل الإسلام من عفو وتسامح ، ومن عقوبة وحزم ، ومن سلام وحرب ، ومن حكمة وتشريع ، ومن إيمان وتوحيد .

* * *

أيـن تبتـدىء المعركـة

إن المعركـة مع أعداء الله تبتدئ أولاً في نفسك أيها الداعية المسلم ، فإن انتصرت فيها ، فيمكن الانتقال إلى جولة بعد جولة ! وإن هزمت بها فستُهزَم في سائر المعارك ! وتظل هذه المعركة ممتدَّة مع المسلم حياته كلها حتى يلقى الله .

* * *

الحَيْدُ عن الصراط المستقيم

إنَّ الله سبحانه وتعالى جعل صراطه الحقَّ مستقيماً، حتى لا يَضلَّ عنه أحد. وجعله سبيلاً واحداً حتى لا يُخْتَلَفَ عليه، وجعله صراطاً مستقيماً ليَجمع المؤمنين أُمَّةً واحدة وصفّاً كالبنيان المرصوص.فلماذا تاه المسلمون عنه فتَفَرَّقوا، واختلفوا عليه فتَمزَّقوا، ثمَّ ضَعُفُوا وهانوا ؟!

* * *

حتى يفيقوا أو يهلكوا

وكلَّما توانى المؤمنون عن الوفاء بالعهد والتزام الحقِّ والدعوة الصافية في صفٍّ واحد كالبنيان المرصوص ، أنزل الله بهم البلاء والعقاب والعذاب ، حتى يستيقظوا أو يهلكوا .

* * *

أخـوة الإيمـان
عاطفة ومسؤوليات

إن أُخوّة الإيمان ليست عاطفة فحسب ، ولكنَّها مسؤوليات وواجبات ، وحقوق والتزام ، لاتسقط حتى لو تغيَّرت العاطفة . إنَّها رابطة المؤمنين في الأرض جميعاً ، رابطة يجب الوفاء بها . إنها رابطة ربَّانيّة أمر الله بها المؤمنين جميعاً ، حتى يكون الولاء الأوَّل لله ، والعهد الأوَّل مع الله ، والحب الأكبر لله ورسوله . وبغير ذلك لاتتحققُ أخوة الإيمان .

* * *

لو حقق المسلمون
أخـوّة الإيمان فـي واقعهـم

لو أنَّ المسلمين حققوا في واقعهم " **أُخوة الإيمان** " كما أمر بها الله سبحانه وتعالى ورسوله محمد ¤ لأنزل الله نصره عليهم ولسادوا العالم ! ولأعزّ الله الجميع !

* * *

أخوة الإيمان
والولاء الأول لله
والعهد الأول مع الله وحده
والحبّ الأكبر لله ولرسوله.

لاتصدق أخوّة الإيمان في ميدان الممارسة والتطبيق إلاّ إذا كان الولاء الأول لله وحده دون شرك ، والعهد الأول مع الله وحده ، والحبُّ الأكبر لله ولرسوله ، ثمَّ يَنبع كلُّ ولاء وعهد وحبٍّ في الحياة الدنيا من الولاء الأوّل والعهد الأول والحبّ الأكبر .

* * *

كلمــة المـؤمــن
صـادقــة طيبــة

كلمة المؤمن طيّبة ، قويّة ، واعية ، لاتنحرف عن الصراط المستقيم . إنها بركةٌ للناس ، ونورٌ في الحياة ، وسلاح في الميدان . وهي أساس حرّيّة الرأي ، وأساس النصيحة ، وقاعدة الشورى .

* * *

الخلل فينا والأخطاء منَّا

لايختلف مؤمنان في أنّ كلّ مايجري في الكون والحياة ، من أمر صغير أو كبير ، هو بقضاء الله وقدره : قضاءً نافذاً ، وقدراً غالباً ، وحكمةً بالغةً ، وحقاً لا ظلم معه أبداً . ومن هنا وجب علينا شرعاً أن ننظر في أنفسنا ، في واقعنا ، فالخلل فينا ، والأخطاء منا ، والتقصير جلي كبير ! .

* * *

أيهـا المسلـم !
إنَّك مسؤول ومحاسَب

إنك مسؤول أيها المسلم ، وإنك محاسَب ، ولايغرَّنَّك أن تقول لنفسك إنَّ المسؤولين هم العلماء والدعاة وحدهم . نعم إنهم مسؤولون ومحاسَبون وإنك مسؤول ومحاسَب . ولاتنفع الندامة والحسرة يوم القيامة ! فانهض إلى مسؤوليَّتك أيها المسلم .

* * *

منهاج الله ودراسته
وتدبّره وممارسته في واقع الحياة

أيها المسلم ! لاتكن كالميت بهجرك دراسة منهاج الله وتدبّره وممارسته في واقع الحياة ، فاطلب الحياة والنور ، والهداية والفلاح بذلك ، والقاعدة لذلك :

* أَن تكون دراسة منهاج الله – قرآناً وسنة ولغة عربية – منهجيّة يوميًّا.

* وأن تكون صحبة عمر وحياة لاتتوقف أبداً ، حتى يلقى المسلم ربّه !

* أن يتدرَّب المسلم على رد الواقع بأحداثه وأفكاره إِلى منهاج الله ردّاً أميناً ، ليصاحب ذلك دراسة منهاج الله .

* * *

التَزِمْ النَّهج الإيماني للتفكير

أخي الكريم ! أيها المسلم ! إن الله سبحانه وتعالى خلقنا على فطرة سليمة ، ووهبنا القدرة على التفكير ، فأول ما نطلبه ونوصي به هو أن نُفكّر ، أن نفكر التفكير الإيماني ، لأن الله سبحانه وتعالى أمرنا بالتفكير على نهجٍ إيمانيٍّ ونور وهداية بآيات كثيرة .

* * *

الفقه في الإسلام

الفقه في الإسلام يقوم على ركنين : المنهاج الرباني - قرآنا وسنة ولغة عربيّة - ، والواقع . فلا يوجد فقه خاص يسمى " **فقه الواقع** " ، فالفقه كله قائم على الواقع والمنهاج الرباني .

* * *

الفقه وامتداده وحدوده

كل مسلم مكلّف أن يجتهد فيما هو ضمن مسؤوليته الشرعية وحدود اختصاصه ووسعه وعلمه ، مما سيحاسَب هو عليه يوم القيامة ، دون أن تتعطل الاستعانة بإمكانات المجتمع ، أو الشورى ، على أن يهيئ المسلم نفسه للمسؤوليات المكلَّف بها ، ويتزوّد لها بالزاد الحق .

* * *

المسؤوليّة والفقه

لافقه دون وفاء بالمسؤولية ، ولا وفاء بالمسؤوليّة دون فقه .

* * *

العصبيات الجاهلية
والدعوة الإسلامية

إن العصبيات الجاهلية التي حرّمها الإسلام عقبة كبيرة أمام قيام الدعوة الإسلامية الواحدة في الأرض . وإن هذه العصبيات الجاهلية ثمرةُ تمكُّن الأَهواء والمصالح المادية الدنيوية في النفوس ، بعيداً عن تصور الدار الآخرة . ومَن أخطر أشكال هذه العصبيات الجاهلية ما يلي :

– عصبية الإنسان لنفسه وهواه على غير حق ودعماً للباطل !

– العصبية العائلية على غير حق ودعماً للباطل !

– العصبية الحزبيّة التي يفسد فيها الولاء وتتمزّق بها الأمة .

– العصبية الوطنية والإقليمية والقومية على غير حق ودعماً للباطل .

* * *

من أسس
الإيمان والتوحيد

إن من أسس الإيمان والتوحيد التبرُّؤ من العصبيات الجاهلية كلها ، ليكون الولاء الأول لله وحده ، والعهد الأول مع الله وحده ، والحبُّ الأكبر هو لله ورسوله ، لينبع كل ولاء وموالاة في الدنيا من الولاء الأول لله ، وكل عهد في الدنيا من العهد الأول مع الله ، وكل حبّ في الدنيا من الحبّ الأكبر لله ورسوله . فتقوم بذلك أخوة الإيمان ، وتقوم الأمة المسلمة الواحدة ، وتقوم الدعوة الإسلامية الواحدة في الأرض .

* * *

الدعوة الإسلامية واحدة

إن الله سبحانه وتعالى واحد ، وإن الدين عند الله واحد هو الإسلام ، وإن

أمّة الإسلام واحدة ، فيجب أن تكون الدعوة الإسلامية في الأرض واحدة على نهج واحد ومنهج رئيس واحد .

* * *

منهـج
الدعوة الإسلامية الواحدة ونهجها

يجب أن يكون للدعوة الإسلامية الواحدة في الأرض منهج تفصيلي تطبيقي واحد ، ونهج على الصراط المستقيم واحد . ويجب أن ينبع المنهج والنهج من : أسس الإيمان والتوحيد ، ومن منهاج الله ـ قرآناً وسنة ولغة العربية ـ ، ومن مدرسة النبيّ الخاتم محمد ¤ ، ليُلَبّي حاجة الواقع الذي يمرّ به المسلمون .

* * *

نهـج
مدرسـة لقـاء المؤمنـين
وبنـاء الجيـل المؤمـن
ونظرياتها العامة ومناهجها التطبيقية
ووسائلها وأساليبها ودراساتها المفصلة
وأهدافها المحدّدة ونظامها الإداري

إننا نقدم **نهج مدرسة لقاء المؤمنين وبناء الجيل بكامل** أجزائه المترابطة ليكون أساس **لقـاء المؤمنين وبناء الجـيل المؤمن** ، نابعـاً من المصادر الثـلاثة : أسس الإيمان والتوحيد ، **منهاج الله ـ قرآناً وسنة ولغة عربيّة ـ ومدرسة محمد ¤** ، ملبيّاً لحاجة الواقع .

* * *

جوهر
الدعوة الإسلامية الواحدة

إن جوهر الدعوة الإسلامية الواحدة هو تبليغ رسالة الله إلى الناس كافّة . كما أُنْزِلَتْ على محمد ¤ وتعهّدهم عليها تبليغاً وتعـهُّداً منهجيّين ، حتى تكون كلمة اللهَ هي العليا في الأرض .

* * *

تبليغ الدعوة كما أُنْزِلَتْ من عند الله
فـرضٌ علـى المسلمـين
وتكليف من عند الله

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨) ﴾ [يوسف: ١٠٨]

* * *

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥) ﴾ [النحل: ١٢٥]

* * *

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) ﴾ [فصلت: ٣٣]

* * *

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا (٣٩) ﴾ [الأحزاب: ٣٩]

* * *

﴿ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) إِلاَّ بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (٢٣) ﴾ [الجن: ٢٢، ٢٣]

* * *

﴿ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨) ﴾
[الجن: ٢٨]

* * *

﴿ هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (٥٢) ﴾
[إبراهيم: ٥٢]

* * *

﴿ وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ (١٧) ﴾ [يس: ١٧]

* * *

وفي الأحاديث الشريفة :

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن الرسول ¤ قال :

(بلّغـوا عنِّـي ولو آيــة ....)[1]

* * *

المسؤوليـة
عن تبليغ هـذه الدعـوة

إنها مسؤولية المسلمين جميعاً ، كلٌّ قدر وسعه الصادق الذي وهبه الله له والذي سيحاسَب عليه يوم القيامة ، بعد أن يتزوَّد بالزاد الرئيس الضروري : من

(١) رواه أحمد : المسند ٢/ ١٥٩ ، ٢٠٢ ، ٢١٤ ، الفتح : ١/ ١٧٧ ، الترمذي : ٤٢/ ١٣/ ٢٦٦٩ ، صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم : (٢٨٣٧) .

صفاء الإيمان ، وصدق العلم بمنهاج الله ـ **قرآناً وسنة ولغة عربية** ـ ، ووعي الواقع من خلال منهاج الله .

* * *

أيها المسلم انهض وتزوّد بالزاد الحق ، وانزل ميدان الدعوة في صف واحد كالبنيان المرصوص ، وبلغ رسالة ربك كما أُنزلت على محمد (إلى الناس كافة وتعهّدَهم عليها ، وساهم في بناء لقاء المؤمنين والجيل المؤمن ، ومن ثمّ بناء الأمة المسلمة الواحدة ، حتى تكون كلمة الله هي العليا في الأرض .

* * *

فلسطين
الأرض المباركــة

فلسطين هي الأرض المباركة ، هي أرض الملاحم في التاريخ ، هي إشراقة النبوة الممتدة في الزمن ، وعبق الجهاد الفوّاح ، ونور الوحي الممتد من مكة المكرمة والمدينة المنورة ، والممتد في الأرض كلها دعوة وبلاغاً وقرآناً . إنها أرض الإسلام :

يَا ربَوَةَ الأقصى جَلالُك آيَةُ	الإسْلام تَجْلُو حَقَّه المشْهُودا
فَبكُلِّ رابية طيوفُ صَحَابَة	وَبكُلِّ مُنْعَطَف ضَمَمْتَ نجيدا
وبكُلِّ مَيْدان تَدُورُ مَلاحِمٌ	حَمَلَتْ لَك الإسْلامَ والتوحيدا
وَجَلالَ إسراء وعِزَّة مُؤمِن	مَلأ الزَّمَانَ مَواكباً وَجُنُودا
وتُعِيدُ لألأة الفُتُوحِ جَواهِراً	تُلقى عَلَيْك قَلائداً وعقودا

ستعود حين تترك الأمة المسلمة الواحدةُ المساومة على حقها البيّن ، ولا ترضى إلا بفلسطين كلها داراً للإسلام :

مَا الدار إلا مهجة الإسلام يَخْـ	ـفقُ شَوْقُها عَهْداً عليك أكيدا
من ذا يُقَطِّعُ أرضهُ وحُقُوقَه	مَنْ ذا يُقَطِّعُ مُهْجَةً وَوَرِيدَا

وستظل فلسطين كلها أرض الإسلام والجهاد ، أرضاً مباركة ، تبسط ملائكة الرحمن أجنحتها عليها ، ويغمرها نور اليقين ، ويفوح منها عبق الدماء الزكية .

وستمضي أمّة الإسلام أمَّة واحدة إلى أرض الإسراء ، فتدخلها بنصر من عند الله ، يهبه لعباده المتقين ، حين تصدق الأمة ربها وخالقها ، ربّ السموات والأرض ورب العالمين .

ستعود فلسطين حين تطرح الأمة كلها وَهَنَ الارتجال ، وهوَان العزوف عن الإعداد الحق والبناء الصادق ، ثمَّ تمضي على صراط مستقيم ، حين تضع خُطتها المؤمنة الواعية ، بنيَة خالصة لله لا تلوّثها شهوات الدنيا ، بنيّة حدّدت الهدف

الربانيّ الجليّ ، ورسمت دربها الذي يوصل حقيقة إلى الهدف ، ووفّرت وسائلها وأساليبها إعداداً وبناءً . حتى إذا خطت خطوة ، عرفت الخطوة التي تليها ، فعرفت دربها وبلغت أهدافها :

فانهض إذا أوفيت خُطّةَ مُؤمِنِ   وصَدَقْتَ نَهْجَ الفارس المُتَوسِّم

أيها الأمريكان :احذروا اليهود !!

في عام ١٧٨٩ ألقى الرئيس بنجامين فرانكلين خطاباً عند وضع دستور الولايات المتحدة جاء فيه ما يلي [(١)] :

" هناك خطر عظيم يتهدد الولايات المتحدة الأمريكية ، وذلك الخطر العظيم هو خطر اليهود " .

أيها السادة : في كل أرض حل بها اليهود أطاحوا بالمستوى الخلقي وأفسدوا الذمة التجارية فيها ، ولم يزالوا منعزلين لا يندمجون بغيرهم ، وقد أدى بهم الاضطهاد إلى العمل على خنق الشعوب مالياً ، كما هو الحال في البرتغال وإسبانيا .

منذ أكثر من ١٧٠٠ عام وهم يندبون حظهم الأسيف ، يعنون بذلك أنهم قد طردوا من ديار آبائهم ولكنهم أيها السادة لن يلبثوا إذا ردت إليهم الدول فلسطين ، أن يجدوا أسباباً تحملهم على ألاَّ يعودوا إليها ، لمَاذا ؟ لأنهَم طفيليات لا يعيش بعضهم على بعض ، ولا بد لهم من العيش بين المسيحيين وغيرهم ممن لا ينتمون إلى عرقهم .

إذا لم يبعد هؤلاء عن الولايات المتحدة (بنص دستورها) فإن سيلهم سيتدفق إلى الولايات المتحدة في غضون مائة سنة إلى حد يقدرون معه أن يحكموا شعبنا ويدمّروه ، ويغيروا شكل الحكم الذي بذلناَ في سبيله دماءنا وضحينا له بأرواحنا وممتلكاتنا وحرياتنا الفردية .

ولن تمضي مئتا سنة حتى يكون مصير أحفادنا أن يعملوا في الحقول لإطعام اليهود ، على حين يظل اليهود في البيوتات المالية يفركون أيديهم مغتبطين .

وإنني أُحَذِّركم أيها السادة ، إنكم إن لم تبعدوا اليهود نهائياً ، فلسوف يلعنكم

---

(١) مجلة أرض الإسراء العدد ٨٧ ربيع الأول ١٤٠٦هـ الموافق كانون أول (ديسمبر) ١٩٨٥م.

أبناؤكم وأحفادكم في قبوركم ، إن اليهود لن يتخذوا مثلنا العليا ولو عاشوا بين ظهرانينا عشرة أجيال ، فإن الفهد لَا يستطيع إبدال جلده الأرقط .

إن اليهود خطر على البلاد إذا ما سمح لهم بحرية الدخول ، إنهم سيقضون على مؤسساتنا ، وعلى ذلك لا بد من أَن يُسْتَبعدوا بنص الدستور " .

من كلمات
ريتشارد نيكسون
الرئيس السابق للولايات المتحدة الأمريكية

لرئيس الولايات المتحدة الأسبق ريتشارد نيكسون جمل تعطي دلالات واضحة عن اتجاه الولايات المتحدة نحو العالم والعالم الإسلامي ، كثيرة في كتبه الثلاثة التي نشرها ، ولكننا نأخذ ثلاثة نماذج منها للدلالة فقط ، مع أن سياسة الولايات المتحدة تحتاج إلى دراسة عميقة ، فهو يقول :

❋ ليس السلام الحقيقي (الواقعي) هو انتهاء المنازعات ، بل هو وسيلة للعيش معها . (كتاب نصر بلا حرب ـ ص ٣٩)

❋ ❋ ❋

❋ إن الثوريين الشيوعيين والإسلاميين أعداء أيديولوجيون يتبنون هدفاً مشتركا : الرغبة في الحصول على السلطة بأي وسيلة ضرورية ، بغية فرض سيطرة دكتاتورية تقوم على مُثُلهم التي لا تحتمل . ولن تحقق أي من الثورتين حياة أفضل للشعوب في العالم الثالث . بل سيجعلون الأمور أسوأ . لكن إحداهما أو الأخرى ستسود ما لم يضع الغرب سياسة موحدة لمواجهة الأبعاد الاقتصادية والروحية على حد سواء ، للصراع الدائر الآن في العالم الثالث .(كتاب : نصر بلا حرب ـ ص ٣٠٧ـ٣٠٨)

❋ ❋ ❋

❋ إن رياح التغير في العالم الثالث تكتسب قوة العاصفة . ونحن لا نستطيع إيقافها ، لكننا نستطيع أن نساعد في تغيير اتِّجاهها .

(كتاب : نصر بلا حرب ـ ص ٣٠٨)

❋ ❋ ❋

* **الأصوليون الإسلاميون :** الذين يحركهم حقدهم الشديد للغرب ، وهم مصممون على استرجاع الحضارة الإسلامية السابقة عن طريق بعث الماضي ، ويهدفون إلى تطبيق الشريعة الإسلامية ، وينادون بأن الإسلام دين ودولة . (كتاب : الفرصة الأخيرة ـ ص ١٤٠)

* * *

* **الرجعيون :** هم الدكتاتوريون الذين يؤمنون بالحزب الواحد ، ويسبغون الشرعية على تصرفاتهم من خلال الأيديولوجية القومية المتعصبة .

(كتاب : الفرصة الأخيرة ـ ص ١٤٠)

* * *

* **التقدميون :** هذه المجموعة نشاطها محسوس ، ولكن قَلَّ أن تشعر بوجودها ، وهي تسعى إلى ربط المسلمين بالعالم المتحضّر من الناحية السياسية والاقتصادية . (كتاب : الفرصة الأخيرة ـ ص ١٤٠)

* * *

* يجب علينا أن نعاون التقدميين في العالم العربي ، ففي ذلك مصلحتهم ومصلحتنا ، فهم محتاجون لأن يعطوا أنصارهم بديلا لأيديولوجية الأصوليين المتطرفين ، وانغلاق الرجعيين .

(كتاب : الفرصة الأخيرة ـ ص ١٤١)

* * *

* للولايات المتحدة أيضاً مصلحة كبرى في المحافظة على وجود إسرائيل وأمنها ، فنحن وإسرائيل ليسا حليفين طبيعيين عاديين ، بل إن لدينا التزاماً أخلاقياً معها هو أسمى من أية اتفاقية أمنية . فقد أوضحت باقتضاب في اجتماع لزعماء الكونغرس في مطلع حرب يوم التكفير عام ١٩٧٣م : "

ليس لأي رئيس أمريكي أن يترك إسرائيل في الوحل " . إن إسرائيل ملاذ ملايين العوائل التي قاست أهوال المحارق الجماعية الشنيعة . وهي الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط ، وأحاطت بها من يوم مولدها بلدان صممت على تدميرها . أما عمق التزامنا بها فيتجلى في حقيقة تقديم أمريكا لإسرائيل منذ اعترافنا بها قبل خمس وأربعين سنة ٤٠ مليار دولار على شكل مساعدات اقتصادية وعسكرية ، أي أكثر من ضعف ما أنفقناه على خطة مارشال . ثم جاءت حقيقة اعتراف الحكومات العربية أخيراً بوجود إسرائيل يجسد دليلا على الاعتراف العربي بأن التزامنا ببقاء إسرائيل ركن أساسي في سياستنا الخارجية لن يتغير حتى يلج البعير في سمِّ الخياط . (كتاب : ما وراء السلام ـ ص ١٤٨)

❊ ❊ ❊

المــقـدمـــة

لماذا هذا الكتـاب

لقد كتبت كثيراً عن قضية فلسطين : نثراً وشعراً وملاحم ، ونَهْجاً ودعوة ونصحاً ، ودراسة لبعض أحداثها ، **فلماذا أقدم هذا الكتاب** ؟!

أولاً : لأن هناك بعض القضايا والأحداث لم أتطرق لها فيما سبق ، وربما لم يتطرق لها غيري ، وأشعر أنه لابد من عرض جزء منها الآن !

ثانيا : لأن الأحداث الأخيرة في قضية فلسطين نقلت القضية كلها إلى مرحلة جديدة تقترب من مرحلة التصفية والختام !

ثالثاً : لأن لي نهجاً محدّداً لمعالجة واقع المسلمين اليوم ، وواقع القضية الفلسطينية عرضت ملامح عنه فيما كتبت عن قضية فلسطين ، والآن أشعر من الواجب أن أؤكد هذا النهج تأكيداً كبيراً ، وأوضّح بعض ملامحه الأخرى وأشير إلى دراساته ومراجعها .

وأول قضية أثيرها هي وجوب معرفة أخطائنا وتحديدها بصورة جليّة لا غموض ولا إبهام فيها ، ولا مجاملات ، ومن خلال دراسات إيمانية .

وثانياً : يجب أن نطهّر أَنفسنا من الهوى والمصالح الدنيوية الشخصية ، ومن العصبيات الجاهلية العائلية والحزبّية وأمثالهما حتى ننهض إلى مسؤولياتنا .

وثالثاً : يجب أن يكون لنا ميزانٌ أمين دقيق نزن به الناس والقضايا ، حتى يتيسَّر لنا تحديد الأخطاء والأمراض ، ومعالجتها قبل أن تتراكم وتَتَعذَّر المعالجة !

رابعاً : لا بد أن يكون لمن يريد أن يعمل في قضية فلسطين تحت شعار الإسلام نهجٌ واضح مفصّل ينطلق من الإيمان الصافي والنيّة الصادقة والعلم الصادق بمنهاج الله ـ **قرآناً وسنُّة ولغة عربية** ـ ما يعين على تحديد الهدف والدرب الموصل حقّاً إلى الهدف ، والوسائل والأساليب والمناهج ، ووسائل الإعداد كلها من حيث بناء

الفـرد والجيل المؤمن ، وسائر وسائل الإعـداد مما يسمح بالنزول إلى الميدان مزوّداً بالزاد الحق ، حتى لا يتغير المنهج في الطريق ولا الشعارات ولا المواقف .

لتجتمع هذه القضايا كلها من أجل بناء الأمة المسلمة الواحدة التي تكون رابطتها الحقيقية الأخوة الصادقة في الله ، أخوة الإيمان ، أخوة المسلم للمسلم ، وعندئذ تتحمل هذه الأمة المسلمة الواحدة المسؤولية التي وضعها الله في عنقها والتي ستحاسَب عليها بين يدي الله سبحانه وتعالى يوم القيامة :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾

[آل عمران: ١١٠]

وقضية أخرى نثيرها بهذه المناسبة ، ألا وهي قضية الدعوة الإسلامية التي تحملها الأُمة المسلمة الواحدة ، في صف متراص ، تبلّغ رسالةَ الله إلى الناس جميعاً كما أُنْزِلَتْ على محمد ﷺ تبليغاً منهجيّاً وتتعهّدهم تعهُّداً منهجياً ، لتكون هذه الدعوة الأَساس الذي ينطلق منه الجهاد في سبيل الله .

لا يمكن فصل الجهاد في سبيل الله عن الدعوة الإسلامية الواحدة كما عرضناها ، دعوة وبلاغاً وبناءً وإعداداً .

ليست مهمة المسلم قتال الناس كيف ما اتفق . وليس القتال هدفاً ربانيّاً معزولاً عن الدعوة والبلاغ ، بل القتال إذا ارتبط بالدعوة أصبح جهاداً في سبيل الله . والجهاد في سبيل الله في ميدان القتال صورة من صور الدعوة الإسلامية والبلاغ .

مهمة المسلم الداعية المجاهد في هذه الحياة الدنيا إنقاذ الناس من عذاب جهنّم ، وإنقاذهم من فتنة الدنيا ومن فسادها . إنها أكرم مهمة يقوم بها الإنسان في الأرض ، ولا يستطيع أن يقوم بها إلا المؤمن الداعية ليقدّم الخير كلَّ الخير إلى البشريَّة كلها ، يقدّمه وهو داعية يدعو ، وهو مجاهد يجاهد في سبيل الله .

ومما ييسّر هذه المهـمـة العظيـمـة أن يكون المسلمـون كلهم أمّة واحدة وصفّاً واحداً ، كالبنيان المرصوص .

الله سبحانـه وتعالى واحد أحد ، ودينه الإسلام دين واحد ، وأمته أمة واحدة ، فالدعوة الإسلامية يجب أن تكون دعوة ربانيّة واحدة ، كما كانت أيام الرسول ﷺ . فيصبح الجهاد في سبيل الله جزءاً من الدعوة الإسلامية الواحدة .

لا بد أن تتـحقق هذه القـضـايا في واقع المسلمين ، لأنهـا تكليف ربـاني . فإن تفرّق المسلمون شيعاً وأحزاباً ، تُمزِّقهم العصبيات الجاهلية التي حرّمها الإسلام ، فأنَّى لهم أن يصدقـوا الله في الدعوة والبلاغ ، وأنى لهم أن يصدقوا الله في الجهاد ، وقد عصوه في أخطر قضية أمرهم بها ، وجعلها أساساً من أسس الإيمان والتوحيد . أمرهـم أن يكونوا صفاً واحداً ، وأن يعتصموا بحبل الله ولا يتفرّقوا . نهاهم عن التفرق وأنذرهم إذا تفرّقوا بعذاب عظيم !

نحب أن نبرز هذه الحقائق الإيمانية لتكون أساساً وميزاناً لفهم قضية فلسطين ، ولمعرفة أَسباب النصر وأبوابه ، وأسباب الهزائم وأبوابها ، وليختر المسلمـون بعد ذلك أيّ النجدين يريدون !

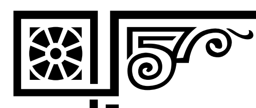
﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ ﴾ [البلد: ٨ – ١١]

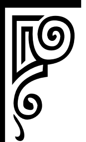
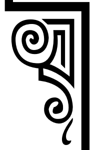
إن قضيـة فلسطين ، وتسليم فلسطين لليهود ، وإقامة دولة لهم تدعمها أمريكا وأوروبا وسائر الدول الكبرى ، **حادثة فريدة في التاريخ البشري . وإنا نرى أنهم أرادوا ذلك لتكون قاعدة رئيسة للغرب في حربهم وعدوانهم المستمر على العالم الإسلامي كله** . ولذلك رأينا كيف أن المآسي أخذت تمتد وتنتشر من بلد إلى بلد في العالم الإسلامي : فهذه العراق ، وأفغانستان ، وباكستان ، وكشمير ،

والصـومـال ، ولبنان ، ويسـتـمـر زحف المآسي مع الأيـام . وخـلال ذلـك يُشـغـلنا الأعداء بقضايا جزئيّة ننسى بها القضايا الكبرى ، وتستهلك القضايا الجزئيّة طاقاتنا ، وتثير خلافاتنا ، وتوجه انحرافاتنا .

ومن خلال عـرض بعض مراحل قضـية فلسطين في هذا الكتـاب ، ومن خلال عرض ما ذكرناه أعلاه ، نؤكد الحلّ الذي نراه ، والسبيل الذي يرسمه لنا منهاج الله ، سبيلاً واحداً للنجاة ، لا سبيل سواه !

عدنان بن علي رضا بن محمد النحوي



الباب الأول

فلسطين
بين مكر الأعداء وتفريط الأبناء

الفصل الأول : اللعبة الماكرة !

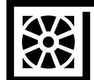
الفصل الثاني : ماذا يريدون حقيقة ؟!

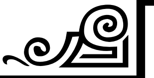
الفصل الثالث : مراحل وأدوار ! وغموض وأسرار !

الفصل الرابع : دولة اليهود ركن رئيس في خطة شاملة لمحاربة الإسلام والمسلمين !

الفصل الخامس : فلسطين بين مكر الأعداء وتفريط الأبناء .








الفصل الأول

اللعبة الماكـرة !

باستعراض تاريخ منطقة العالم الإسلامي ، خلال القرنين الأخيرين ، ومتابعة بروز زعامات هنا وزعامات هناك ، وتكتلات هنا وتكتلات هناك ، زعامات تظهر وأخرى تختفي في جوّ يكون فيه المجرمون المعتدون هم المسيطرين في الديار سيطرة احتلال عسكريّ طاغ أو سيطرة انتداب ماكر ، أو سيطرة نفوذ وتسلُّل .

ولا تقف سيطرة هؤلاء المجرمين عند مجرد الاحتلال ، ولكنها تمتدُّ إلى الإدارة والاقتصاد والإعلام والاجتماع والتربية وسائر نواحي الحياة ، حتى تسيطر عليها أو تمدَّ فيها شباكها الناعمة اللينة ، أو حبالها المتينة الغليظة ، أو سلاحها الفتاك .

وعندما تكون الأمَّة المحتلة واهية ضعيفة ، فاقدة القدرة على مجابهة ما يحوكه لها المجرمون ، فإنها تستسلم حيناً ، وإذا هبَّتْ أو ثارت فقد يكون ذلك تحت عين المجرمين الذين يوجّهون بأسلوب مباشر أو غير مباشر أو يسيطرون على نفوس تطلب الدنيا وتتبع هواها تحت شعارات مختلفة !

في كثير من هذه الحالات ، وليس في جميعها ، تكون الأمة الواهية ، قد بدأ التفكك فيها وبدأ التفرّق ، وأخذت تظهر فيهم العصبيات العائلية أو القبلية أو الشخصية أو الحزبية ، ومختلف الأهواء المتصارعة والمصالح الدنيوية المتصارعة، وتنافس الدنيا ، وذلك كلُّهُ ينفث في عروقهم الخدر ويُدير الصراع ، ويُقطّع الأرحام !

في هذا الجوّ ، وقد فقدت الأمة سلاحها الأول وحصنها الحصين ، وهو صفاء الإيمان والتوحيد ، وصدق العلم بمنهاج الله ، والسعي إلى الدار الآخرة ، تطلب الجنّة والدار الآخرة ، لا شعاراً تتغنَّى به ، ولكن حقيقة تمثّل جوهر حياتها، في هذا الجو تكون الأمة قد فُتّحت أبوابها كلها للمجرمين ، ليدخلوا إلى مختلف ساحاتها

وميادينها ويحكموا السيطرة عليها بأساليب متعددة ، تتفتَّق عنها عقولُ شياطين الإنس والجنّ .

إن أول هدف يسعى إليه المجرمون المعتدون هو تمزيق الأمة شيعاً وأحزاباً ، ومصالح وأهواء . ثمَّ يديرون الصراع بين هذه الفئات صراعاً لا يقف عند حدٍّ ، بل يتجدّد ، والناس غافلون عما يُكاد لهم ، يندفعون في هذا الصراع تقودهم العواطف الهائجة والمصالح الرائجة ، والعصبيات المغروسة في النفوس ، والأيادي الخفيّة الممتدّة من هنا وهناك .

تصبح الأمة في هذه الحالة مفككة العُرى ، يسهل على هؤلاء المجرمين التحكم في جميع الاتجاهات والعصبيات والمصالح والنوازع ، ويوجهونها بأيديهم الخفيّة على النحو الذي يريدونه والذي يضمن استمرار الصراع وبقاءه وامتداده . وإذا مال إلى الهدوء لحظة فما أسرع تلك القوى الخفيّة أن تؤجّج لهيب الصراع ثانية ، وهي ممسكة بجميع الخيوط تدير بها التحركات دون أن يشعر أحد بذلك ، وإذا حدث وشعر أحدهم بدور هذه القوى فإنك تراه قد أصبح راضياً بذلك حريصاً على بقائه . إنها مصلحته الشخصية التي هو حريص عليها أو مصلحته العائلية أو مصلحته الحزبية ، أو أيّ لون من ألوان العصبيات الجاهلية المتأججة في النفوس ، وأخطرها العصبية الحزبيّة .

وفي هذه الأجواء تبرز قيادات تحرّك الجماهير وتدفع في هذا الاتجاه أو ذاك ، وقد يظنُّ هؤلاء أنهم الأبطال الحقيقيون الذين يحرّكون الجماهير . وإذا بقيادة أخرى تظهر تنافس الأولى على الزعامة والقيادة ، ويثور الصراع بينهما . وقد تظهر قيادة ثالثة ورابعة وهكذا .

ولو نظر هؤلاء كلهم إلى ما يتصارعون عليه لوجدوه شيئاً تافهاً لا يستحقُّ أن يدور عليه صراع ولا تنافس .

وإذا أرادت هذه القوى المجرمة المتحكمة في الساحة والميدان أن تظهر رجلاً

ليكون بطلاً جماهيرياً ، فلذلك أساليب متعددة ، أهمها أن يبدأ الإعلام يشنّ عليه حملة غاضبة من المجرمين ، يكون صداها لدى الشارع في صالح ذلك الرجل وفي سبيل إبرازه . وقد يسجن فترة من الزمن ، ثمَّ يخرج من السجن لتتلقاه الهتافات والاحتفالات ، ثمَّ يكون زعيماً وبطلاً وقد يسمح له أن يقوم ببعض أعمال الوطنية التي تشدّ الجماهير إليه على أن يكون هذا كلّه بحساب وتقدير .

وإذا أرادت هذه القوى المجرمة المعتدية أن تقضي على رجل بارز أو حركة فيمكن أن تعلن تلك القوى المجرمة تأييدها له أو مساعدتها له ، ويتحرّك الإعلام بقدر محسوب بدقة ، ليكون صدى ذلك أن يصبح هذا الرجل خائناً وعميلاً ، وليخسر جماهيره . وتستغلّ هذه القوى الأخطاء من هنا أو هناك لتتابع خطتها في إبراز ما تشاء وتحطيم من تشاء وفي استمرار الصراع .

والأمر الغريب أنك ترى وسائل الإعلام المختلفة تنطلق بهذا الاتجاه ، أو ذاك ، في وقت واحد وبأساليب متعددة تغذِّي الاتجاه المطلوب وتؤجج الصراع .

وتستطيع هذه القوى المجرمة أن تقضيَ على هذا وترفعَ ذاك ، أو تثيرَ المعركة بينهما ، أو تغدرَ بهذا حيناً غدراً مكشوفاً ، أو تغدرَ بذاك غدراً مكشوفاً ، وتُخِلَّ بكل عهودها ومواثيقها وتترك فريستها ملقاة جثة هامدة .

تتصرف هذه القوى المجرمة بسهولة ويُسْر لأنَّ الخيوط كلها بيدها ، تستطيع أن تتحكم بها .

إلا أنَّ ذلك كله يتمُّ على قدر من الله نافذ وقضاء غالب ، وحكمة بالغة ، ويحسب المجرمون أنهم هم العباقرة الذين يديرون الأحداث ، ذلك لأنهم لا يعلمون أنَّ لله سنناً ربانية ثابتة ماضية ، تحكم كلَّ صغيرة وكبيرة في هذه الحياة الدنيا وفي الكون كله . وقضاء الله حقٌّ عادل لا يظلم أحداً .

وتجرى الأمور على سنن ربانية ثابتة ابتلاءً منه سبحانه وتعالى لعباده وتمحيصاً لهم ، حتى تكون الحجّة يوم القيامة لهم أو عليهم . ولا تتأثّر هذه السنن الربّانية

بقدرة الناس أو عدم قدرتهم على إدراك الحكمة الربّانية الغالبة ، فمنها ما بيّنه الله لنا ، ومنها ما لم يبيّنه .

ولا ينجو من خيوط هذه القوى المجرمة وحبالها إلا من أخلص نيّته لله وخطا على نور من منهاج الله ، يردُّ كل صغيرة وكبيرة إليه ، و من اعتصم بالله صادقاً أميناً ، يطلب الدار الآخرة ويؤثرها على الدنيا ، و من جاهد نفسه على طاعة الله عن إيمان ويقين ، وعلم صادق بمنهاج الله ، ووعي للواقع ، ونهج واعٍ وخطة مدروسة ، لا يطلب الدنيا بشعارٍ الإسلام ، ولا يخدعُ ولا يكذب ولاً يخون، ولا يبدّل المواقف حسب مصالح الدنيا ، ولا يتاجر بدين وعقيدة ، ولا بوطن ودار .

هذه هي الطائفة الظاهرة التي حدّثنا عنها رسول الله ﷺ في حديثه الشريف فعن ثوبان رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال : (**لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحقّ لا يضرّهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**)

[رواه مسلم والترمذي وابن ماجه][(١)]

ويأتي هذا الحديث الشريف على عشر روايات ، كل رواية تُضيف صفة من صفات هذه الطائفة الظاهرة ، **ورأس الصفات كلها أنها تطلب الآخرة حقّاً ! وأن تمضي على نهجٍ وخطة ونور** .

وهذه الطائفة الظاهرة ليست ظاهرة بالإعلام وضجيج الشعارات ، فلن تسمح تلك القوى المجرمة لها بفسحة من الإعلام ، أو بقوّة مادية تسندها ، أو بسلاح تفيض به عليها ، أو بمال وفير يُصَبُّ بين يديها ، ولا بتكتيك يمكر ويخدع .

وقد تختلط الأمور على الناس أحياناً ، فلا يرون الحق ظاهراً ، وقد يخدعهم الباطل بزخرفه ، خاصة وأنَّ الناس بعامّة لا تردّ الأمور إلى منهاج الله ، ولا يكون بين يديها **ميزان المؤمن** . والزخرف والزينة ومظاهر القوة والحشود ، كل ذلك قد يُغْري ويفتن .

---

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته ، حديث رقم : (٧٢٨٩) .

لقد رأينا نماذج من جميع هذه الحالات في تاريخ ديار المسلمين . ففي فلسطين مثلاً كم شغل الانتداب العائلات كلها بالصراع على انتخابات " رئاسة البلدية " في كل مدينة ، ووضح أن الانتداب قادر على أن يتحكم بنتائج الانتخابات، وراغب بشراء أكبر عدد من الناس ، حتى إذا تبيّن له إصرار فريق على معاداته خذله بطريقة من طرقه المتعددة ، ثمَّ يدور الصراع بين الناس ويمتدُّ، فإذا الانتداب قد حقّق أهدافه ، وأقام دولة إسرائيل ، وشرَّد أهل فلسطين من ديارهم ! ونماذج أخرى كثيرة في تاريخنا !

وانظر إلى ما يجري اليوم في أفغانستان والعراق والصومال وسائر ديار المسلمين ، آيات لله بيّنات لمن أراد أن يتذكّر ويبصر . واقرأ ما كتبه " بوب ودورد " في كتابه : " **Bush at War** " عن عمليات شراء النفوس بالتفصيل ، ولترى كيف تُشْترى النفوس بالدولارات وغيرها مع ذكر الأسماء والمبالغ والمساومات . حتى صار هذا شيئاً يُعْلن عنه بعد أن كان قبل ذلك سراً . وهذه النتيجة حتمية ، وقد نجحت الجهود في سحب الإيمان من القلوب بعدَ تجهيلها ثم إغرائها ثم فتنتها ، حتى أصبح المسلمون يحارب بعضهم بعضاً ، ويقتل بعضهم بعضاً ، تحت شعارات مختلفة متضاربة ، وقد يكون بينها شعار الإسلام يتخفى به المفتونون ، وقد خُدّروا بالفتنة وألوانها المتعدِّدة وأساليبها المتنوعة ووسائلها المتجدّدة .

هذه هي **اللعبة الماكرة** التي يلعبها أعداء الله في العالم الإسلامي ، يلعبها المجرمون الظالمون ، وقد أمسكوا بكثير من الخيوط . انظر وتفكر فيما ترى ! حشود هنا وحشود هناك ، تدخل ميادين السياسة أو ميادين القتال ، أو غيرها من الميادين . وكلٌّ يحتاج إلى المال الوفير لينفق على حشوده ونشاطه ، وكلٌّ يحتاج إلى السلاح وسائر أنواع العتاد . وذلك كله له مصادره المحدّدة المعروفة ، التي تفيض على من يواليها ، وتغدق عليه بذلك كله وبالإعلام .

يستحيل على الفرد العاديّ أن يوفّر ذلك كله إذا أراد أن ينطلق مستقلاً عن

هذه المصادر ، إلا في حالة واحدة فقط . تلك الحالة عندما يتوكل على الله حقَّ توكله ، ألا يشرك به شيئاً ، ولا يطلب شيئاً من زينة الدنيا وزخرفها ومناصبها ، ويمضي على نور من منهاج الله إيماناً وعلماً وعملاً ، وعلى صراط مستقيم يمثّل النهج الحقّ ويحمل الخطة الصادقة ، **وهو يعلم أنَّ الله سبحانه وتعالى قد خلقه ليوفي بمهمة عظيمة في الحياة الدنيا هي مدار العبادة والأمانة والخلافة والعمارة ، وهي مدار الحساب يوم القيامة عندما يُرْجَعُ الخلق كلهم إلى الله ربّهم وخالقهم :**

﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ** ﴿١١٥﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٥]

هذه المهمّة هي التي نسيها كثير من المسلمين ، فَشُغلوا بألف قضية دونها وقضيّة ، حتى طوتهم الحياة الدنيا وهم يصارعون هنا ، ثَمَّ هناك ، كأنّهم في تيه يَجذبهم البرّق الخُلّب الذي سرعان ما يختفي ، حتى يدركهم الموت ولات ساعة توبة أو مندم !

هذه المهمة هي تبليغ رسالة الله ودينه إلى النّاس كافّة كما أُنْزلت على محمد ﷺ وتعهُّدهم عليها حتى تكون كلمة الله هي العليا ، على نهجٍ مدروس وخطة محدودة !

هذه قاعدة كل نشاط ، وهي الهدف الرباني الأول ، وعليه تقوم سائر الأهداف الربانية . فلو تعطل هذا الهدف تعطل واضطرب معه كل معنى للجهاد في سبيل الله .

تحوّلت جهود كثير من المسلمين إلى أحلام الوطنية والديمقراطية والعلمانية والعولمة تحت شعار الإسلام ، ودُفعُوا إلى ذلك أو استدرجوا أو استزلّهم الشيطان ببعض ما كسبوا ، ثمَّ دوَّت الشعَارات وغلب ضجيجها على كل عقل وروية ونهج. ثمَّ يدور الصراع هنا وهناك ليشغلوا بمزيد من الأمور ، كلما أوشك أمر أن ينتهي أُخْرج لهم أمر جديد ليمتدَّ الصراع ، وتغيب الأهداف شيئاً فشيئاً ، أو توضع أهداف آنية كاذبة ليشغل بها المسلمون .

لا بدَّ أن نوضّح أنَّ هذه المهمّة التي خلقنا الله للوفاء بها كما ذكرناها لا تعني مجرد الدعوة والتبليغ ثمَّ الاسترخاء والاستكانة . إنَّ هذه الدعوة التي يجب أن تمضي على صراط مستقيم تشمل كافة ميادين الحياة من سياسة واقتصاد واجتماع وغير ذلك ، ليكون كل ميدان من هذه الميادين باباً إلى الدعوة والبلاغ والبيان ، ولتكون الميادين كلها مترابطة متماسكة حتى لا يشغل عنها المؤمن بزخرف أو زينة يبتلى بها في طريقه ، ولتبني الجيل المؤمن الذي يحمل الخصائص الربانية المفصلة في منهاج الله .

يريد الله سبحانه وتعالى أن يتفرّغ المؤمنون الصادقون إلى هذه المهمّة بصورتها الشاملة التطبيقية ، لا يشغلهم عنها شيءٌ ولا طلب الرزق . فعن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال : (**لو أنَّكم تتوكّلون على الله حقَّ توكّله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً**) .

[رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم][(١)]

ولا يعني التوكل الكسل والاسترخاء وعدم السعي ، ولكنه يعني أن يكون رجاؤه كاملاً بالله سبحانه وتعالى وحده ، وهو ماض في سعيه وتبليغه وبيانه ، وطلب رزقه دون أن يعطله طلب الرزق عن المهمة التيٍ خلقه الله للوفاء بها ، فله نهجه البيّن وخطته المدروسة وأهدافه الجليّة ، يمضي على نور وهدى من الله إلى الهدف الأكبر والأسمى ـ الجنة ورضوان الله ـ .

إنَّ الذي يحدث في واقع الناس أنهم لا يتوكلون على الله حق التوكل بسبب الخشية من الفقر ، وبسبب الطمع المتنامي في طلب المال ، وبسبب الفتنة بزخرف الحياة الدنيا وزينتها ، وطلب السمعة والمنصب ، وإثبات الوجود ، على حساب عقيدة ودين .

وكذلك الحديث الشريف الذي يرويه عبد الله بن محصن رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال :

(١) المرجع السابق ، حديث رقم : (٥٢٥٤) . أحمد : الفتح : ١٩/٩٧ .

(من أصبح منكم آمناً في سِرْبه ، معافى في جسمه ، عنده قوت يومه ، فكأنَّما حيزت له الدنيا بحذافيرها)

[رواه البخاري في الأدب المفرد ، والترمذي ، وابن ماجه][(١)]

ولكن المشكلة في واقع الناس أنهم لا يقنعون برزق يومهم ، ولا يطمئنون إلى رزق الله سبحانه وتعالى أنه آتيهم لا محالة على قدر ما كتبه الله لهم .

ولو أيقن المؤمنون بأنَّ الله خلقهم للوفاء بالمهمة التي ذكرناها فنهضوا إليها وصدقوا الله بالوفاء بها ، ولو أنهم آمنوا بأنَّ الله هو الرزاق ذو القوّة المتين ، ولو أنهم توكلوا على الله حق توكله من أجل أن يوفوا بالمهمّة التي يريدها الله سبحانه وتعالى ، لو تمَّ ذلك لكان المؤمنون أعزَّ الناس في الأرض ، ولسادوا ومكّن الله لهم ، وكسبوا الدنيا والآخرة .

بعد هذه الأحداث المتكرّرة في تاريخ طويل ، ألا يتَّعظ المسلمون بها ويفيقون ولا يظلُّون ضحيَّة هذه اللعبة الماكرة التي ما زالت تتكرَّر وما زلنا نخسر الكثير بسببها ؟!

ألا نرى كيف أنَّ العدوّ يستطيع أن يستفيد من جهود أعوانه ومن جهود خصومه ، لتصبَّ كلها في مصلحته هو ؟! ولِمَ ذلك ؟! لأنَّ العدوّ له خطته ، والذين أمامه لا خطة لهم يدفعهم الارتجال والعاطفة .

ألا نرى كيف أنَّ معظم قضايانا خسرنا فيها كثيراً جداً بالرغم من كثرة الضحايا وكثرة الإنفاق والبذل ؟! ألا ترى أنَّ إسرائيل كان لها من فلسطين بحدود ٥٦٪ ، وبعد هذه السنين الطويلة والانتفاضات والشعارات المدويَّة أصبح لها أكثر من ٩٠٪ من أرض فلسطين . إلى أين نتجه مع شدّة اختلافاتنا وصراعنا فيما بيننا ، ومع كثرة التمسك بالغرب ومبادئه من ديمقراطية وعلمانية وعولمة ؟!

---

(١) المرجع السابق ، حديث رقم : (٦٠٤٢) . الترمذي : رقم : ٢٣٤٦ .

ألا نرى أننا قدمنا كثيراً من الضحايا وكثيراً من الأموال ، في أجواء ضجيج الشعارات التي يَدَّعي بها كلٌّ صاحب شعار أنه هو الذي سينقذ الأمة ، وتمضي السنون بعد السنين والهزائم تتوالى ، والفواجع تتزاحم ، والديار تضيع شيئاً فشيئاً ، والشعارات تتساقط شعاراً بعد شعار ؟!

كـلٌّ يـقـول أنـا الـذي فـإذا الذي ليـس الذي يا ويل من لم يَعْـدلِ[1]

وسنن الله ماضية حقاً وعدلاً لا ظلم معه ، قضاء نافذ وقدر غالب وحكمة بالغة .

(١) من كتاب ملحمة الإسلام من فلسطين إلى لقاء المؤمنين .

الفصل الثانـي

مـاذا يريـدون حقيقـة ؟!

إنـها فتنة ممتدة هائجة!

فمن ينجو منها ؟

ماذا يجري في العالم الإسلامي !؟ إنه يمرّ بأقسى مرحلة في تاريخ الإسلام كله . إنه ظلام يمتد في فلسطين ، في لبنان ، في السودان ، في الصومال ، في العراق ، في أفغانستان ، في الشيشان ، في كوسوفو ، في البوسنة ، في كشمير ، وفي غيرها من بلاد الإسلام .

إنه ظلام يمتدّ من ناحية ، وانحسار للإسلام والحق من ناحية أخرى ! بقاع لم يعد للإسلام فيها ذكر إلا قتل المسلمين ، أو مطاردتهم ، أو سجنهم لا لذنب ارتكبوه إلا أنهم مسلمون ! وديار جُفِّفَت فيها منابع الإسلام ، وديار يُخنق فيها صوته ! والناس ساهون ! لا يفيقون ! وإذا أفاقوا ، فلا يكون ذلك إلا عند نزول العذاب الشديد عليهم خاصة ، فيجأرون ، ويستغيثون ، ويفرّون ، من استطاع الفرار ، ويركضون ، ويلهثون وراء آمال تطوى وسراب يغيب !

أكبر نسبة من اللاجئين في العالم كله هي من العالم الإسلامي ، تركوا ديارهم وأموالهم، وفرّوا إلى فضاء واسع . وأغنى بقاع الأرض خيراً وبركة هي أرض العالم الإسلامي نعماً من الله وابتلاءً : أيشكرون أم يكفرون، أيفيقون وينهضون إلى عهدهم مع الله وأمانتهم وخلافتهم ، أم يغيبون في غفوة طويلة لا يوقظهم منها إلا العذاب والبلاء العظيم ؟!

ما الذي يجري في العالم الإسلامي اليوم ؟! كانت قضية فلسطين هي القضية الرئيسة ، والعالم الإسلامي الممزّق لم تكن قد غزته النكبات والفواجع كما نشهدها الآن ! ثم إذا بالفواجع تمتد وتتنقل من بلدٍ إلي بلدٍ ، ومازالت تمتدّ وتتسع !

كانت الحرب على العالم الإسلامي وعلى المسلمين وعلى الإسلام ممتّدة ثائرة

منذ سنين طويلة . وقبل أكثر من عشرين عاماً كتبت مقالاً بعنوان : **لماذا يعادون الإسلام ويحاربونه ؟!** وبيّنت يومها رأيي في مقالتي تلك أن الإسلام الذي جاء به رسولنا محمد ﷺ ، وهو دين جميع الأنبياء والمرسلين ، دين لا يتنازل عن حق ولا يساوم على حق ، وأن المجرمين في الأرض يعبدون أطماعهم ويريدون نهب ثروات الأرض ، لتغنى فئة وتفقر فئات . فوجدوا جداراً صلباً من الإسلام خلال تجارب طويلة في التاريخ ، لم يستطيعوا أَنْ يخترقوه . فوجدوا الحلّ في أن يزيحوا هذا الجدار الصلب ، إما بالفتنة يدخلونها في قلوب المسلمين ، أو بالحرب والقهر وعمليات الإبادة ، أو تقسيم العالم الإسلامي وتمزيقه . ولكنهم ، لشدّة أطماعهم ولهفتهم على ثروات العالم الإسلامي ، قاموا بهذه الخطوات الثلاث معاً في وقت واحد ! وأسوأ ما نراه اليوم هو المجازر الملتهبة في نواح كثيرة من العالم الإسلامي ، والفتن التي يتلو بعضها بعضاً . أما المجازر والتدمير والقتل والسجون فإنها أمور بارزة للعيان ، أَشْعَرَت الكثيرين بظلم المجرمين وشدّة عُتُوِّهم وفسادهم ، أَما الفتن فخطرها أشد ، فقد كان من أوائل نتائجها أن أصبح المسلمون يقاتل بعضهم بعضاً ، كل طرف آخذ بصورة من صور الفتنة . انظر ماذا جرى ويجرى في أفغانستان والعراق ، والصومال ، ودارفور ، وفلسطين وغيرها .

أخذت تَنْتَشِرُ بين المسلمين في السنوات الأخيرة عدة شعارات ، سبق طرحها ولكنها اشتدت الآن ، شعارات تحمل الزخرف الذي يُغري والضلال الذي يُخْفى أو يُعْلن ! ولقد أثَّرت هذه الشعارات المضلِّلة والمصطلحات المضطربة والمذاهب المختلطة في واقعِ المسلمين حتى أصبح لها دعاةٌ من المسلمين ، وإعلام ودويّ ، وحتى كانت أحدَ الأسباب الرئيسة في تمزيق الأُمة شيعاً وأحزاباً ، يصارع بعضها بعضاً ، حتى أُصيبَت الأمة بهزائم تلو هزائم ، وفواجع بعد فواجع ، ومازال ذلك كله ممتداً ومتزايداً .

ولكن كيف أثرت هذه المذاهب في واقع الأمة ؟! ، وكيف مزّقتها؟! ، وكيف دوّت شعاراتها في الآذان والقلوب ؟! ، وكيف غاب العهد مع الله وأسسه وقواعده ؟!

إن المجرمين في الأرض كانوا يعملون منذ زمن بعيد ، يدرسون ويخططون ويعملون ! وكانوا يعملون على عدة جبهات في آن واحد . ولعلّ من أولى الجبهات كان محاربة اللغة العربية ومحاولة نزعها من بين المسلمين ، وقد نجحوا في ذلك نجاحاً كبيراً ، حتى استبدلوا بها لغة المعتدي الظالم : الإنكليزية أو الفرنسية أو الايطالية ، أو اللهجات العامية أو اللغات المحلية ، حتى صارت اللغة العربية غريبة بين أهلها المسلمين لا يكاد يحسنها بعض الأساتذة والأدباء . وقصة هذه المعركة مع اللغة العربية طويلة لا مجال لذكرها هنا .[1] ولكن المهم أن الهدف من هذه المعركة أَن تكون ممهّدة لهدف آخر هو نزع القرآن الكريم من قلوب المسلمين ومن ألسنتهم . فبعد أن تصبح اللغة العربية غريبة بين الملايين من المسلمين ، يهجر هؤلاء المسلمون كتاب الله ويجهلونه شيئاً فشيئاً . وكلُّ ذلك كان يتمُّ بعمل منهجيٍّ مخطط له ومدروس ومُبّيّت ، حتى جاءت اللحظة التي عمّ فيها الجهل باللغة العربية وبالكتاب والسنة بين ملايين المسلمين ، ثم أخذت القلوب تتعلّق بالدنيا ويغيب عنها تصّور الآخرة والموت والحساب ، فقست القلوب . وفي هذه الحالة أصبح انتشار الأفكار اللادينّية بين المسلمين واسعاً، مما زاد في الفتنة وامتدادها . ولكن الفتنة والخطر لم يقف عند افتتان بعض الناس وارتدادهم عن الإسلام ، ولكنها امتدّت إلى قلوب بعض المسلمين الذين يُصَلُّون ويصومون ويحجُّون . ويؤدُّون بعض الشعائر . ولكن قلوبهم لم تعدْ تحمل صفاء الإيمان وصدق العلم بمنهاج الله ، وإنما اختلطت لديهم التصورات والمبادئ والأفكار . وامتَدت هذه الحالة إلى بعض الدعاة من المسلمين ، والى بعض العلماء والفقهاء ، الذين تحولَوا من الدعوة إلى الله ورسوله وإلى الإسلام ، إلى الدعوة إلى المذاهب اللادينية في ألوانها المختلفة التي تعزل الإنسان عمليّاً عن الدار الآخرة والموت والبعث والحساب ، وتجعل الدنيا هي أكبر همها وأبعد غاياتها . وتصبح جهود الإنسان كلها تَصُبُّ في الدنيا ومصالحها ومتعها ، حتى لا يكاد يجد فسحة من

---

(١) يراجع كتابا : «لماذا اللغة العربية» ، و « اللغة العربية بين مكر الأعداء وجفاء الأبناء » للمؤلف .

الوقت ليفكِّر في نفسه وفي مصيره . **وتُصبح غاية الإصلاح الذي يُنادى به هو إصلاح الدنيا ومتعها وزخرفها** . وإذا بهذه الأجواء تفتح المنافذ والأبواب للمجرمين في الأرض ليتسلّلوا إلى قلب العالم الإسلامي ، ليزيدوه فتناً واشتعالاً حتى تضعف قواه وتنهار مقاومته ، فيبدأ الزحف العسكري بجنوده وسلاحه المدمّر ، ومكره وكيده ، وخداعه وكذبه ، فيحتل الأرض وينهب الثروات ويغتصب النساء ، ويُفسد في الأرض إفساداً عظيماً ، تحت شعارات الديمقراطية والحرّية والعدالة والمساواة ، حتى إذا استحكم وحكم طُوِيَتْ كلُّ الشعارات ، وطويت الحرّية وطويت العدالة ، وامتدت الهزائم والفواجع والمجازر في أرض المسلمين : سجون غونتانامو وسجن أبو غريب ، وسجون اليهود في فلسطين ، ومجازر العراق وأفغانستان وغيرها . ولعل من أَخطر الوسائل والأساليب نشر فتنة الجنس المتفلّت مع شعارات الحرية والديمقراطية والعلمانية ، ونشر الخمور ، والنساء العاريات ، وامتداد الفاحشة امتداداً رهيباً ، والجهر بها في مختلف وسائل الإعلام ، وحتى ينغمس فيها الشباب المراهقون ، وتُستَلّ مقاومتهم إلا من رحم الله ، وتمتلئ القلوب بالدنيا ومتعها ، وتشغل عن الآخرة ، ويتنافس الناس على الدنيا وزينتها في صراع محموم جنوني ، يدخل فيه بعض المسلمين ليقتل بعضهم بعضاً في فواجع ونكبات ، ويُمزَّق المسلمون ، ليستبيح المجرمون في الأرض بيضتهم عندئذ :

فعن ثوبان رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال : " **إنَّ الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإنّ أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها ، وأعطيتُ الكنزين الأحمر والأصفر ، وإني سألتُ ربي لأمتي أن لا يهلكها بسَنَة عامّة وأن لا يسلّط عليهم عدوّاً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم . وإنّ ربي قال لي : إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد . وإني أَعْطَيتُ لأمتك أن لا أهلكهم بسَنَة عامّة ، وأن لا أسلّط عليهم عدوّاً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها ، أو قال : مَن بين أقطارها ،**

حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً ، وإنما أخاف على أُمتي الأئمة المضلّين ، وإذا وُضِع السيف في أمتي لم يُرفع عنها إلى يوم القيامة ، ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين ، وحتى تعبد قبائل من أُمتي الأوثان ، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبيّ ، وأنا خاتم الأنبياء لا نبيّ بعدي ٠ ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرّهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله "

[رواه أبو داود وابن ماجه ، وروى بعضه مسلم وآخرون][1]

هؤلاء المجرمون في الأرض ماذا يريدون ؟!

هؤلاء المجرمون يغلب على الظن أنهم لا يؤمنون حقّ الإيمان بدين أو بإله ، إنما إلههم المصالح الماديّة وثروات الشعوب ، إلههم الدنيا وزينتها ومتعها، ملأت قلوبهم وأشغلتهم عن أي شيء آخر ، أشغلتهم عن التفكير بالدار الآخرة ، حتى يفجأهم الموت ولات ساعة مندم :

﴿ **حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾** ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]

من أجل ذلك يستغلون كل شي ، حتى الدين نفسه ، ويخضعونه لتأمين شهواتهم وأهوائهم ومصالحهم الدنيوية ، يطوّعون الدين إلى شعارات مزخرفة يخدعون بها الجماهير حتى يسهل انقيادها .

من أجل ذلك تراهم ، وهم دول علمانية يدّعون أنهم لا يؤمنون بالدين ، وأَن الدين قضية شخصية لكل إنسان ، تراهم يكوّنون الحركات التنصيرية وينفقون عليها ويتعهّدون رجالها ، لتكون هذه الحركات التنصيرية مع الشركات التجارية عملاً ممّهداً للغزو العسكري ، بعد أن تكون تلك الحركات والشركات وغيرها من

(١) سنن أبي داود : ٢٩/ ١/ ٤٢٥٢ . ابن ماجه في كتاب الفتن باب ما يكون منها رقم ٣٩٥٢ ، مسلم رقم ٢٨٨٩ في الفتن ، الترمذي في الفتن رقم : ٢٢٠٣ .

الأجهزة والقوى اشترت النفوس ، وأشعلت الفتن ، وأثارت الناس بعضهم على بعض ، ونشرت الفساد والفاحشة والخمور ، حتى تتهاوى أمامهم الحصون والقلاع والنفوس .

إنهم يريدون نهب ثروات الشعوب وتقاسمها بينهم ، على أساس من ذلك يتخاصمون فيما بينهم أو يتعاونون ، ولكنهم أمام الإسلام متعاونون في عدائهم وحربهم ، دون أن يمنع ذلك وجود أناس من شعوبهم يعطفون على الإسلام أو ينظرون نظرة مختلفة في قليل أو كثير عن سادتهم المجرمين ، دون أن يُعطِّل هذا الاختلاف مسيرة المجرمين . إن موقف الشعوب مهما قوي أو ضعف لم يُعطلْ مسيرة المجرمين في الأرض ، بل قد نجد منهم ما يُغذي هذه المسيرة الإجرامية ، وإن عارضها بعضهم فلا تأثير لصراخهم ومظاهراتهم وشعاراتهم .

في مؤتمر تنصيري كبير ، ولعله أكبر مؤتمر تنصيري يتمّ ، حضره أكبر الخبراء في التنصير ، واجتمعوا في كولورادو في أمريكا ، واتخذوا عدة قرارات ، كان أهمها : **وجوب تحويل جميع مسلمي العالم إلى النصرانية !**

فالنصرانية في واقعها اليوم لا تمثل رسالة عيسى عليه السلام ، فرسالته الإسلام ، دين جميع الأنبياء والمرسلين ، ولكن النصرانية اليوم لا تمنع الخمور ولا الفاحشة ولا العلمانية . ففي جميع المجتمعات الغربيّة تعيش النصرانية الحديثة في وئام وتناغم مع العلمانية والعولمة والديمقراطية وجرائمها وفواحشها وظلمها .

إذن ماذا يريدون من الإسلام ، ولماذا يحاربونه حرباً ممتدّة في التاريخ ، لا تكاد تهدأ حتى تثور ثانية أشدَّ وأعتى !

لقد عرف هؤلاء المجرمون من تاريخهم الطويل مع الإسلام أنه لم يقف أمام أطماعهم وجرائمهم إلا الإسلام الحق الذي جاء به محمد ﷺ في رسالته الخاتمة ، لقد وجدوا أنهم يمكنهم أن يساوموا ويشتروا ويبيعوا مع شعوب كثيرة إلا أمة الإسلام الواحدة التي تقف صفّاً واحداً كالبنيان المرصوص متمسّكةً حقَّ التمسك

برسالة محمد ﷺ ، مترابطين برباط أُخوة الإيمان ، ولاؤهم الأول لله ، وعهدهم الأول مع الله ، وحبهم الأكبر لله ورسوله ، ولاءٌ وعهدٌ وحبٌ يبني بينهم أخوة الإيمان صافية صادقة ، يطلبون الدار الآخرة ورضوان الله والجنَّة ! هذه الأمة وقفت عبر التاريخ كله تنصر الله ورسوله ودينه ، لا تساوم على حقٍّ ، ولا تتخذ من دون الله أَنداداً ، ولا تُقيم في دنياها أوثاناً من مصالح وأهواء ورجال تعبدهم من دون الله ! ولا تتمزّق شيعاً وأحزاباً .

هذه الأمة المسلمة الواحدة ، وهذا الدين الحق ، حاجةُ البشرية كلِّها لتمنع الظلم والفساد في الأرض ، ولينعم الناس حقاً بالحرية الطاهرة المنضبطة ، والعدالة الصادقة النابعة من منهاج الله . فذلك كله لا يمكن أن يقوم إلا بالإسلام الحق وفي الإسلام الحق !

لقد عرف هؤلاء المجرمون في الأرض أن هذه الأمة وهذا الدين هما العقبة الكبرى أمام أطماعهم وعدوانهم وجشعهم ! فقرروا إزاحة هذه العقبة من أمامهم باستخدام شتى الوسائل . وكان أولها ما ذكرناه قبل قليل ، إشاعة الفتن والجنس المتفلّت والفاحشة والخمر وسائر ما يفسد النفوس ، ثم محاربة اللغة العربية وكتاب الله وسنة رسوله ﷺ حتى يعمَّ الجهل بين المسلمين بلغة القرآن وبالقرآن والسنّة . ثمّ يتابعون وسائلهم وأساليبهم حتى يروا الغزوَ العسكري ضرورةً لتحطيم الأمة المسلمة الواحدة وتمزيقها بعد أن مهَّدت الوسائل الأخرى إلى ذلك . لقد خدّروا الشعوبَ بكل وسائل التخدير من إباحة الفاحشة والجنس حتى أصبح ذلك جزءاً من القانون ومن واقعهم العلني . وبنفس الوسائل يريدون من المسلمين ، ولو مرحليّاً ، أن يُصَلُّوا ويصوموا ويحجُّوا ولا يقربوا السياسة أو الدفاع عن أنفسهم وأَرضهم وديارهم وأعراضهم بما يسميه الله سبحانه وتعالى " **الجهاد في سبيل الله** " فَمَنْ دافع عن شرفه وعرضه وداره فهو إرهابيٌّ شديد الخطر !

واختلطت المصطلحات ، وتاه الناس بينها ، حتى كأنه أصبح من المحرَّم أن نذكر لفظة الجهاد في سبيل الله ، أو الإسلام ، وغير ذلك مما هو محكم في دين

الله . وعليك أن ترفع شعار الديمقراطية ، شعار العلمانية ، وأمثالها ، وتدافع عنها وتنشرها ، فإما أن تفعل ذلك خاضعاً مستسلماً ، وإما أنت عدوّ للمجرمين يجب تصْفيتُك أو حصارك أو تجميدك أو ... !

وأصبح الشعار : " **إما أنت معي وإما أنت عدوّي** " ! هذه هي الحرّية ، وهذه هي الديمقراطية ! لا رأي لك ولا حرّية لك إلا أن تكون " **معي** " مستسلماً صاغراً !

طرحوا من أجل ذلك شعارات كثيرةً ، دوّى بها الإعلام والندوات والمجالس ، بقي الناس حائرين ماذا يُراد منها وإلى أين تدفع الناس . لا بد أن نستعرض بعض هذه الشعارات والمصطلحات لنكون أمناء مع ربنا ومع أنفسنا ومع أمتنا ، لا نَخْدَع ولا نُخْدَع ، صرحاء واضحين مع الحجة والبيّنة !

أولاً : " مع الآخر " !

ماذا يُراد بالآخر ، وماذا يراد له ومنه . منهم من يقول يجب الاعتراف بالآخر ، ومنهم من يقول : يجب الاعتراف بحقوق الآخر ! ويبقى الآخر مجهولاً ، كلٌّ يرسم له صورة عنده . هل الآخر هم اليهود الذين اغتصبوا فلسطين ؟! هل هم النصارى الذين وقفوا مع الغزاة للعالم الإسلامي ؟! هل هو الذي يعلن كلمة الكفر مدوّيةً يسبُّ الله ورسوله ويعلن ذلك ؟! لقد اختلطت الصور والمعاني بين خوف ورجاء . لكننا نريد أن نوضِّح حقيقةً ثابتة في الواقع هي أنه لا يوجد " **آخر** " ضاعت حقوقه ويستحق أن يُعْرَفَ حَقّه فلا يُنكر ، ويستحقُّ أن تردَّ إليه حقوقه ، إلا " **المسلم** " اليوم . " **فالمسلم** " اليوم هو الوحيد الذي ضاعت حقوقه ، وطاف الأرض لاجئاً مستغيثاً ! هو الذي لا يُعترف به ، وهو الغريب في داره وبين أهله! فإذا كان هو الآخر الذي يُراد الاعتراف به وبحقوقه ، فذلك حق ! وليس في التاريخ البشريّ كله من أوفى حقوق الآخرين ورعاهم مثل الإسلام !

ثانياً " الإنسانية " :

شعار كان أول من رفعه الماسونيّة ، وانتشرت هذه اللفظة ليتخفّى وراءها أعتى

المجرمين في الأرض ، ويضلَّل بها المغفّلون ، وليحشرها بعض العلماء والدعاة والفقهاء حشراً في الإسلام بصورة غريبة .

إن مفهوم الإنسانية في الإسلام مفهوم يختلف كلية عن مفهومها لدى الماسونيّة والعلمانيين والليبراليين والديمقراطيين وغيرهم . وربما يتحدث بعض هؤلاء عن الإنسانيّة شعاراً ، من بقية فطرتهم التي فطرهم الله عليها والتي شوَّهوها وأفسدوها حتى انحرفت وطُمستْ فيها معظم معاني الفطرة السويّة . والإنسانية عندهم كلمة تخرج من أفواهَهم يتاجرون بها ، أو قاعدة يضعونها في بيان أو شعار لا رصيد لها في الواقع أَبداً . إنها كلمة وشعار لا يتمثل بخطوات تشريعية واقعية في ميدان الممارسة والتطبيق . أين الإنسانية في سجون غوانتنامو، أو سجون العراق المحتل ، أو أعمال اليهود في فلسطين ، أو أعمال أمريكا وحلفائها في أفغانستان والعراق وغيرهما ؟!

الإنسانية الحقيقية لا يمكن أن توجد خارج الإسلام . إنها في الإسلام ، وفي الإسلام فقط ، لأنه دين من عند الله ، ولأنه دين الفطرة السليمة التي فطر الله الناس جميعاً عليها ، ولأن تشريعه أقام الإنسانية عملياً في واقع الحياة ، ولأن الإسلام قدّم أروع النماذج العملية في تاريخه الطويل ، ابتداءً من سيرة الرسول ﷺ ، وسيرة الخلفاء الراشدين ، وسيرة الصحابة والتابعين والصالحين على مرّ التاريخ، ويبرأ الإسلام ونبرأ نحن من كلّ ظُلْمٍ وقع من أي مسلم في الأرض ، لأن الله حرّم الظلم على نفسه وجعله محرّماً بينَ الناس ، ولكن الناس أنفسهم يظلمون .

وأعجب جداً من أحد الفقهاء يكتب مقالة فيها اجتهادات كثيرة منحرفة عن الإسلام ، رددتُ عليها في حينها وعلى غيره في كتابي : " **الانحراف** " ! يقول في مقالته : إن الإسلام لم يُقرَّ أخوة الإيمان فقط بل أقر أخوة الوطنية وأخوة القومية وأخوة الإنسانية ، ثم استشهد بحديث نسبه إلى الرسول ﷺ رواه الإمام أحمد : " أنا شهيد على أن الناس إخوة في الإنسانية " . وبحثت في كل ما ورد عن الإمام أحمد فما وجدت لهذا الحديث أصلاً ولا أثراً . ويقول رجل آخر في

إحدى الفضائيات في حوار له حول النشاط النووي هنا وهناك ، فلما سأله المحاور عن الدين ومدى استفادته منه وما موقعه من العرب والمسلمين ، قال كلاماً كثيراً جاء فيه ما معناه : أنا أعمل على صعيد دولي ، ونعمل على أساس " الإنسانية ! وأي إنسانية يريدها صاحبنا ، إنسانية ، إنسانية اليهود أم أمريكا أم .. أم ... !؟ أصبحت لفظة الإنسانية شعاراً خالياً من أي معنى ، يتاجر بها الطغاة والمجرمون والمفلسون !

وشعار الإنسانية لم يَرد في التاريخ الإسلامي ليُتاجَر به ، وإنما وردت الإنسانية في الإسلام تشريعاً كاملاً وتطبيقاً كاملاً ، حتى كأنّ الإسلام هو الإنسانية . من خلال هذا الشعار قُتلت الإنسانية ، وتسلَّل المجرمون إلى جرائمهم المريعة .

ثالثاً : " لهم ما لنا وعليهم ما علينا " :

شعار أطلقه دعاةٌ مسلمون وعلماء مسلمون يقصدون به أن لليهود والنصارى في حكم الإسلام ما للمسلمين ، ويزعمون كاذبين أن هذا حديث لرسول الله ﷺ ، وما كان لرسول الله ﷺ أن يقول ما يخالف كتاب الله وما يخالف أحاديثه الصحيحة والثابتة . الإسلام حفظ حقوق أهل الكتاب كما أمر الله ورسوله في أعلى درجة من العدل والرعاية والحماية، ولكن لا يمكن أن يساوي المسلم بغير المسلم، وقد جاءت النصوص من عند الله على غير ذلك . ولكن الذين افتروا هذه الفريّة إنما حرّفوا حديثاً صحيحاً لرسول الله ﷺ، حَذفوا معظمه وأخذوا بآخر جملة فيه . فالحديث الصحيح : عن أنس رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال : " **أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، واستقبلوا قبلتنا ، وأكلوا ذبيحتنا ، وصلوا صلاتنا ، فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم ، ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم** " [واه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي وابن حبان وغيره] (١)

(١) صحيح ابن حبان : ج١٣ ص ٢١٥ رقم ٥٨٩٥ .

وهذا هو معنى الآية الكريمة من سورة التوبة :

﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [التوبة: ١١]

فهذا الشعار الذي أطلقوه افتراءٌ على الله ورسوله ﷺ . وكلُّ ما يُنسَب إلى الرسول ﷺ مخالفاً لكتاب الله أو لحديث صحيح فهو كذب وتحريف باطل . ففي ندوة فقهية على إحدى القنوات تحدّث أحد الفقهاء وردّد هذه المقولة مدَّعياً أنها جزء من عهد الرسول ﷺ إلى نصارى نجران . نعم إن هذا النص موجود في تلك الوثيقة التي لم تثبتْ صحتها وصدقها . وكما قال د. محمد حميد الله في كتابه " مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة " ، " أما الوثائق التي لا تشمل إلا على الحقوق دون الواجبات أو التي تذكر أشياء لم توجد في عصر النبيّ ﷺ فنعدّها موضوعة ، كبعض العهود التي زعموا أن النبي ﷺ كتبها للنصارى واليهود والمجوس " . ثم يفصّل د. محمد حميد الله ويضرب أمثلة على ذلك . ونحن نقول إنه مهما كانت الوثائق والأوراق ، ومهما كان مصدرها فإنها كذبٌ إذا خالفت نصّ القرآن الكريم أو الحديث الصحيح .

وهنا يثور السؤال : لماذا تواترت في هذه الآونة هذه المقولة على لسان بعض الدعاة والشيوخ ؟! أكان ذلك دفاعاً عن دين الله ؟! أم دفاعاً عن فئة ظالمة اعتدت على حقوق الناس ولم يعتدِ أحد على حقوقها ؟!

أم يريد بعضهم إثارة ذلك كجزء من مخطط كبير يهدف إلى تغيير واقع المسلمين إلى صورةٍ من صور العلمانية وعزل الإسلام عن الحياة ؟!

فمن هذه الأمثلة وغيرها ندرك أن غاية الغرب العلماني في هجومه الجنونيّ على العالم الإسلامي ، أن يحوّل المجتمع الإسلامي إلى ما هم عليه من انحلال وفاحشة وفساد ، إلى العلمانية ، لينسلخ المسلمون عن دينهم . ولقد تواترت الأحداث والوقائع التي تشير إلى هذه النيّة الإجرامية الفاسدة ، ونسوا أن الله هو حافظ دينه وكتابه والمؤمنين الصادقين أبد الدهر .

إنها فتنة كبيرة جداً ، ممتدَّة في التاريخ ، ولكنها اليوم آخذة بالاتساع والازدياد ، يقودها الغرب كله بقيادة أمريكا ، يريدون سلخ المسلمين عن دينهم ، وجعل المسلمين يلقُون سلاحهم يستسلمون لهم ، ويتخلّون عن أرضهم وثرواتهم !

إنها فتنة كبيرة ، تمضي على نهج وخطة ماكرة يديرها شياطين الإنس والجن في الأرض :

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠) ﴾ [الأنفال: ٣٠]

فهل يستيقظ المسلمون ، ويعودون إلى ربهم يلجؤون إليه صادقين تائبين منيبين إليه ، فعسى أن ينقذنا الله إن صدقنا وأوفينا .

إنهم يريدون أن يصبح المسلمون مثلهم علمانيين ، يفضِّلون الدنيا على الإيمان بالله واليوم الآخر والدار الآخرة ، يؤثرون الدنيا على الآخرة ! فذلك ما أشار إليه القرآن الكريم في آيات نأخذ قبسات منها :

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ . . . ﴾ [البقرة: ١٠٩]

﴿ وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٦٩) ﴾ [آل عمران: ٦٩]

﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (٨٩) ﴾ [النساء: ٨٩]

إنّ هذه الآيات الكريمة لتكشف حقيقة المعركة الدائرة في التاريخ البشري ، والدائرة اليوم . إنها محاولة أولئك عزل الإيمان عن الحياة الدنيا ، وتصوير التقدّم والحضارة مجرد عمائر وعلم مادي وترف وبذخ لطائفة من الناس ، وفقرٍ وقهرٍ لطوائف أخرى ، خدراً يخدّر الجميع :

﴿ وَلَوْلا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الزخرف : ٣٣ - ٣٥]

هنا لا بد أن يقف كلُّ إنسان عاقل منصف ليفكر في لحظات الموت التي يفارق فيها كلَّ متاع الحياة الدنيا إلى حفرة يهالُ عليه فيها التراب ، ثم يغادره الأهلون والأصحاب ويبقى وحده ليَلاقي شيئاً جديداً . شيئاً إنه من علم الغيب ! كلّ علوم الإنسان ووسائله لا تستطيع أن تكشف أيَّ شيء من ذلك ، من علم الغيب ، ولا مصدر لمعرفته إلا من الأنبياء والرسل الذين بعثهم الله على مرّ التاريخ يدعون الناس إلى عبادة الله الواحد الأحد ، ويدينون بدين واحد هو الإسلام ، حتى ختموا بالنبي الخاتم محمد ﷺ :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل: ٣٦]

من هنا ، مما أوحى به الله لعباده المرسلين نعرف بعضاً من نبأ الغيب ، فالغيب لا يعلمه إلا الله :

﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [النمل: ٦٥]

والذين ينكرون الغيب ، لا ينكرونه إلا بالظنّ والوهم ، فليس لديهم أيُّ علم يبنون عليه إنكارهم للغيب ، فلا حجّة لديهم أبداً :

﴿ وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النجم: ٢٨]

ولقد عُرِف الأنبياء والمرسلون بخصائص رئيسة : أنهم لا يكذبون ، على

مستوى عال متميّز من الخلق والعقل ، مع كل رسول آية معجزة تصديقاً له ، ورسالة يوحى بها إليه من عند الله ليبلّغها لقومه خاصّة ، وأما محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين فقد بعثه الله للعالمين ، للناس كافة ، ليحمل رسالته من بعده أمّته التي اختارها الله خير أمة أُخْرِجَتْ للناس : فحجّة الرسل والأنبياء معهم : صدقُ بلاغ ، معجزاتٌ وبرهان ، يخاطبون الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، آيات بيّنات في السموات والأرض وفي أنفسنا ! أما أولئك المنكرون فمالهم من حجة إلا الظن والوهم !

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾

[آل عمران: ١١٠]

هذه هي أهم خصائص الأمة التي اختارها الله لتكون خير أمة : **تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله ... !** فأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على أساس الإيمان بالله فهو تبليغ رسالة الله إلى الناس كافّة وتعهّدهم عليها ، تبليغها إلى الناس كافّة كما أنزلت على محمد ﷺ .

ولقد جعلنا نهج مدرسة لقاء المؤمنين نهجاً يحقّق تبليغ ذلك تبليغاً دقيقاً وتعهّداً كاملاً ، نسأل الله المغفرة والقبول والهداية والتثبيت !

رابعاً : الإسلام والعروبة :

منذ القرن التاسع عشر اشتد التغنّي بالعروبة من خلال دعوة تسلخ المسلم عن دينه :

بلاد العرب أوطاني ... من الشام لبغدان
ومن نجد إلى يمن ... إلى مصر فتطوان
فلا حدٌّ يباعدنا ... ولا دينٌ يفرّقنا

لسان الضاد يجمعنا بغسان وعدنان [1]

وانتشرت هذه الأناشيد وأمثالها انتشار النار في الهشيم ، بصورة عجيبة غريبة ، لا تكاد تدرك ما هي القوى التي تنشرها وتغذّيها ، قوى خفيّة وقوى ظاهرة ، وجرأة غريبة ، وأما المسلمون فغائبون لا يبلّغون دينهم ورسالتهم كما أمرهم الله ! ولا يبذلون الجهد الحق ! وإن دعوا إلى شيء من الإسلام ، فإنما يدعون إليه مع شيء من التحريف يسمونه الاجتهاد ، ولكنه اجتهاد ظاهر الخلل والانحراف . وكان أول أثر لهذه الدعوة العروبية أن انسلخ بعض المسلمين عن دينهم ، وتمسّك النصارى بدينهم وضاعفوا جهدهم في حركات تنصيرية ممتدّة في جميع أنحاء العالم الإسلامي ، يجعلون " دعوى العروبة " باباً لسلخ المسلم من دينه أولاً ، ثم إغرائه بالنصرانية ، وما يدّعون من افتراءات ومصالح مادية دنيوية ، يغذّي ذلك ويحميه قوى كبيرة في الأرض ، قوى الغرب العلماني الديمقراطي العولمي ! وفُتن كثير من المسلمين عن دينهم . ومنهم من اكتشف الحقيقة بعد سنوات طويلة فعادَ ، وهم قلة ، ومنهم من مضى في ضلاله يضع جهده كله في خدمة النصْرانيّة والعلمانية والديمقراطية تحت شعار الإسلام .

والظاهرة الغريبة أنَّ ضعف اللغة العربية بين العرب وبين المسلمين رافق الدعوة إلى العروبة والقومية العربية . وما زالت اللغة العربية تزداد ضعفاً بين أبنائها بهذه الدعوة !

هذه إحدى مظاهر الفتنة الكبيرة ، لأنها تمسُّ مصالح قريبة من النفس ، قضايا فطريَّة حرّفوها وشوّهوها . ثم تكونت حركات سياسية وأحزاب وشيع تركت الإسلام ، وأخذت تدعو إلى : القومية العربيّة ، البعث الاشتراكي ، ... !

نعم إن الله سبحانه وتعالى أكرم العرب وشرّفهم باختيار خاتم الرسل منهم ، وكذلك باختيار لغتهم ـ اللغة العربية ـ لتكون لغة المسلمين ، لغة كل مسلم. ولكن

(١) قائل هذه الأبيات : فخري البارودي من دمشق . وإليه تنسب أشعار وأناشيد بهذا الاتجاه .

الله سبحانه وتعالى حرّم في الوقت نفسه أن يَتحول هذا التكريم والتشريف إلى عصبية جاهلية تمزّق المسلمين أحزاباً وشيعاً . وكان أمر الله لرسوله وللمؤمنين واضحاً وحاسماً :

﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٣٠) مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢)** ﴾ [الروم: ٣٠ - ٣٢]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **إن الله عزّ وجل قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء ، مؤمن تقيٌّ وفاجر شقيٌّ . أنتم بنو آدم ، وآدم من تراب ، ليدعنّ رجال فخرهم بأقوام ، إنما هم فحمٌ من فحم جهنم ، أو لَيَكُونَنَّ أهونَ على الله من الجُعْلان التي تدفع بأنفها النتن** "
[أخرجه أبو داود والترمذي](١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال : " **من قاتل تحت راية عِمِّيَّة ، يدعو إلى عصبية ، أو يغضب إلى عصبية ، فقتله (فقتاله) جاهلية** "
[رواه ابن ماجه ومسلم والنسائي](٢)

وكان من العرب من حارب الله ورسوله ، ومن نزل به حكم الله فكان مصيره إلى جهنم وساءت مصيراً ، مثل أبي لهب ، وغيره . فلم يكن تكريم العرب لدمهم أو عرقهم ، فقد أكد الله سبحانه وتعالى أنه رب الخلائق أجمعين لا يفضل عرقاً على عرق ، وإنما التفاضل بالتقوى والطاعة والتزام الإسلام :

﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)** ﴾ [الحجرات: ١٣]

---

(١) سنن أبي داود : ٣٥/ ١٢٠/ ٥١١٦ ، الترمذي : ٥٠/ ٧٥/ ٣٩٥٥ ، ٣٩٥٦ .
(٢) ابن ماجه : ٣١/ ٧/ ٣٩٩٦ ، النسائي : ٢٧/ ٢٨/ ٤١١٥ .

وفي خطبته ﷺ في حجة الوداع ، حيث جاء فيها :

" **أيّها الناس : إن ربكم واحد ، وإنّ أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربيّ على عجمي فضلٌ إلا بالتقوى ، ألا هل بلّغت ؟! اللهمّ اشهد ! قالوا : نعم ! قال : فليبلّغ الشاهدُ الغائب** "(١)

ولكن هذا التكريم للعرب كما ذكرناه باختيار خاتم الأنبياء منهم وباختيار اللغة العربية لغة الرسالة للعالمين ، تكريم قائم ما داموا يتنافسون مع غيرهم بالتقوى ، وبالتقوى فقط ، وبحملِ الرسالة كما حملوها أول مرّة . فإن تراخوا عن ذلك ، ولم يلتزموا أمر الله وأمر رسوله عن إيمان صاف صادق ، فلا يعود لهم من التشريف والتكريم حق ، ويستبدل الله قوماً غيرهم !

﴿ ....وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴿٣٨﴾ ﴾ [محمد: ٣٨]

ويظل النداء الربّاني مدوّياً في الكتاب والسنة : **أطيعوا الله ورسوله ! أطيعوا الله ورسوله ! أطيعوا الله ورسوله !** لتكون هذه الطاعة هي أساس التقوى، ومصدرَ كلّ قوة ، وبابَ كلِّ نجاة ، وبغيرها يُفقد ذلك كله .

خامساً : المواطنة :

وانتشر هذا المصطلح ، وأخذ يدعو إليه بعض الدعاة المسلمين ، حتى قال بعضهم : " إن أُخوّة الإيمان ، وأهل الكتاب ، والمسلمين ، هذه أمور كانت عندما كان للإسلام دولة ، أما اليوم فلا دولة للإسلام ، فهذه كلها أصبحت قضايا تاريخية، وأصبح الوطن اليوم للجميع من يهود ونصارى لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين " ! لم يعد أعداء الله من المجرمين في الأرض بحاجة أن يبذلوا الجهود للدعوة إلى ذلك ، فقد كفاهم بعض المسلمين مؤونة ذلك ! أو يحاول بعضهم أن يؤول بعض الآيات والأحاديث تأويلاً فاسداً ليدَّعيَ أنَّ عصبيته الوطنية الجاهلية من الإسلام . **ولكنَّ المسلمَ هو أحرص الناس على وطنه بدافع الإيمان وليس بدافع العصبية الجاهلية !**

(١) جمهرة خطب العرب : ج١ : ص : ١٥٧ .

إن الإسلام أعاد صياغة جميع العلاقات البشرية صياغة إيمانيّة ربانيّة لتظلَّ القضيّة الأولى في حياة البشرية هي قضية الإيمان والتوحيد، قضية الدار الآخرة، قضية الموت والبعث والحساب والجنة والنار .

ويريد العلمانيون أن يسخّروا العلاقات البشرية من وطنية ، وقومية ، وإقليمية ، وعائلية ، وحزبية ، لتظلّ القضية الأولى في حياة البشرية هي الدنيا ، والحياة الدنيا وزينتها ، وزخارفها ، ولهوها وفجورها :

نهجان قد ميّز الرحمن بينهما نهجُ الضلال ونهجُ الحقّ والرشَدِ
لا يجمع الله نهج المؤمنين على نهج الضلالِ ولا صدقاً على فَنَدِ

إنه ابتلاء من الله لعباده ، ليختار كلٌّ إنسان السبيل الذي يريده ثم يلقى الجزاء العادل الحق ، فمن آمن واهتدى فجزاؤه الجنّة ، ومن ضلّ وكفر فجزاؤه جهنم خالداً فيها :

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً (٣٠) ﴾
[الكهف: ٢٩، ٣٠]

ألا ترى من خلال هذه الجهود الضخمة التي يبذلها المجرمون في الأرض معالم اللعبة الماكرة ، اللعبة التي تظلُّ نهج المجرمين المفسدين .

الفصل الثالث

مراحل وأدوار !

وغموض وأسرار !

لقد أخذت أعراض المرض تظهر على ياسر عرفات وهو في منزله المحاصر فيه منذ سنتين ونصف تقريباً ، لا يملك مغادرته ، ولكن يستقبل زائريه، ويدير العمل فيه . وتبيّن مع اشتداد المرض أنه لا بدَّ من معالجة سريعة في أحد المستشفيات ، فاستعدت فرنسا لاستقباله ومعالجته في مستشفى "بيرسي " العسكري في ضواحي باريس . ودار خلاف على إمكانية السماح له بالعودة إلى رام الله إذا عوفي من مرضه ، حيث رفضت ذلك إسرائيل .

تمَّ نقله إلى فرنسا يوم الجمعة في٥/ ٩/ ١٤٢٥هـ الموافق ٢٩/ ١٠/ ٢٠٠٤م ، و أدخل مستشفى " بيرسي " في جوّ إعلاميّ مضطرب . فتوفي هناك صباح يوم الخميس الساعة الثالثة والنصف بتوقيت باريس ، وأعلن ذلك رسمياً ونشرت الخبر معظم وسائل الإعلام ، وذلك في ٢٨/ رمضان ١٤٢٥هـ الموافق ١١/ ١١/ ٢٠٠٤م .

أقيم حفل توديع رسمي لجثمانه في باريس يوم الخميس ، ثم نقل جثمانه إلى القاهرة في نفس اليوم . وأقيم حفل تشييع رسمي له في القاهرة حضره معظم زعماء العالم العربي وعدد من ممثلي الدول الأجنبية على مستوى وزراء الخارجية في أغلبهم يوم الجمعة ، ثم نقل إلى العريش بطائرة مصرية ، ومنها بمروحية إلى رام الله ، حيث تم دفنه في " المقاطعة " التي كان يقيم فيها ، في تشييع رسمي حضره جميع قادة المنظمة في المنطقة .. وذلك كله يوم الجمعة ٢٩/ رمضان ١٤٢٥هـ الموافق ١٢/ ١١/ ٢٠٠٤م .

هنالك أسئلة حائرة ما زالت تنتظر الإجابة الشافية لدى معظم الناس ، نذكر أهمها :

أولاً : لماذا حاصرته إسرائيل في منزله في رام الله ، ومنعته من مغادرته، مع أنه كان يشاع عنه أنه ليس عدواً لإسرائيل . لماذا انتشرت هذه الشائعات ؟! ومَنْ كان وراءها ؟! وانتشرت شائعات مغايرة لها ، فمن وراء الشائعات كلها ؟! وما هو الهدف منها ؟!

ثانياً : ما هو المرض الذي أصابه ومات بسببه ؟! المستشفى لم يصدر بياناً طبّياً يحدّد المرض وسبب الوفاة ، والأطباء لم يصدروا ذلك ، وعُمّي على الموضوع وسكت الجميع عنه ؟! ثمّ صدر بيان طبّي بيَّن عدم وجود أيّ نوع من السموم في دمه ، دون أن يبيّن المرض الذي قتله ، وانتشرت إشاعات وأقاويل .

ثالثاً : لماذا هذا الإعلام العربي والدولي الذي شيّعه في فرنسا ومصر ورام الله ، واستمرَّ أيَّاماً بعد وفاته دون أن يعلن سبب وفاته الحقيقي ، وإنما زاد الأمر غموضاً وأسراراً .

لعلنا نجد الإجابة على ذلك من خلال عرض بعض الحقائق في النصف الثاني من القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين .

لقد كان الشعار الوحيد والهدف الوحيد للشعوب الإسلاميّة والدول كذلك حتى الستينيات من القرن الماضي هو طرد اليهود المعتدين الغاصبين من فلسطين وإعادتها كاملة إلى الأمة الإسلاميّة ، وحيناً يُصرُّ الشعار على الأمة العربيّة متجاهلاً الأمة المسلمة ، وحيناً يجمع بينهما : العالم العربي والعالم الإسلامي ، أو الأمة العربية والأمة الإسلامية ، مما يكشف عن حَيْرَتِنا واضطراب هويتنا في معركتنا فمن نحن ؟! وهل الأمة العربية غير مسلمة ؟!

وقامت دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨م ، ودخلت الجيوش العربيّة وقبلها جيش الإنقاذ ليعيدوا فلسطين ويهزموا اليهود . ولكن دخول الجيوش العربيّة لم يكن يصحبه النهج والتخطيط ، ولا اجتماع القلوب أو الرأي أو الصف . فكانت الهزيمة المنكرة للعرب ، وتمكنت إسرائيل وقواها المختلفة أن تتخلل في واقع

العرب فتزيدهم فرقة وخلافاً وتناقض مصالح ورؤية . ولكن ظلّ الشعار الذي يُرضي الرأي العام متمثلاً في اللاءات الثلاث التي اشتهرت والتي تمثل رأي الحاج محمد أمين الحسيني رئيس الهيئة العربيّة العليا لفلسطين : لا للمفاوضات، لا للتنازلات ، لا للسلام مع إسرائيل ، بل الحرب حتى النصر . واستطاعت الشعارات وضجيجها أن تُخدِّر الشعوب العربيّة وحركاتها ومؤسساتها من ناحية ، وأن تَعدَ الجميع بالوصول إلى مرحلة تتحوّل فيها الشعارات إلى واقع وأهداف حقيقيَة ومواقف ، دون وجود خطوات لبناء قوة حقيقية تحتاجها المعركة ، ودون وجود أيَّ نهج أو خطّة .

يبدو أنَّ الدول العربيّة شعرت أنها لا تقوى على مجابهة اليهود عسكريّاً ولا سياسيّاً فمن ورائها أمريكا وأوروبا وروسيا وغيرهم . وبدأت شعارات تقوى وتضج بأن لإسرائيل الحقّ في البقاء ، وذلك بين أفراد وفئات مختلفة من الاتجاه اليساري .

وجرت ، كما يبدو، مفاوضات مع الحاج محمد أمين الحسيني لإقناعه بتغيير سياسته ومواقفه وتبنِّي سياسة المفاوضات وما يتبعها . إلا أن مفتي فلسطين ورئيس الهيئة العربيّة العليا لفلسطين لم يرضَ بذلك . وظلّ شعاره وموقفه متمثّلاً في الجملة التي قالها في إحدى اللقاءات معه : " **قد يغفر الله لنا إن هُزِمْنا في معركة عسكرية ، ولكن أخشى أن لا يغفر الله لنا إن تنازلنا عن أيّ شبر من أرض فلسطين** " . وانتهى دور الهيئة العربيّة العليا، ودار نشاط واسع بين الفلسطينيين في مختلف مواقعهم في البلاد العربيّة لاختيار العناصر المناسبة الجديدة لقيادة الشعب الفلسطيني في المرحلة الجديدة .

قرأت وأنا في القاهرة للدراسة في جامعتها في صحيفة الأخبار أو الأهرام، لم أعد أذكر الآن ، خبراً في مربع صغير يقول ما معناه : " **إنَّ الذي سيقود الشعب الفلسطيني بعد الحاج محمد أمين الحسيني هو السيد ياسر عرفات** " . كان

ذلك بين عامي ١٩٥٨ - ١٩٥٩م كما أعتقد . ولم يكن ياسر عرفات في تلك اللحظات معروفاً على مستوى إعلامي عربي أو دولي أو حتى محلّي ، بالرغم من ضجيجه وحركاته .

كان ياسر عرفات رئيساً لرابطة الطلاب الفلسطينيين ، التي لم يُنشئها هو ولا علاقة له بإنشائها ، وربما كانت بدايتها من الشيوعيين الفلسطينيين في مصر أولاً ثم انتزعها منهم الشباب المسلمون الفلسطينيون . ولما كان هنالك تضييق على الإسلاميين في أوائل الخمسينيات على أثر اصطدامهم مع عبد الناصر واعتقال الآلاف منهم ، وإعدام بعض قادتهم ، فكَّر الجهاز السرّي لهم بترشيح شخص غير منتم للإخوان ، على أن يكون له مسحة إسلامية ، فوقع الاختيار على ياسر عرفات ، وربّما رشّحه عنصر من أجهزة المخابرات التي كانت قد تسلّلت واخترقت صفوف المسلمين .

لقد حدّثنا بذلك أحد أفراد الجهاز السرّي هو السيد فايز حزينة ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ ، فلقد كان نموذجاً حيّاً للصدق والذكاء وسرعة الحركة وعدم حبّ الظهور ، حتى أُخرج من مصر هو والسيد أسعد سفطاوي ، حدثنا بذلك في جلسة في أحد البيوت في حي الأزهر ، حضرته أنا والأخ المسؤول عن التنظيم الأردني، وكنت أنا آنذاك مسؤولاً عن التنظيم الفلسطيني الذي أَنْشَأْتُهُ لأول مرّة ، حيث لم يكن قبل ذلك تنظيم خاص بالفلسطينيين ، كما للسوريين والأردنيين وغيرهم . ومما ذكره لنا الأخ فايز رحمه الله في هذه الجلسة أن ياسر عرفات له علاقاته الممتدّة ، ومعه صلاح خلف وخليل الوزير ، وذكر الأدلّة التي اجتمعت لديه أو لدى الجهاز السرّي أخيراً عن ذلك . كان ذلك قبل إبعاده عن مصر بمدّة قليلة .

كانت القيادات الفلسطينية آنذاك شبه معزولة عن النشاط إلا نشاطاً محدوداً لا يستطيع أن يغيّر اتجاه ما يخطط على الساحة العربيّة والفلسطينية ، مما اضطرَّ الحاج محمد أمين الحسيني إلى مغادرة مصر سرّاً في ليلة كنتُ عنده حتى الساعة الثانية عشر ليلاً . كيف غادر لا أدري ! ولكن أعلم أنه لم يكن في مصر في اليوم

التالي ، وأنه غادر إلى لبنان . وتحرّكات المفتي كلّها مفاجئة بعد أن يكون أعدّ كلّ الترتيبات لها .

التقيتُ ياسر عرفات أول مرّة بعد وصولي إلى القاهرة سنة ١٩٥٦م طالباً في كلّيّة الهندسة في جامعة القاهرة ، التقيته في رابطة الطلاب الفلسطينيين ، وكان صلاح خلف موجوداً وبعض الشباب الذين قدَّموا لي ياسر عرفات بأنه المسؤول عن الفلسطينيين . لم أسألْ ولم أستوضحْ . وأخذ بعد ذلك يتردّد لزيارتي في شقّتي في شارع الدقّي مقابل حديقة الأورمان عمارة رقم (٣) شقة (٢٥) . وتوثقت الصلة مع الأيام وصار يزورني كلّما جاء القاهرة ، وينام عندي في الشقة، ويحدّثني أحاديث متنوعة مثل : أنه كان عند الضابط فلان أو من عند فلان ، دون أن أعلّق أو أسأل .

وكما ذكرت ، كان قد انتُخب من قبل الشباب المسلمين رئيساً للرابطة بعد أن تمّ ترشيحه لذلك من قبل الإخوان ، على أساس أنه ليس مُنْتمياً إليهم . ولكن كان يتردّد على المركز العام للإخوان المسلمين ، وخاصة مع حديث " الثلاثاء " ، فتعرَّف على كثير من أفراد الإخوان ومن قادتهم ، وتكوّنت صداقة خاصة بينه وبين القيادي " صالح أبو رقيق " ـ رحمه الله ـ ! ولذلك شاع خطأً أنه من الإخوان المسلمين ، فهو لم يكن ملتزماً بفكر ولا مواقف مما يفترض أن دعوة الإخوان المسلمين قامت عليها .

عندما وصلت إلى القاهرة ، كان ياسر عرفات قد تخرَّج من كلية الهندسة سنة ١٩٥٦ م . فلم يعد رئيساً للرابطة . وأجريت انتخابات جديدة رُشِّح لها صلاح خلف المنتسب رسمياً للإخوان المسلمين . وعندما تكوَّنَ التنظيم الخاص بالفلسطينيين كان صلاح خلف من هذا التنظيم ، وكنت مسؤولاً عنه وعن نجيب أبو لبن رحمهما الله . ومن خلال ذلك عرفت أنَّ صلاح خلف كان أقرب إلى الفكر اليساري منه إلى المنهج الإسلاميّ .

وعندما انتهت الانتخابات وقف ياسر عرفات وأعلن تكوين رابطة الخريجين الفلسطينيين ، الرابطة التي كان هو رئيسها وهو كلّ أعضائها ، ولكن حافظ بذلك على لقب " رئيس " .

واتخذ مقراً للرابطة الجديدة في مقر رابطة الطلاب الفلسطينيين في العمارة نفسها ، في نفس الدور الذي كانت تقوم فيه حكومة عموم فلسطين . ثلاث مؤسسات كانت أقرب إلى الوهم منها إلى الحقيقة والواقع : حكومة عموم فلسطين، رابطة الخريجين الفلسطينيين ، رابطة الطلاب الفلسطينيين .

كانت الدول العربيّة كلّها تبحث عن مخرج لقضيّة فلسطين بعد أن أصبحت دولة اليهود تتحدَّى العالم العربي والإسلاميّ كلّه ، بدعم أمريكي مكشوف ودعم غربي مكشوف . ورأت الدول العربيّة ألا تدخل في صراع عسكري مع إسرائيل. وكانت القضيّة حتى تلك اللحظة قضية العرب أو قضيّة المسلمين حسب الأمنيَّات والشعارات والعواطف . ولكن لا هؤلاء ولا هؤلاء كانوا قادرين على اتخاذ خطوة جريئة حاسمة . كان قد رُفض قرار التقسيم لأنه ما كان يجرؤ أحد على قبوله ، وإلا اتهم بالخيانة والعمالة.

لم يكن يُقْصَد من قرار التقسيم تنفيذه ، وإنما هو مشروع من جملة المشاريع التي سبقته ، إذ كانت الدول الغربية وخاصة الإنكليز تصدر مشروعاً بعد مشروع بعد أن تُوَفِّر جميع الظروف لعدم قبوله ولعدم تنفيذه . ثم يتلوه مشروع آخر لا يُنفّذ ، وهكذا تتأجّل القضيّة وتنمو دولة اليهود في جميع ميادين النمو ، وكانت الدول الغربيَّة التي ترعى دولة اليهود تمضي في ذلك على منهج مقرَّر لديها وخطّة مرسومة ، أمَّا نحن فلم يكن لدينا خطَّة ولا نهج إلا شعارات في جوٍّ من التمزّق والغفوة .

وكانت الخطوة الأولى إلغاء كل دور للهيئة العربية العليا لفلسطين ولرئيسها، وإغلاق معظم مكاتبها في البلاد العربية ، باستثناء مكتب مجاملة ورعاية لمصالح الفلسطينيين في بعض الدول العربية .

لذلك أصبح من الضروري إنشاء مؤسسة جديدة بدلاً من الهيئة ، ورئيس جديد لها بدلاً من رئيس الهيئة . وأُعْلن عن هذا القرار بتصريح جمال عبد الناصر لصحيفة لبرتي الجزائرية جاء فيه ما معناه : " **اتفقت الدول العربية على إنشاء منظمة جديدة للفلسطينيين باسم (منظمة التحرير الفلسطينية) ، ويكون لها جيش خاص ، لتتولّى تنفيذ مقررات الأمم المتحدة بالنسبة للتقسيم ، وستتولى الدول العربية جميعها نفقات هذه المنظمة وجيشها** " . كان هذا التصريح سنة ١٩٦٤م .[١]

لذلك أصبحت المهمة الجديدة هي إقناع الرأي العام الإسلامي بقبول مبدأ التقسيم ، والذي يعني الإقرار والاعتراف الضمْنيَّ بدولة إسرائيل ، ولتصبح المسؤولية الأولى والأخيرة عن قضية فلسطين بيد الفلسطينيين أنفسهم . ولم يدر رؤساء الدول العربية آنذاك أنهم قد وضعوا العالم العربيّ كلّه والعالم الإسلاميّ معرضاً للخطر الحقيقي من دولة إسرائيل والدول الغربيّة التي تتبنَّاها . فأنَّى للفلسطينيين أن يقفوا حقيقة في وجه هذه الدولة التي تطورت وامتدّ نفوذها إلى بقاع كثيرة من العالم الإسلامي ، ونما سلاحها وصناعتها ومؤسساتها بشكل واسع وخطير .

وخلال هذه الفترة تكونت جبهات متعدّدة فلسطينية " للنضال " من أجل " عروبة " فلسطين ، وكل جبهة مرتبطة بإحدى الدول العربية . ولما أعلن عن منظمة التحرير ، كان انضمام هذه الجبهات كلّها إلى المنظمة الجديدة جزءاً من الخطة المرسومة . ولكن أوسع هذه الجبهات وأقواها هي " حركة فتح " .

والأحرف الثلاثة مأخوذة من الاسم الحقيقي باختيار الأحرف الأولى وترتيبها من كلمات " حركة تحرير فلسطين " مبتدئة من الكلمة الأخيرة . هذه الحركة كانت النواة الحقيقية لمنظمة التحرير . وهذه الحركة انطلقت بعناصر من الفلسطينيين المقيمين في مصر وسوريا وغيرهما ، والفلسطينيين المنتظمين في

(١) يراجع كتابي : " على أبواب القدس " .

الجيوش العربيّة . واضح أن هذه الحركة لا يمكن أن تقوم بجهد فرد مستقل إلا أن يكون وراءه أجهزة وقوى !

قصّة فتح طويلة وكتب عنها الكثيرون . ولكنني أتحدّث عمّا كان يخصّ التنظيم الفلسطيني الإسلامي التابع لحركة الإخوان المسلمين في مصر .

جاءني ياسر عرفات ذات أمسية ، وبات عندي تلك الليلة بعد أن أمضينا الليل في الحديث عن هذه الحركة التي يريد ياسر عرفات إنشاءَها باسم حركة تحرير فلسطين . ناقشته جاداً وناقشني جاداًّ ، وكان حريصاً على إقناعي بالانضمام إلى الحركة وقد بدأت نواتها . أذكر من بين الأحاديث الطويلة خلاصة رأيه الذي فاجأني به وخلاصة رأيي الذي فاجأته به : أن قال : " أنا لست زعيم الإخوان المسلمين في فلسطين ، أنا زعيم الإخوان المسلمين والنصارى واليهود والشيوعيين والبعثيين وسائر الملل والأحزاب في فلسطين ، وبهذا التصور نريد تحرير فلسطين " . قلت : " **هذا التصوّر لن يحرّر فلسطين ، ولكن فلسطين تحرّر بالجيل المؤمن الصادق مع الله الذي يتحلّى بالخصائص الربانيّة المفصّلة في الكتاب والسنّة ، الخصائص التي يجب أن تجتمع عليها أمة الإسلام ، وبغير ذلك لن تُحَرَّر فلسطين ، وكلّ جهد مبذول خارج هذا التصوّر الربّانيّ سيذهب سدى ، وهو جهد ضائع** . "وقد فوجئت بقوله : " **أنا زعيم الإخوان المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم في فلسطين** " ، يعلن زعامته بشكل مباشر وصريح مطابقاً لما سبق أن نشرته إحدى الصحف كما ذكرت سابقاً . انتهى اللقاء مع بقاء صلة الود . ثمّ قال : " أعطني أسماء من معك لنعتبرهم جزءاً من الحركة " ! قلت : اعتبر كلّ مسلم في الأرض سيكون جزءاً من الحركة الربَّانيَّة التي تريد تحرير فلسطين " ! وفي لقاء ثان جاء يستشيرني من أين يبدأ ؟! أمن السودان ؟! فقد مُنِعَ من الدخول إلى السودان . وأبرز لي جواز سفره ليثبت كيف أنه منع . فلفتَ نظري اسمه في الجواز ليس ياسر عرفات . وما زلتُ أذكر من اسمه كلمة "عبد الرؤوف " ! ثم قال : هل أبدأ من الكويت ؟! ودار حوار حول هذه وتلك . وفي لقاء آخر جاء يعلمني أنه قرر البدء من الكويت . وأنه سيسافر إلى هناك .

والذي غاب عن بالي أنه كان يجري اتصالات سريّة مع بعض أفراد التنظيم الذين يعرفهم . فاتصل بخليل الوزير وانضمّ إليه ، ولكن يبدو أن هذا الانضمام كان قديماً دون علمنا ، كما عرفت ذلك فيما بعد . وانضم إليه عناصر أخرى ، كنتُ أفاجأ حين أطلع على ذلك ، ولكن تبيّن لي نوع العلاقات والارتباطات .

فقد دعاني الأخ كمال عدوان الذي كنتُ أحترم رجولته ولم أكن أتوقع تفلّته . التقينا على انفراد وبدأ بإقناعي بالانضمام إلى حركة فتح . ولما رفضتُ وبيّنتُ له أنَّ هذا الخط لا يمكن أن يؤدِّي إلى تحرير فلسطين ، هددني بأني إذا لم أقبل فسأقتل ! قلت له : " السلاح ليس بيدك وحدك " !

وكنت أسير مع صلاح خلف في بعض شوارع القاهرة ، فأخذ يلحُّ ويغريني بالانضمام إلى حركة فتح . وأغراني بشيء كثير ، فأبيت ، وقلت له : هذا خط سيذهب بقضيّة فلسطين إلى منحى آخر غير التحرير ، ونصحتُ له قدر جهدي .

ولما عزم عرفات على السفر إلى الكويت جاءني مودّعاً ، فاشترطت عليه شروطاً كان أهمها :

- أن لا يقترب من صفّ الإخوان المسلمين الفلسطينيين في الكويت ، وإلا سيُظنُّ بأنه رجل مخابرات . قلت له ذلك لمعرفتي بياسر عرفات وبالواقع هناك .

ولكنّه لم يلتزم بشيء من ذلك .

كان هدفي من ذلك تأخير نشاطه حتى أتخرَّج ، وحماية صفّ الإخوان في الكويت من اختراقه . فسافر إلى الكويت وضمّ إليه جميع أو معظم أفراد الإخوان من مثل يوسف عميرة وموسى نصّار وآخرين . والأدهى من ذلك أنه اخترق جمعية الإرشاد وصار له مكتب رسمي فيها ، وربما قدّم نفسه إليهم أنه من الإخوان . فخالف هذا الشرط . وكذلك انطلق نشاطه في سوريا ، والتقى مع مجموعة فلسطينية كانت تفكر مثل تفكيره ، فنشط معهم ثم اختلفوا ، وحدثت أمور لا مجال لذكرها هنا ، وقُتِلَ ضابط فلسطيني في الجيش السوري هو يوسف

عرابي . واتّهم ياسر عرفات بقتله وأودع السجن ، ثم أفرج عنه بتدخلات كثيرة على غير رغبة من وزير الدفاع آنذاك .

ولكن الأمر الذي ما زال يحيّرني أنه جاءني بالبريد سؤال ماذا تعْرفُ عن " ياسر عرفات " ، لا أذكر مصدر السؤال الآن ، إلا أنه مطلوب أن نجيب على ذلك إلى جمعية الإرشاد التابعة للإخوان المسلمين بالكويت . فأجبتهم برسالة بالبريد أَن له علاقاته الممتدة . ولما جاء صلاح خلف إلى القاهرة من الكويت ، فاجأني بالسؤال : كيف تكتب عن ياسر عرفات ذلك ؟! فقلت له ما أدراك بذلك ؟! قال: لقد وقعت رسالتك بيد عرفات نفسه فإليه يأتي البريد في جمعيّة الإرشاد ، ففتحها وقرأ ما فيها بخطك وتوقيعك ! للمفاجأة لم أسأله ما فعل بالرسالة. ولكن قلت له : إنه هو الذي جلب لنفسه هذه التهمة بمحاولة اختراق صف الإخوان .

وكان قبل ذلك قد بعث بخليل الوزير كأنه مندوب عنه إليّ لزيارة الحاج محمد أمين الحسيني. فسألت خليل الوزير عن هدف هذه الزيارة . فقال : استطلاع رأيه بقضية " فلسطين اليوم " . اتصلت بسماحته وأخذت موعداً وزرناه . وأدرت الحديث كله معه ، فكان إيجابياً متجاوباً مع كل خطوة جادة صادقة لتحرير فلسطين كلها . وربما كان شرطه الأول هو عدم التنازل عن أي شبر من فلسطين مهما تكن الأسباب . ثمّ فاجاءني خليل الوزير بسؤاله سماحته : ما رأيكم في الشقيري والتعاون معه ؟! فقال : نعم ! نتعاون مع كل من يريد أن يعمل لهذا الهدف الكبير . لقد سألته : واقع القضية الآن ولسنوات خلت هادئ لا يحمل نشاطاً، حتى إن معظم رجالات فلسطين لا يبدون نشاطاً ، فما سبب ذلك ؟! وهل يمكن أن ينطلقوا بنشاط موحد ، ونحن الشباب معكم ، على خط يجمع الأمة كلها؟! فرحَّب بذلك كلّ الترحيب .

اعتبرت هذه الحركات محاولات من ياسر ومن معه لإدخالي في حركة فتح، حيث لم تكن العلاقة انقطعت بعد . فقد انقطعت نهائيّاً بعد أن وصلت رسالتي عنه إلى جمعية الإصلاح أو " جمعية الإرشاد " ، كما كانت تسمى آنذاك على أغلب الظن .

لا بدّ من العودة هنا إلى مرحلة سابقة في أوائل الخمسينيات حيث كان الجميع يبحثون عن مخرج أو حل للقضية الفلسطينية ، وكلّما تقدّم الزمن كانت الدول العربيّة تشعر بعجز عن الدخول في معركة جامعة لها ضدّ اليهود كما حدث حين دخل جيش الإنقاذ أوّلاً فأفسد وأضلّ ، ثمّ دخلت جيوش الدول العربيّة ، وانتهى دخولها بهزائم في معظم الجبهات .

في هذه اللحظات كان الفلسطينيون يفكرون بحلّ أو مخرج ، فمنهم من كان يرى أن لليهود حقّاً في فلسطين ، فلا بأس من التفاهم معهم والإقرار بحقّ دولتهم، ومنهم من كان يرى أنه لا طاقة للعرب أو المسلمين بالوقوف في وجه الدولة اليهودية . وكنت أرى رأياً آخر ، جمعت الإخوة في التنظيم الفلسطيني الإخواني في منزل في مصر الجديدة . وعرضتُ رأيي على النحو التالي : **لا يمكن إنقاذ فلسطين إلا بجيل مؤمن صادق يمثّل صفّاً واحداً للمسلمين في أمة مسلمة واحدة. وللبدء بتحقيق ذلك ، يجب تكوين التنظيم الفلسطيني الواحد في جميع الدول العربيّة والإسلاميّة ، ليتولّى جمع صفوف المسلمين أو الحركات الإسلاميّة وكلمتهم على أسس ربّانية ، وبناء الجيل المؤمن الذي لا يساوم ولا يتنازل ، وإنما يخوضها جهاداً في سبيل الله ، بعد أن يكون قد أعدَّ العدّة لذلك** . وكلّفنا الأخ إبراهيم غوشة ليتوجه إلى الأردن لعرض الفكرة على الأستاذ عبد الرحمن خليفة المراقب العام للإخوان المسلمين في الأردن . فعاد الأخ إبراهيم يخبرنا برفض الأخ عبد الرحمن خليفة الفكرة كلها وخاصة فكرة قيام تنظيم فلسطيني يتولّى المهمّة التي عرضناها . أبى أبو ماجد ورفض الفكرة وغضب واعتبر فكرة تكوين تنظيم فلسطيني انشقاقاً عن تنظيم الأردن وغيره من التنظيمات .

الصورة التي كنتُ أعرضها تدور حول حقيقة رئيسة واحدة هي أن النصر هو من عند الله ، وأن الله ينزل نصره على عباده المؤمنين الذين تميّزوا بالتزام الخصائص الإيمانية الربّانيّة المفصّلة بالكتاب والسنَّة . وينزل الله نصره على إحدى

فئتين متصارعتين غير ملتزمتين بالخصائص الإيمانيّة الربّانيّة ابتلاء منه سبحانه وتعالى ، وتمحيصاً لهم جميعاً وكشف ظلمهم وانحرافهم عن الصراط المستقيم . أمَّا الصادقون المتقون الواعون فسينالون إحدى الحسنيين .

أما أن النصر لا يأتي إلا من عند الله للمؤمنين الذين صدقوا والتزموا وأوفوا ، فذلك في آيات متعددة :

﴿ .... وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢٦]

﴿ .... وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأنفال: ١٠]

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ ﴾ [غافر: ٥١]

وأما صراع الظالمين بعضهم ببعض ، فذلك في قوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٩]

فسبيل النصر إذن جليّ ، وهو الاستقامة على أمر الله وعلى الصراط المستقيم الذي بيّنه الله وفصَّله لعباده المؤمنين في الكتاب والسنة ، حتى لا يكون عذر لأحد في شقاق وتمزّق وصراع . ولا ينهض بذلك إلا الجيل الربّانيّ المؤمن الذي يصوغ الكتابُ والسنّةُ واللغةُ العربيّة فكرَهُ ونَهْجَهُ وممارستَه في واقع الحياة الدنيا . هذا الجيل المؤمن يجب بناؤه في صفّ واحد نسميه " **لقاء المؤمنين** " !

لم يجد هذا النهج والتصوّر منذ أوائل النصف الثاني من الخمسينيات مجالاً للإعلام ، ولا آذاناً للسماع ، ولا قلوباً للوعي ، وطغت التصوّرات الأخرى ، وكلُّ تصوّر كان وراءه دولة ترعاه بمذهبها ومصالحها ، وإعلامٌ يُدَوّي به .

يجب أن تتحول الشعارات إلى ممارسة ربّانيّة إيمانيّة تنال رضا الله أولاً ، عسى أن يهدي الله القلوب لتلتقي على صراط مستقيم .

وانتقلت إلى سوريا بعد التخرّج ، وبعد أن تعاهدنا أبناء التنظيم الفلسطيني على نشر هذه الفكرة والسعي لبناء " **لقاء المؤمنين والجيل المؤمن** " . وكان آخر

لقاء لنا في شقّتي في القاهرة ، حيث كلّفني الأخوة ، وكلهم من غزة ، بأن أقيم هذا التنظيم في سوريا لنشر هذه الفكرة ، ليمتد إلى سائر البلاد العربيّة .

وفي سوريا وافق الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله والأستاذ عصام العطار على أن يجتمع الفلسطينيون في تنظيم واحد ، كسائر التنظيمات في البلاد العربيّة ، وشرحنا الأهداف والتصور بإيجاز ، وأخذنا الموافقة ، وتكوّن التنظيم على غير الصورة التي كنّا نرجوها بعيدة عن التصوّر الحزبي والسرّي . ولكن الجهود الخفيّة من وراء الستار كانت تُجْري اتصالاتها سرّاً مع بعض الأفراد مباشرة دون الاعتراف بالتنظيم وقيادته ودون إشعار التنظيم بذلك . وفي الوقت نفسه قامت محاولة أخرى لإقامة تنظيم فلسطيني آخر للإخوان المسلمين الفلسطينيين في غزّة يرأسه الأخ هاني بسيسو ـ رحمه الله ـ ، ويبدو أنه جرت انتخابات ، ونلْتُ عدداً من الأصوات بغيابي دون علمي أو علم التنظيم في سوريا. وأصبح عَملياً هنالك تنظيمان لا يعلم أحدهما عن الآخر . ثم تبع ذلك مشكلات وخلافات ، ومحاولات لتهديم التنظيم الفلسطيني كلّه ، وربط الفلسطينيين أينما كانوا بالتنظيم الأردني . وفشلت المحاولات لتحقيق التصور الذي سبق عرضه . ولكنني كنتُ مؤمناً بذلك كلّ الإيمان ، فتابعت العمل بعد أن أصبحت المسؤول في السعودية وأمين سرّ اللجنة التنفيذية ، وممثلاً للتنظيم في مكتب البلاد العربيّة . وحتى تلك اللحظات كان التصورّ هو عدم الاعتراف بدولة اليهود ، والإصرار على استرجاع فلسطين بكاملها . ولكن وضح لي أنَّ التصورّ الحزبيّ لم يعد قادراً على تحقيق بناء الجيل المؤمن وبناء لقاء المؤمنين . وأصرَّ الإخوة على التصوّر الحزبي ، حتى فاجأنا أحدهم بأن نوافق على قيام دولة فلسطينية ، الدولة التي يدعو إليها ياسر عرفات مدعوماً بالدول العربيّة والدول الغربيّة أو بعضها .

وهذا التحوّل في نهج حركة الإخوان المسلمين تمثَّل في خطاب المرشد العام الموجّه لرئيس جمهورية مصر العربيّة السيد محمد حسني مبارك ، والذي قال فيه ما معناه : " **يجب أن تصرَّ مصر على أن تقبل إسرائيل بحق تقرير المصير**

للشعب الفلسطيني ، وبضرورة قيام دولة بين مصر وإسرائيل وذلك لمصلحة مصر الوطنيّة والقوميّة " . وتمثّل هذا التحوّل بالدعم الكبير الذي قدّمته حركة الإخوان المسلمين لمنظمة التحرير ، الدعم المعلن والدعم السرّي ، كما حصل في إقامة قواعد الشيوخ تحت سيطرة فتح ، والتي يصفها عبد الله عزام ـ رحمه الله ـ بأنَّ كلمة السرّ فيها كانت سبّ الله ورسوله . فلماذا رضي عبد الله عزّام بدخولها ، ولماذا رضي الإخوان المسلمون بالتعاون مع منظمّة التحرير هذا التعاون الكبير وهي ترفع لواء العلمانيَّة ؟! " وتمثّل هذا التأييد أيضاً في المحاضرات العلنيّة لبعض قادة الإخوان مثل محاضرة أحدهم في جامعة الكويت . وتمثّل كذلك في عدم قيام أيّ نشاط عسكريّ لقضيّة فلسطين من حركة الإخوان المسلمين إلا من خلال منظمة التحرير، حتى أصبحت منظمة التحرير بقيادة ياسر عرفات العلماني تسدُّ مسدَّ أيّ نشاط إخوانيّ في قضيّة فلسطين ، كما ذكر ذلك حسن خليل حسن في كتابه " الشهيد عبد الله عزام مجاهداً في فلسطين وأفغانستان " ، حتى إنَّ حركة حماس لم تظهر إلا سنة ١٩٨٧م لتمثّل النشاط العسكري للإخوان المسلمين ، ونصّت في ميثاقها : " إنَّ منظمة التحرير هي أقرب المقرّبين لنا ففيها الأخ والعم والخال ، وهل سيهجر المسلم أخاه وعمه وخاله . ونحن نعلم **أن منظمة التحرير حركة علمانيّة ، .... ، فإذا تركت العلمانيّة فنحن جنودها التي تحترق من أجلها** " .

ودارت الاتصالات بين حركة فتح والإخوان المسلمين الذين انجرفوا عملياً في الاتجاه السياسي المعلن بالمطالبة بقيام دولة فلسطينية . علماً أنَّ ياسر عرفات في خطابه في هيئة الأمم المتحدة أعلن عن مطالبته بدولة علمانيّة في فلسطين ، وبتأكيد صلاح خلف في كتابه : **من أن منظمة التحرير هي حركة علمانيّة مائة بالمائة** [1]، وبانضمام عدد من أفراد الإخوان المسلمين الفلسطينيين إلى حركة فتح ، أصبح تعاون حركة الإخوان المسلمين مع منظمة التحرير وتأييد

(١) يراجع كتاب : فلسطيني بلا هوية ، لصلاح خلف .

سياستها بشكل يقطع كلَّ لبس . يقول الأستاذ حسن خليل حسن عن هذا التعاون بين فتح والإخوان في كتابه :ـ " **الشهيد عبد الله عزام مجاهداً في فلسطين وأفغانستان : ... كان زعماء الإخوان المسلمين في الأردن يشكلون أحد الروافد الرئيسة لمساعدة فتح ماديّاً وسياسيّاً وفي الحقل الاجتماعي . بل ولقد كانوا في أحلك الظروف العصيبة يشكّلون الدَّعامة القويّة للحركة لمساعدتها على الوقوف في وجه كلّ العواصف والأعاصير المدمّرة ...** " .

وفي الحقيقة فخطاب المرشد العام لرئيس الجمهورية المصرية الذي أشرنا إليه قبل قليل ، كان أشبه ما يكون بالإعلان الواضح عن غسل الأيادي من قضيّة فلسطين وإلقائها بين أيدي الفلسطينيين ، وأكّد هذا الاتجاه إعلان حقّ الفلسطينيين بتقرير المَصير ، فأصبحت القضيّة كلّها إذن في أيدي الفلسطينيين وحدهم ، ودفُعتْ منظماتهم إلى ساحة الصراع مع إسرائيل لا يملكون إلا شعارات الوطنية والعَلمانيّة والقوميّة وسلاحاً ضعيفاً لا يستطيع أن يحسم معركة مع إسرائيل . ومهما كانت عقائد تلك المنظمات إسلامية أو غير إسلامية فإنَّهم نزلوا الميدان بصورة قومية إقليمية فلسطينية ، ليظهر التناقض في الساحة مستقبلاً . أما التنظيمات الإسلامية مثل حركة الجهاد الإسلاميّ وحركة حماس ، فقد نزلوا الساحة عملياً كفلسطينيين كحركة إقليميّة ، لم تمدّهم أحزابهم إلا بالدعم المعنوي والمال ولم تمدّهم بعض الدول العربيّة والإسلاميّة إلا بالدعم المعنوي والإعلام الموجّه والمال وغير ذلك . وعللت تلك الحركتان موقفهما هذا بأنه تكتيك ، بعد تراجع حماس عن شعارها : " التحرير من البحر إلى النهر " . وتراجع حركة الجهاد عن شعاراتها الأولى، وأنهم لا يتنازلون عن تحرير فلسطين كلها إلا مؤقتاً ويتركون ذلك إلى الأزمان المقبلة ، وأن هذه هدنة مؤقتة . إنها فلسفة لم تغير شيئاً من الواقع في الميدان إلا التراجع والتنازل الصريح عن جميع الشعارات التي دوّت عند قيام هاتين الحركتين بالإسلام ، فحركة الجهاد مرتبطة ارتباطاً عضوياً بإيران ، وحماس مرتبطة بالساحة العربية وما تجد فيها من إعلام ومال وربما بإيران أيضاً .

ولقد بيّنّا لهم أنَّ جيل اليوم يحاسَب يوم القيامة عن عمله اليوم ، لا عن عمل الأجيال المقبلة . وكلُّ جيل يحاسَب عن عمله . وادَّعاء الهدنة بين ضعيف وقويّ هو أقرب إلى التنازل منه إلى الهدنة . ولكن لم يجرؤ أحد من العالم الإسلامي ولا من الحركات الإسلامية غير الفلسطينية أن ينزل إلى ساحة الجهاد في فلسطين .

لقد أصبحت مطالبة جميع الحركات محصورة بخروج دولة إسرائيل عن حدود السلطة الفلسطينية ، فحسب . وأصبحت العمليات التي تدور في داخل فلسطين هدفها الدعاية وتثبيت وجودهم في الساحة . ولكن ظلّ الإعلام يُدوّي ويؤدِّي دوره المحدد، وأخذ الصمت يمتدّ في العالم الإسلامي ، وامتدّ العدوان إلى أفغانستان والعراق ولا ندري ماذا سيلي بعد ذلك . وأخذت إسرائيل تشغل الناس كلّ يوم بقضية جديدة تنصبّ عليها الجهود ، مثل موضوع تحرير الأسرى ، ومثل موضوع الجدار الفاصل ، ومثل بيت الشرق في القدس ، وغير ذلك . والمؤلم أنَّ الرأي العام كلّه تحوَّل تحت ضغط الشعارات والإعلام إلى التنازل عن تحرير كلِّ فلسطين ، ورضي الرأي العام بحركات الانتفاضة الأولى والثانية ، ورضي بالعمليات الانتحارية " الاستشهادية " وصفَّق الجميع لها . ثمَّ رضوا بعد ذلك بشعار الدولة الفلسطينية مقابل الدولة اليهوديَّة . وظلَّت الجماهير تندفع وراء الشعارات المدويَّة دون أن يسأل أحد عن النهج أو الخطة .

لقد أمضيت على الأقل ثماني سنوات من سنوات وجودي في الإخوان المسلمين ، وأنا في داخل حركة الإخوان المسلمين مسؤولاً أدعو إلى النهج الذي سبق عرضه ، موجزه أنه لا يمكن تحرير فلسطين ولا تحقيق أيّ نصر في أيِّ ميدان إلا بصفّ مؤمن جامع أسميته " **لقاء المؤمنين** " ، على نهج نما وفُصّل على صورة واضحة في نظريته ومناهجه ونماذجه وأهدافه ، وفكره وسياسته وغير ذلك ، في دراسات مفصّلة نشرت في أكثر من مائة وعشرة كتب ، ليكون اللقاء عمليّاً لا مجرد شعار، وليحقق اللقاء بناء الجيل المؤمن الذي سبق وصفه بعيداً عن الحزبية والسريَّة . وبغير ذلك يتعذّر تحقيق أيّ نصر . حتى المطالبة بدولة فلسطينية مقابل

دولة إسرائيل هي مطالبة دعائية أكثر من أن تكون عملية جادة . فالذي يطالب بشيء في عالمنا اليوم يجب أن يكون له قوّة حقيّقية تدعم طلبه ، فالسياسة الدولية لا تتصدق على الضعفاء وإنما تستغلّهم وتلعب بهم وتنقلهم من مرحلة هزيمة إلى مرحلة هزيمة جديدة ، ومن وعود إلى وعود ، ومن تنازل إلى تنازل !

ولا بدّ أن أعترف بأنه مع موافقة الكثيرين في داخل التنظيم الفلسطيني، على النهج الذي أعرضه ، موافقة عاطفية أو فكرية لا تحمل جدّيّةَ تحمُّل المسؤوليّة إلا من عدد قليل، فقد ظلَّ الجميع يتراجعون مع تراجع الحركات وتراجع شعاراتها ، ويؤيدون موقفها في صورة من العصبيَّة الجاهليَّة، دون أيّ محاولة لردّ الأمور إلى منهاج الله ، كما يقضي بذلك كتاب الله .

وعندما عُرِضَ علينا الموافقةُ على المطالبة بدولة فلسطينية على جزء بسيط من أرض فلسطين ، رفضتُ هذا الرأي وناقشته وبيّنتُ الخلل الواضحَ فيه ، فنحن لا نملك أيَّ قوّة على تحقيقه ، وكذلك فإن الذين يطالبون به لا يحتاجون إلى تأييد تنظيم ضعيفٍ مثل تنظيمنا ، وهو نهج مخالف مخالفة كليّة لنصوص الكتاب والسنّة مما لا تسمح لنا النصوص بهذا التنازل الرهيب ، فإذا تنازل غيرنا فما حاجتنا إلى أن نشارك في معصية واضحة ، وأخيراً نتساءل من كان وراء هذا الهدف أو المطلب ؟! وكذلك فإنَّ هذا المشروع معرّض للفشل أكثر مما هو معرّض للنجاح ، ولا أرى الأحداث إلا أنَّها تُصَدِّق الظنّ بأنه لن تقوم دولة فلسطينية إلا سلطة مسخ ، موتها أفضل من حياتها . فأيُّ دولة هذه التي لا تملك شيئاً من مقوّمات الدولة : فالماء من عند اليهود ، والكهرباء من عند اليهود ، والمال من أمريكا وأوروبا واليهود ، وإسرائيل تستطيع أن تدخل إلى أيّ نقطة منها في أيّ وقت تشاء تقتل وتعتقل وتدمر ، والعالم كأنَّه لا يسمع ولا يرى !

لا أشك أنه كان هناك إيحاء من جهة ما بموضوع الدولة الفلسطينية ، حتى وصل الإيحاء إلى التنظيم الفلسطيني .

فعلى أثر رفضي هذا الاقتراح وشرحي لعيوبه وأخطاره ، وعلى أثر اكتشافي أن الموضوع تمَّ " طبخه " بليل ، كما هي العادة ، وأن المناقشة فاشلة وإضاعة وقت ، انسحبت من جميع مسؤولياتي وطلبت أن أكون مجرّد عضو حتى لا أشارك في مثل هذه القرارات والمواقف التي أخذت تكثر في المدة الأخيرة . ولقد عرضت تفصيل ذلك في مذكرة أخرى . وكان ذلك بين شهري " ٤ ، ٥ " من سنة ١٩٧٥م . ثمّ قطع التنظيم الفلسطيني كلَّ صلة معي ، وبدأت مرحلة جابهتها بالصمت ، وتحمل الأذى ، حتى لا ننفق جهودنا في ما لا طائل وراءه .

ثمَّ انطلقتُ أدعو إلى هذا النهج الذي بدأتْ جذوته في القاهرة ، **نهج لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن** ، ثم أخذت تنمو ، وأخذت أزداد يقيناً به ، وجاءت الأحداث تُصدِّق ما كنت أتصوّره وأدعو إليه ، وأخذ الأمل في الساحة يتضاءل حول جدية قيام دولة فلسطينية عاصمتها القدس ، إلا بمقدار ما يحلم بعضهم بتصديق تصريحات بوش التي كذب بها أول مرّة وثاني مرّة ، وسيظلُّ يكذب .

ولا بأس من وقفة سريعة نتلمس بها أبرز معالم قضية فلسطين التي ابتدأت مع دخول الانتداب الانجليزي على فلسطين ، ثم قيام الثورات واحدة تلو الأخرى :

١- أصبحت القضية قضيّة فلسطينية لم تستطع أن تنتقل إلى قضية عربية ولا إلى قضيّة إسلامية ، إلا من حيث العواطف والمساعدات المرهونة بالظروف المتبدّلة .

٢- استطاع الإنجليز والغرب كلّه ، أن ينتقل بالقضيّة لمصلحته ومصلحة اليهود من خلال مشروعات يطرحها لا يريد تنفيذها ، ولكن ليشغل الوقت حتى يطرح مشروعاً آخر ، فمن كتاب أبيض إلى أسود إلى ألوان أخرى .

٣- غاب عن واقع الأمة أمران : الإعداد والاستعداد ، وإعداد الخطة والنهج الذي يجب أن تتبنّاه الأمة كلها أطفالها ونساؤها ورجالها وشيوخها ، بيوتها ومعاهدها وجامعاتها ، شعوبها وحكوماتها . ولكن حلَّ بدلاً من ذلك

ضجيج شعارات فرَّقت الأمة وأحزاب مزّقتها ، وانتماءات متضاربة ، وردود فعلٍ وارتجال، ومظاهرات خدَّرت النّاس.

٤- كثرة المشاريع والحلول التي طرحها الغرب ، والتي لم يُنفّذ منها شيء. ولم تستطع الأمة أن تقدّم أيّ مشروع يحقّق مصلحتها والوفاء بدينها ، إلا التنازل بعد التنازل في مسلسل ثبَّت دولة اليهود .

٥- إن أخطر مصاب حلَّ بالأمّة تمزُّقها أقطاراً وشعوباً ، وأهواءً ومصالح، حتى إن جامعة الدول العربيّة لم تمثّل وحدة العرب ، ولكنها مثّلت تمزَّق العرب ، وانعزال العرب عن أمتهم المسلمة ، الأمة المسلمة التي عمها التمزّق أيضاً ، مع بقاء بعض الشعارات والعواطف والمحاولات، ولكنَّ الخلل استفحل وامتدَّ ، وغلب التخلّف والهوانُ على الأمّة المسلمة كلّها .

٦- لقد كان من نتائج ذلك التمزّق أن تسلل الأعداء إلى دار الإسلام فكراً وعادات ، ومذاهب ، وأصبح لهم جنود وأعوان من المنتسبين إلى الإسلام ، واختلطت الشعارات ، وتصادمت الأهواء والمصالح .

وكان دور ياسر عرفات في كلِّ ذلك ، أنه نزل بقضيّة فلسطين من كونها قضيّة إسلامية ، ثمَّ عربيَّة إلى كونها قضيّة فلسطينية ، ومن شعار تحريرها إلى شعار المطالبة بدولة فلسطينية علمانية عاصمتها القدس ، والمناداة بعدم " الكفاح " ضد إسرائيل وإلغاء ذلك من ميثاقهم ، والانطلاق في اتجاه المفاوضات السلمية . إنها نقلة عظيمة صعبة عبر عنها هاني الحسن في محاضرة له في لندن قال فيها : " **لقد أمضينا أكثر من خمس وعشرين سنة ونحن نصب جهودنا لإقناع الشعب الفلسطيني والشعوب العربيّة بالحل السلمي ، نفعل ذلك بأساليب مختلفة** " .

والدولة التي يحلمون بها يُراد إقامتها على جزء بسيط من أرض فلسطين لا تملك أيّ مقوّمات لبناء دولة ، لا بمقوّمات اقتصادية ولا عسكريّة ولا غير ذلك . فما قيمة هذه الدولة التي يُحْجز رئيسها أكثر من سنتين ونصف والعالم كله يتطلع

دون أن يفعل شيئاً ، ويدخل اليهود أيّ مدينة يريدونها في أيّ وقت يشاؤون ، يدمّرون ويقتلعون الأشجار ويهدمون المنازل على أصحابها ويقتلون ويغتالون ، والعالم كلّه يتطلّع دون أن يقول كلمة لدولة اليهود لتوقف جرائمهم ، وعلى العكس فإنها تلقى التأييد وخاصة من أمريكا ! واضح أنَّ أيَّ كيان يقوم على هذا الجزء الضعيف سيكون خاضعاً لدولة إسرائيل خضوعاً كاملاً .

ولقد كان من أخطر نتائج الانتفاضتين أن تنازلت الحركات الجهادية عن شعار تحرير فلسطين كلّها ، وأصبحت تنادي هي وحزب الله في لبنان : " **لن نوقف الهجمات والسلاح حتى تنسحب إسرائيل من أراضي السلطة الفلسطينية** " . وامتدَّت إسرائيل واتّسعت رقعتها ونمت قوّتها .

إذن أصبحت الدولة الفلسطينية شعاراً يطلقه الجميع ، ويمثل أقصى الآمال، ولم يعتذرْ أحد عن تنازله عن شعاراته وادعاءاته ، ولكن بعضهم ادَّعى أنه أجّلها للمستقبل ، لسنين طويلة قادمة ، أو لقرون ، فالله وحده يعلم ذلك . لا يوجد نهج ولا خطة ، ولكن كلٌّ يحاول أن يُثبت وجوده في الساحة بأيّ وسيلة كانت ، على حساب وطن وأمة ودين ، وبشعارات مدوّية يغذيها الإعلام .

إذن كان أخطر دور في القضيَّة أنه بدعم دولي تَمَّ نقل القضية إلى هذا المستوى الذي يعني الإقرار بحقّ إسرائيل والتنازل الرسمي عن معظم فلسطين لليهود . ولكن ماذا استفاد الممثلون والمهرّجون من ذلك ؟! لا شيء إلا سمعة مزوّرة في الدنيا ، وجريمة بحقّ الأمة .

ولكن ياسر عرفات كان مهووساً حقيقة بدولة فلسطين ليكون رئيسها . لمستْ دولة إسرائيل هذا الإصرار من عرفات الذي تَوَهَّم أنَّ أَمَلَهُ سيتحقّق دون وجود أيّ مقوّمات أو قوى أو إمكانات حقيقية لتحقيقه ! وهْمٌ ملك عليه نفسه ، وأغْرتْه به الوعود والإعلام ، حتى ظنَّ أن وعود من وراءه وأن أوهامه كافية ، ثمّ أخذت الوعود تغيب أو يتلوها وعود جديدة معرّضة للذهاب .

ولكن خطة اليهود كما بيّنتها مفاوضات كامب ديفيد أيام أنور السادات توضّح أنَّ اليهود يؤمنون بأنَّ فلسطين كلها أرض لليهود شبراً شبراً ولن يتنازلوا عن شبر منها كما يزعمون إلا مرغمين . وأنهم صبروا آلاف السنين وكافحوا حتى وصلوا إلى حقّهم الكامل في فلسطين كما يدَّعون . ولكن للمساهمة في حلّ الإشكال فإنهم يمكن أن يعطوا للفلسطينيين سلطة ذاتية داخلية على قطعة بسيطة من الأرض ، تكون السلطة والأرض تابعة لإسرائيل ، وتعطى السلطة حقّ الإشراف على المعارف والصحة وأمثالها ، دون أن يكون لها جيش ولا وزارة خارجية ، فالجيش هو جيش إسرائيل، والسياسة الخارجية من شأن دولة إسرائيل .

ومن خلال المفاوضات ، أطمأن اليهود إلى أنهم حصلوا على اعتراف الفلسطينيين بدولة إسرائيل ، واعتراف العالم كلّه . فبدؤوا في المرحلة الثانية بعد ذلك ، وهي إزالة وهم عرفات وحلمه بالدولة ! ولكن عرفات أصرَّ على أن يحقق وهمه وحلمه . ولم تُجد المفاوضات على إقناعه وإقناع غيره من الذين تنازلوا عن استرداد فلسطين بكاملهاَ ، والذين حملوا الوهم كما حمله ياسر عرفات .

هنا انقلب موقف اليهود من ياسر عرفات ، وموقف أمريكا وموقف بعض الدول الأوروبية كما بيَّنْته لنا وسائل الإعلام ، واستمرَّ الخصام طويلاً ، وانتهت مرحلة " شهر العسل " ! حصار ، اتهامات ، خصاماً في مسرحيّة اقتربت من فصلها الأخير أو انتقلت إلى فصلٍ جديد . وعرفات يلحُّ بالدولة الفلسطينية عاصمتها القدس !

وقُتِل ياسر عرفات أو مات ! فما هي المرحلة الجديدة ؟! وحتى الآن ، لم يُعلن تقرير رَسمي عن مرضه وسبب وفاته . ولكنها إشاعات مختلفة تدور . وننتظر الجلاء والبيان !

اعتماد الشعوب على الوعود ، واعتماد العاملين على الوعود ، أضاع الأهداف والجهود ، فغابت وراء أفق من ورائه آفاق :

لا تُخْـدَعَـنَّ ! فكُـلُّ يـوم قـصَّـةٌ		شَـرَكٌ يُنَصَّبُ أو هـوانٌ يَقْـهَـرُ
عَجَبـاً ! أَتُخْدَعُ كُلَّ حيـنٍ بالمُنـى		كَـذَبَتْ عَلَيـك و بالـوعُـود تغَـيَّـرُ
وتظـلُّ تلهـثُ خَلْـفَ أوهـامِ الرؤى		لا تَـرْعـوي أبَـداً و لا تَتَـذَكَّـرُ
كـم مجْـرمٍ نَفـثَ الوُعـودَ مُخاتـلاً		حتـى إذا أفْضَـوا إليـك تَنَكَّـروا
يُعطون في وَضَحِ النَّهـارِ وُعُـودَهُـمْ		وتَلُفُّهُـمْ حُجُـبُ الظـلام ليمْكُـروا

* * *

يا وعْـد " بلفـور " يَمـدُّ ضَـلالَـهُ		مـلءَ العُـصُـور بمـا يَكيـدُ ويَغْـدُرُ
مـازال يَنْفُـثُ في الحيـاة سُـمُومَـه		ويُعَـيـدُ مِـنْ خـدَعٍ لـه و يُصَـوِّرُ
أَعْطَوْكَ " عهداً " دونه " : شَرَكاً وفتـ		ـنَةَ مجـرمٍ يُخْفـي هـواه ويَضْـمُـرُ
فَوَقعْـتَ في الشَرَكِ المُميْت ولم تَـزَلْ		فـيـه تَـرُومُ مِـنَ النَّجـاة وتنْظُـرُ
ومَضَـوا إلى " عهْدَ " عَلَيْـه تناصَـرُوا		غَـدْراً يُمـزِّقَ بالـدِّيـار و يَنْثُـرُ
من " سَيْكسٍ " ورفيقِه " بِيْكُو " تظـ		ـلُّ جَرَائمٌ تُخْفى وحِينـاً تَظْهَـرُ(١)

* * *

يبدو أنهم لم يطمئنوا إلى أن النصر من عند الله وحده ، وأن علينا أن نصدق الله في نيّاتنا ونهجنا وخطواتنا وخطتنا ، فمالوا إلى وعود المجرمين فاطمأنّوا إليها وصدّقوها ، وعداً من بعد وعد ، في سلسلة طويلة ، كلّ وعدٍ يلغي الذي قبله ، ويرافقه تنازل بعد تنازل في سلسلة طويلة من التنازلات .

يحمد بعضهم لعرفات أنه أبى التوقيع على التنازل عن القدس ، وعن حق العودة للاجئين ، ويعتبرون أنّ هذا هو موقف حسن . لا شكّ أن رفض التنازل عن القدس وعن حق العودة موقف حسن ، ولكن القضية لا تقف عند حدود ذلك .

و شاع بين المسلمين أو بين قطاع واسع منهم هذا المطلب ، وكأنهم اقتنعوا

(١) أبياتٌ من كتاب : " ملحمة الإسلام من فلسطين إلى لقاء المؤمنين " . للمؤلف .

بذلك تحت شعار الواقع وضغطه . لم يَعُد ردُّ الأمور إلى منهاج الله هو الأساس ، وأصبح الناس ولا أحد منهم يطالب بذلك ، فحسبهم أنَّ هذا هو الممكن ، وحسبهم أنَّ هذا هو الواقع ، وحسبهم أنَّ أصحاب القضيَّة قبلوا بذلك . أمَّا هم فلم يعودوا أصحاب القضيّة في وهمهم . ولكن عند الله فكلّ مسلم محاسَب على ذلك .

وساهم في نشر هذا التصوّر إعلام دولي وعربي ، حتى استقرَّ في النفوس. وهنا تنتهي هذه المرحلة من قضيّة فلسطين كما انتهت مراحل سابقة ، لتبدأ مرحلة جديدة ، تمضي على النهج المخطط له عند دولة إسرائيل وأمريكا وأوروبا، بين قوم لا نهج لهم ولا خطة إلا تضارب الرؤية والمصالح ، وغياب الأسس والنهج والميزان !

لقد بدأت هذه المرحلة الجديدة بعدة مشكلات : ما هو مرض عرفات الذي مات فيه ، من سيخلفه ، ما موقف الأطراف المعنيّة من أمريكا وإسرائيل والجهات الفلسطينية وغيرها ؟!

ونوجز أهم ما يتعلق بذلك بنقاط سريعة :

١- حتى يوم الاثنين ٩ شوال ١٤٢٥هـ الموافق ٢٢/ ١١/ ٢٠٠٤م لم يتبيّن حقيقة مرض عرفات . أعلن ناصر القدوة أن تقرير المستشفى بيّن عدم وجود أيّ أثر للتسمم . والمرض ما زال خافياً سرّاً . هل يُعقل أن مستشفى "جرسي" العسكري الفرنسي عجز عن معرفة حقيقة المرض ؟! وما زالت هذه القضيّة تُثار بين حين وآخر في وسائل الإعلام ، من مسؤولين في منظمة التحرير وغيرهم ، دون أن يكون هناك سبب واضح لإثارة القضيّة ودون إزالة الغموض عنها .

٢-كانت المفاجأة الحقيقية لي المديح المبالغ فيه من رؤوس الحركات الإسلامية لياسر عرفات بعد وفاته . ولعلّ هذا كان تمهيداً وتوطئة للانقضاض على تركته .

٣- اهتمام أمريكي وإسرائيلي ودولي بالانتخابات في غزة لانتخاب خليفة لعرفات . وستأتي انتخابات أخرى للمجلس التشريعي والمجالس البلدية .

وسينشغل الناس بها . وستبدأ عنتريات الفصائل تخفّ شيئاً فشيئاً من خلال صراعهم المرير ليكسبوا مركزاً في الوضع الجديد ، وانشغالهم في الانتخابات التي أخذوا ينزلون بياناتهم في الدعوة إلى المساهمة فيها مخالفين بذلك نهجهم السابق .

يمكن أن نقول إنَّ **قضيّة فلسطين الآن انتهت مع هذه المرحلة الجديدة، وسقطت الأقنعة كلها . وأصبحت المعركة المكشوفة الآن امتداداً للمعركة المخفيّة سابقاً ، المغطاة بشعارات الفداء والجهاد والاستشهاد . وسقطت الشعارات أو أنها تسقط تدريجياً . المعركة الآن هي معركة الانتخابات والديمقراطية والتنافس على تأجيل التحرير إلى زمن غير معلوم ، والالتفات اليوم إلى الانتخابات وإلى غيرها، من أحداث ووقائع تمثّل الفصل الأخير من المسرحيّة ، أو فصلاً جديداً ، من مسرحية بعيدة عن الإسلام ومبادئه وشعاراته، لتحلَّ الديمقراطية محلّ ذلك كله عند الإسلاميين .**

قبل سنوات تداعت الفصائل العشر الفلسطينية إلى لقاء فلسطيني وطني على اختلاف المبادئ والمذاهب ، ما بين قوميين وبعثيين وإسلاميين ، وعلى انتماءات مختلفة وولاءات متعدّدة ، تداعوا إلى اللقاء في مؤتمر في دمشق بتاريخ ٢٣/٨/١٤١٩هـ/ ١٢/١٢/١٩٩٨م .

زارني أحد المسؤولين الفلسطينيين في الإخوان المسلمين وفي حماس ، ودعاني إلى حضور ذلك اللقاء . فسألته ماذا تريدون من اللقاء ؟! قال : نريد محاربة ياسر عرفات لأنه يخون القضيّة . قلت له : أرى أنَّه من واجبكم أن تؤيّدوه وتشكروه فهو ينادي بدولة فلسطينية ، وأنتم تنادون اليوم بها وما خلافي معكم من حيث الأساس إلا ذلك . فلماذا تحاربونه ؟! وناقشت معه مبادئ الإسلام وشعاراتهم ، كيف تبدَّلت وتغيَّرت ، وذكَّرته بميثاق حماس وما جاء فيه عن منظمة التحرير ، وبخطاب المرشد العام ، وبغير ذلك . ثمَّ اعتذرت له عن عدم تلبيتي الدعوة .

ثمَّ زارني أحد أفراد حركة الجهاد الإسلامي ودعاني كذلك إلى حضور المؤتمر . فناقشت معه المبادئ والشعارات والتحوُّلات والتنازلات ، وسألته أين الإسلام ، وكيف تلتقون مع قوم لا يؤمنون بحلٍّ إسلاميٍّ ولا بحركة إسلاميَّة ، ولا ولا ؟!! نقاش طويل . ثمَّ قلت له : من يضمن سلامتي ؟! قال : لا تخف أبداً ! نحن نستقبلك بكلِّ تكريم واحترام وحماية ! فعلمت أنَّ الأمور مرتَّبة . ثمَّ قلت : دعني أفكّر إلى أن تأتيني دعوة رسميَّة من المسؤول عن المؤتمر . فوافق . وخلال يوم أو يومين وصلتني دعوة رسمية بالفاكس من السيد خالد الفاهوم رئيس المؤتمر . فجاء صاحبنا فأشعرته بوصول الدعوة ولكنني أعتذر ، لأنني غير مؤمن بهذه المسرحيَّة .

الدعوة التي وصلتني من رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطني الفلسطيني بتاريخ ١٢ يوليو (تموز) ١٩٩٨م ، تقول : " **تتعرَّض قضيّة فلسطين لخطر التصفية والتفريط بحقوق الشعب العربي الفلسطيني جرَّاء الاتفاقات التي أجرتها سلطة الحكم الذاتي مع العدوّ الصهيوني ، لذا قرَّرت الفصائل الفلسطينيَّة والفعاليات والشخصيّات الوطنيّة التداعي لعقد مؤتمر وطني في ١٢ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٩٨م .** "

ولَمَّا مات رئيس سلطة الحكم الذاتي ياسر عرفات المتّهم ، انطلقت أفواه هذه الفصائل بالتمجيد به لتملأ الإذاعات والفضائيَّات والصحف ووسائل الإعلام ، ويتسابقون إلى المديح والتمجيد .

أمس كان يهوديَّاً ، خائناً ، عميلاً ، فرَّط وأضاع ، واليوم القائد الملهم والزعيم الكبير و الرمز !

عجباً لأمتنا ولحركات الجهاد الوطنيَّة والقوميّة والإسلامية ! لم يبق أحد من قادة الحركات الإسلامية الذين كانوا يتَّهمونه بالخيانة إلا وبالغوا في رثائه ورفعوه رمزاً لجهادهم !

بذلك نكون قد وصلنا إلى مرحلة وضح فيها عدم قدرة جميع القوى على الساحة لإنقاذ فلسطين وتحريرها وإعادتها إلى الأمة المسلمة الممزَّقة .

بعض هذه القوى أعلنت عدم قدرتها وصارحت الأمة بحقيقة الموقف ، وبعضها استمرَّ في محاولة إخفاء عجزه وفشله ، واستمرَّ في ادّعاء البطولة في الشعارات فحسب ، والفشل الواضح في الميدان . ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم .

الشعوب غير قادرة على عمل شيء ، فهي مخدّرة أو ممزّقة ، أو مضلّلة مع تعدد الاتجاهات والشعارات !

الدول الإسلامية غير قادرة على تحرير فلسطين لأسباب كثيرة . الحركات الإسلامية والأحزاب المختلفة غير قادرة !

أليست المصارحة الصادقة أولى ، والبحث عن السبيل الحق الذي يمكن أن ينقذ الأمة ، بدلاً من إخفاء الحقائق والتعلل بالآمال ؟!

لقد سارت القضية في مراحل مرسومة وأدوار محددة ، وغموض وأسرار، ما زال كثير منها لم يكشف عنه ! ولكن الخط العام واضح وجلّي !

ما زالت خيوط القضيَّة بأيدي الغرب يُحَرِّكون بها قوى كثيرة ! والله يقضي ما يشاء على قضاء نافذ وقدرٍ حقٍّ وحكمة بالغة ، لا يظلم أحداً ولا يظلم شيئاً .

ألا نرى من خلال تلك الأدوار والأسرار بعض مظاهر اللعبة الماكرة التي وجّهت قضيّة فلسطين منذ أوائل القرن العشرين .

ألا نعتبر أن إعلان مؤتمر الدول العربية في بيروت ٢٧-٢٨ مارس سنة ٢٠٠٢م ، باستعداد الدول العربية لقبول السلام مع إسرائيل إذا انسحبوا إلى حدود ١٩٦٧م ، وشروط أخرى ، أول مصارحة في تاريخ قضية فلسطين . ومع ذلك فقد ظلّت شعارات الإثارة تدوّي دون أي نهج أو خطة على لا شيء .

الفصل الرابع

دولة اليهود ركن رئيس في خطة شاملة

لمحاربــة الإسلام والمسلمين !

أعجبُ كلّ العجب حين أرى النَّاس يفاجؤون بمواقف أمريكا ، في الفترة الأخيرة من قضية فلسطين ، ووقوفها ضد التصويت على المشروع المقدّم من قبل الدول العربية إلى مجلس الأمن الدولي لإدانة إسرائيل في المجازر التي تتم في فلسطين ، ومنحها لشارون ، ومن بعده لأولمرت كتاب الضمانات التي يرغبها للمزيد من المجازر والقتل والتدمير تحت الحماية الأمريكية ، وإعلان ذلك على العالم ! أعجب وأتساءل : ما هو الجديد في مواقفها وما الذي يثير الدهشة ؟!

موقف أمريكا موقف واضح صريح منذ عشرات السنين ، يتبناه جميع رؤساء الولايات المتحدة منذ أن بدأ زحف اليهود على فلسطين .

لقد أعلن جميع وزراء خارجية الدول الغربيّة بعد إعلان قيام دولة اليهود في فلسطين تصريحاً أجمعوا عليه : " **إنّ إسرائيل وجدت لتبقى** " ! وتوالت التصريحات منذ سنة ١٩٤٨م ، على الأقل تردد وتؤكد هذه المعاني .

ولماذا أقرّ العالم انتداب بريطانيا على فلسطين ؟! لقد كان الانتداب وإقراره إقراراً وتنفيذاً دولياً لوعد بلفور ، إقراراً برعاية كيان اليهود في فلسطين وتوفير الحماية المتواصلة له ، ولقد كان سلوك الانتداب البريطاني في فلسطين مدة الانتداب واضحاً جلياً في دعمه القوي لليهود وخنقه لمحاولات الفلسطينيين في مقاومة ذلك . واستمرَّ الانتداب بسياسته الظالمة دون أن يجد أي يقظة حقيقية من العالم الإسلامي كله ، والنذر في الآفاق مدويّة .

ألم يكن ذلك كله كافياً لينذر بما هو مقبل على العالم الإسلامي ؟! ولقد حاول أهل فلسطين منذ أوائل الغزو الصهيوني نقل القضيّة لتأخذ صورتها الحقيقية كقضيّة إسلامية في أيدي العالم الإسلامي كله والأمة المسلمة كلها .

ولكن جميع الجهود فشلت لهوان الاستجابة من ناحية وشدة ضغط القوى المعادية داخلياً وخارجيّاً .

ولما انتهى الانتداب وقامت دولة اليهود ، وأعلن أهل فلسطين " حكومة عموم فلسطين " ، خُذِلت تلك الحكومة ونشطت دولة اليهود في رعاية دولية حانية.

كان رأي أهل فلسطين آنذاك أن يتولَّوا هم القتال في فلسطين ، وأن لا تدخل جيوش الدول العربيّة ، وأن تقام معسكرات للتدريب على جميع الحدود ، ويؤمَّن لأهل فلسطين التدريب والسلاح والمال ، ولكنّ جامعة الدول العربيّة آنذاك رفضت هذا الحل وأصرّت على دخول الجيوش العربيّة ، ودخلت الجيوش العربيّة ، وحدث ما حدث !

وامتدت الأحداث وتطورت حتى صدر تصريح جمال عبد الناصر سنة ١٩٦٤م ، يعلن فيه قيام منظمة التحرير الفلسطينية وبناء جيش لها لتنفيذ مقررات هيئة الأمم المتحدة . فكان ذلك إعلاناً صريحاً بقبول الكيان الصهيوني وبالتنازل عن قسم من فلسطين له ، والمطالبة بقيام دولة للفلسطينيين حسب قرارات التقسيم .

ولكنّ " مناحم بيجن " رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك رفض في مؤتمر كامب ديفيد التنازل عن أي شبر من فلسطين ، وقال إنهم صبروا آلاف السنين حتى يعودوا إلى " أرضهم " ، فلن يتنازلوا عنها . ولكن يمكن منح الفلسطينيين سلطة داخلية في بقعة من الأرض يتولون فيها شؤون الصحة والمعارف وأمثال ذلك تحت إشراف إسرائيل ، دون أن يكون لهم جيش أو وزارة خارجيَّة . وكان ذلك بحضور " كارتر " و " أنور السادات " و " مناحم بيجن " و " موشى دايان " و " حسن التهامي " . تنازل من طرفنا ورفض للتنازل من طرفهم ! إصرار وتخطيط وإعداد من طرفهم ، أما من طرفنا فماذا ....؟!

وأصبحت القضيّة قضيّة الفلسطينيين عمليّاً ، وقَبل الفلسطينيون ذلك ، وهبت المنظمات الفلسطينية المختلفة لتتولّى مجابهة إسرائيلَ . **إنَّها حقّاً اللعبة الماكرة !**

عندما كانت إسرائيل ضعيفة سنة ١٩٤٨م ، والفلسطينيون في أرضهم وديارهم ، لم يُسْمحْ لهم بأن يتولّوا قضيتهم . ولما قويت إسرائيل وأصبحت لها ترسانة أسلحة جبارة ترهب من حولها ، وتقف معها دول العالم وقفة المدد والدعم الكامل ، في هذه المرحلة والفلسطينيون كثير منهم في شتات ، أُحيلت القضية إليهم ليتولّوا هم وحدهم حقيقة القتال مع إسرائيل مع مدد من الدول العربيّة مالاً وسلاحاً وشجباً وشكوى ، واستغاثة واستنجادا .

فكيف قبل الفلسطينيون ذلك ؟! هل كان لهم خطة ونهج يكفل تحقيق الشعارات التي تدّوي ؟! هل توافرت لديهم الإمكانات الحقيقة للوصول إلى جوهر الشعارات والأهداف المعلنة ؟! ما هي القوى الخفية التي كانت تدفع إلى ذلك ؟!

عندما قبل الفلسطينيون أن يتناولوا القضيّة بأنفسهم وحدهم ماذا كان لديهم من الإمكانات البشرية والعسكرية ، والخطة التي تقود إلى الهدف ، أمام دولة اليهود التي تمثل ترسانة أسلحة أرهبت كثيراً ، وأمام دعم دولي كامل لها ، وأمام صف واحد متراص معها ، والمسلمون ممزّقون في هوان وضعف ، والفلسطينيون أنفسهم فئات وشعارات تتصارع . فمن الفلسطينيين من أعلن أن منظمة التحرير اقرب المقرّبين لهم بالرغم من علمانيتها ، فإذا تخلَّت المنظمة عن علمانيتها كانوا جنودها التي تحترق من أجلها .وآخرون كانوا يرون خلاف ذلك من خلال تمزّق !

ومضت السنون وفصائل الفلسطينيين باتجاهاتها الفكرية المتناقضة بين صراع داخلي وتلاق آني ، وشعارات تنذر بالويل والثبور لليهود ، ولم ينهض أحد من الأمة كلها ليًسأل : **ما هو الهدف الآني وما هو الدرب والخطة التي أُعدّتْ لتوصلَ إلى الهدف ؟! ولم ينهض أحد من الأمة لينصح ويعين على تحديد الهدف والدرب الذي يوصل إلى الهدف من خلال ما يُعلن من عقائد وفكر . ولم ينهض أحد لينصح المسيرة لتتجنَّب الخلل والانحراف والزلل .**

وضَجّت الشعارات ! ومن خلال الضجيج تقدّم اليهود شيئاً فشيئاً مع كلّ ضجة وصيحة ، وتراجعنا نحن مع كل ضجة وصيحة وشعار !

وأتساءل ما هي الدولة التي يريدون قيامها ويقاتلون من أجلها إذا كان اليهود قادرين على حجز رئيس الدولة في غرفة ، وإذا كان اليهود قادرين على دخول أي قطعة من الأرض ليقتلوا ويدمروا ويحرقوا الأرض ويهلكوا الحرث والنسل في أيّ وقت شاؤوا ، ولا تجد في العالم كله أحداً يردعها ؟؟؟!! ما هي هذه الدولة وكيف يُحْلَم بقيامها ، وما جدواها وما قُوَّتها ؟؟؟

ما قيمة هذه الدولة وما جدواها إذا كنَّا نحن لا نستطيع إقامتها ولكن نريد من الأعداء الذين نحاربهم أن يقيموها لنا ويُقدّموا لنا الماء والكهرباء وسائر وسائل الحياة ؟!

هذه هي العراق أصبحت بحراً من الدماء والأشلاء ، وانقطاع الماء والكهرباء والتدمير الممتد الشامل . وما يجري الآن في العراق خطوة خطوة وما تفعله أمريكا ، هو نفسه ما يَفعله اليهود في فلسطين .

وهذه هي أفغانستان ! والزحف ممتد والدماء تتفجّر ، وصمت المسلمين مذهل مرعب مخيف !

إذا تتبعنا تاريخ قضية فلسطين تبرز أمامنا حقائق هامة . أهمها أن الغرب الذي تبنّى دعم اليهود وبناء دولة لهم في فلسطين كان ينطلق من نهج وخطة يمضون بها على مراحل ، تربط كلَّ خطوة بسابقتها وتمهد للخطوة اللاحقة ، من خلال تصورات مادية استفادت من سنن الله في الحياة دون أن يؤمنوا بأنها سنن لله ، فارتبطت هذه القضيّة بما سبقها من أحداث ، كانهيار الخلافة وتمزق العمل الإسلامي والعالم الإسلامي ، وساهمت من ناحية أخرى في المكائد التي تلت ونُفِّذت في العالم الإسلامي .

إذن نستطيع أن نقول إن هناك جبهتين : جبهة الغرب المتضامن والمتَّحد حول ما أقرّوه من هدف كبير لهم لا يختلفون عليه ، وهي جبهة وضعَت خُطَّتها

ومراحلها للهدف الكبير الذي تسعى إليه منذ زمن بعيد ، ومضت في تنفيذه . وجبهة أخرى مفكّكة ممزَّقةٌ متضاربة المصالح . وهي تمضي من خلال تفككها دون نهج جامع ولا خطة توصل إلى الشعارات المعلنة . والجبهة الأولى وفّرت الإمكانات المادية لها وجمعت أسباب القوة ، ووضعت ثروتها في بناء هذه القوة وسَطت على ثروات غيرها . والجبهة الثانية غرقت في تفكّكها بزخرف الحياة الدنيا ولهوها ولعبها وبعثرت قواها وثرواتها، فإذا تلاقت الفئتان فما هي النتيجة ؟!

لذلك نرى أنه إذا التقت فئتان : **فئة لها نهجها وخطتها وأهدافها التي تجتمع عليها وتعمل بها ، وفئة لا خطة لها توصلها إلى ما تعلن من أهداف ، فإن الفئة الأولى تكون قادرة على تحويل جهود الفئة الثانية لصالحها** .

والسؤال الذي يثور هنا : ما هو الهدف الكبير الذي جمع الجبهة الأولى فالتقوا عليه ، مع ما يثور بينهم من تنافس ونزاع على اقتسام الغنائم ؟!

خلال القرنين الأخيرين بذل العالم الإسلامي كثيراً من الدم والمال ، فلماذا لمْ يجنوا إلا الهزائم والخسران ؟!

لقد تبنَّت فرنسا أولاً النشاط الصهيوني في أول ظهوره ، ثم تبنّته إنكلترا ثم أمريكا ، ثم الغرب كله ، يتزعّمه في هذا الأمر وفي سواه أمريكا . إذن هناك أمر كبير يسعون إليه .

يقول " نيكسون " رئيس أمريكا السابق في كتابه " نصر بلا حرب " ، يقول عن إسرائيل : " هي الأمة الوحيدة التي يتحدّى سكانها اليابان باعتبارهم الأفضل تعليماً . لقد بهرت إسرائيل العالم كله بما أنجزته خلال أربعين سنة من السلام .[1] ويقول كذلك في الكتاب نفسه : " إن علاقتنا مع إسرائيل أكبر بكثير من قضية معاهدة ، إنه التزام ثابت من الولايات المتحدة ، وعلى كل رئيس جمهورية قادم أن يدرك أن من أهم مسؤولياته حماية إسرائيل ودعمها " .

---

(١) كتاب " نصر بلا حرب " ص : ٢٩٢ .

ويقول " دان كويل " نائب الرئيس الأمريكي سابقاً رداً على بعض الأسئلة : " إن دولة إسرائيل مهمة وأنا أعتبر نفسي صهيونياً ، واعتقد أن عدداً كبيراً من الموجودين هنا يعتبرون أنفسهم كذلك " . وقال : "يجب النظر إلى الرئيس بوش على أنه صديق قوي وداعم لإسرائيل ، ولننظر إلى السجل " . وأخذ يعدّد خدمات بوش لإسرائيل ، وكل واحدة طعنة كبيرة في قلب العالم الإسلامي . وقال : " إن إسرائيل هي أكثر حليف يمكننا الاعتماد عليه في المنطقة ... "(١)

وفي الكتاب الأخير لنكسون : " اغتنام الفرصة " ، يقول : " إن مصالح أمريكا الاقتصادية محور علاقتنا مع ألمانيا وأوروبا وآسيا والعالم كله ، وعلى العالم كله أن يخدم مصلحة أمريكا ليكون جزءاً من النظام العالمي الجديد "(٢)

هل برزت الآن معالم اللعبة الماكرة ؟!

ويقول نيكسون كذلك : " ... ولكن منطقة الشرق الأوسط تظلّ هي المنطقة الأكثر احتمالاً للانفجار في العالم كله ، مهد الحضارة الذي يمكن أن يغدو مقبرتها "(٣)

في قضية فلسطين ثارت الشعارات المختلفة من وطنية وقومية وإقليمية وإسلامية وحزبية . تلتقي بعض الفئات فيما بينها على تناقض مبادئها حينا وحيناً تنفصل ، تجري المجازر الرهيبة على أرضها سنين طويلة والعالم كله يتطلع لا يبدي حراكاً . تلقي إسرائيل بكل قرارات مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة وراء ظهرها ، غير مبالية ! أيُعقل أن يجابَهَ هذا الصف الدولي المتحد بشعارات متضاربة في الشعب الفلسطيني وحده ؟! كيف رضي المسلمون بذلك ! وأصبح القول بأن فلسطين إسلاميّة شعاراً لا يجد له رصيداً في الواقع ! يُعلَن في قلب هيئة الأمم المتحدة المطالبة بدولة علمانية ! حتى هذا يرفض ! وكلما أمعن المسلمون في التنازلات ، أمعن المجرمون بزيادة المطامع والجرائم والإذلال !

---

(١) صحيفة الحياة اللندنية العدد ١٠٦٧٣ ـ ٢٧ شوال ١٤١٢هـ الموافق ٢٩ نيسان ١٩٩٢م .
(٢) صحيفة الشرق الوسط في حلقات ابتدأت في ١٩كانون ١٩٩١م .
(٣) كتاب " نصر بلا حرب " ص : ٢٨٤ .

لم يحدث أن نادى المسلمون في المحافل الدولية بأن فلسطين هي حق الإسلام والمسلمين في جميع العصور . ولكن دوّى اليهود في كل محفل بحقّهم الديني الكاذب في فلسطين ! كذبوا وكذبوا حتى صدقهم الناس ، أما نحن فقد لجأنا إلى التصوّر الوطني أو الإقليمي أو القومي عمليّاً في الساحة مع طلاء إسلاميّ يصنع الشعارات . ولم تنزل الأمة المسلمة إلى معركة فلسطين ، لم ينزل الإسلام بأمته التي بناها محمد ﷺ ، ولكن نزلت القوميّة والوطنية :

إذا لم تقم في الأرض أمّة أحمد ... فكلّ الذي يجري على الساح ضائع[1]

وكذلك :

لا تقل لي سياسة وسلام ... ودمائي تموج فيها النجود[2]
كلَّ بضعٍ من السنين ترانا ... ألف ميلٍ إلى الوراء نَعُودُ
وعدوّي أراه يقفز قفزاً ... لمزيد وما كفاه المزيدُ
كل يومٍ نُعلي ونرمي شعاراً ... وعدوّيَ له شعار وحيدُ
وخطانا على الطريق شتات ... كلٌّ حزب بما لديه سعيدُ

وكذلك :

كلٌّ يقول أنا الذي ، فإذا الذي ... ليس الذي ! يا ويل من لم يَعْدلِ[3]!

وكذلك :

يا أمَّتي ! كم من دماء قَدْ صبَبْـ ... ـتِ ومن صريعٍ في الديّار مُجدَّل[4]
كمْ جُدْتِ بالكفَّ السخيّ على ميا ... دينِ النِّزال وجمْعها ؟! لمْ تَبْخَلي
يا أمتي ! مهلاً ! بذلْتِ مع السنيـ ... ـنَ تطولُ! أيْنَ جَنَى العطاء المجْزَل

(١) من قصيدة : رسالة المسجد الأقصى إلى المسلمين " . للمؤلف .
(٢) من قصيدة : من ملحمة الأقصى . للمؤلف .
(٣) من ملحمة الإسلام من فلسطين إلى لقاء المؤمنين . للمؤلف .
(٤) من المصدر السابق .

يا أمــتــي ! لمَ بــعــد ذلك لــم نجــد إلا الهــزائم ؟! هـل وقفتِ لتسـألـي
هلاّ وقفـت لتسـالـي سبـب الهـزا ئـم والقـوارع ؟! فـانظري وتأملـي

اليـوم ، مع الهـزائم والهـوان ، يـجب أن نَقفَ وقـفـة إيمانيّـة نحـاسبُ أنفـسنا ونكشف أخطاءَنا ونعـالجها . لقد امتدت المعركَة واتَّسع الميدان ليكشفَ لنا معـالم خطة مرسومة تنفَّذ في مراحلها : بين تخدير وإغراء ، وفتنة ومجازر تتسع وتمتد. لم تعد قـضيّة فلسطين هي وحدها في الميـدان ! أصبحت أرض الإسـلام كلها يزحف عليها الخطر الداهم والقـوارع الصاعقـة ، فهل من وقفة إيمانيّـة ؟! هل من محاسبة للنفس ؟! وإلاّ فانتظروا ما هـو أدهى وأمر ، عقـاباً من عند الله على ما كسبته أيدينا . **فـهل بَانَ الآن الهدف الأكبر الـذي يجـتمع عليه أعداء الله ؟! وهل بانت اللعبة الماكرة الممتدة في أرض الإسلام ؟!**

لا أشك أبداً أنَّ هناك خُطةً متكاملة لدى الغرب اليهودي والنصراني لضرب الإسلام والعالم الإسلامي أو لتدميره ، تكون دولة إسرائيل ركناً رئيساً في هذه الخطة . ولقد فصّلت ذلك في مقالة سابقة لي بعنوان : " الانهيار " ! وحسبك تصريحات " نيكسون " و" دان كويل " وتصريحات وزراء خارجية الدول الغربية لتكشف هذه كلها عن بعض معالم هذه الخطة القديمة الجديدة . وحسب ما تمَّ تنفيذه منها حتى الآن : إسقاط الخلافة الإسلامية ، تمزيق دار الإسلام ، احتلال كثير منها ، وما هو جار الآن في أفغانستان والعراق والصومال ولبنان وغيرها ! **إنها اللعبة الخطيرة الماكرة المتنامية الممتدّة ، فهل سيفيق المسلمون قبل فوات الأوان ؟!**

الفصل الخامس

فلسطين

بين مكر الأعداء وتفريط الأبناء

سقطت " مالقا " سنة (١٥١٥م) بيد البرتغاليين ، فأقامت روما قداس شكر. وذكر أحدهم في خطبته أمام ليو العاشر : " **إنَّ هذه المعركة ستسهل استعادة القدس** " . إذن إلى هناك ! إلى فلسطين ! إلى القدس ! تتجه أنظار أعداء الله حيثما كانت المعركة ! وتظل جبهة المشركين واحدة أمام هذا الهدف مهما تنافسوا الدنيا وتنازعوها . فبالرغم من الصراع الشديد بين هؤلاء كلهم على ثروات العالم الإسلامي ، إلا أنهم كلهم ينظرون إلى فلسطين ، باب الشرق ومفتاحه ، باب العالم الإسلامي وقلبه .

لقد كان أول تنازل شهدته الأمة هو تنازل فريق واسع عن التصور الإيماني للقدس ، حين لم تعد فلسطين مطلباً إسلامياً ولا قضية إسلامية . وارتبطت القضية بالعروبة شعاراً احتل قطاعاً واسعاً من الأمة منفرداً حيناً ، ومختلطاً مع الإسلام حيناً آخر . ثمَّ كان التنازل الآخر حين أصبح الشعار أنَّ فلسطين جزء من سوريا ، وعلى ذلك أصبحت المطالبة فيها في تنازل واضح وهزيمة مكشوفة . وامتدَّ التنازل حين أصبحنا ننادي بأنَّ فلسطين كلها بلد واحد مستقل ، وغابت روابط الإسلام والعروبة وروابط بلاد الشام ، وامتدَّ التنازل حتى صرنا نطالب بالضفة الغربية وقطاع غزة ، وتضيع القدس وسط هذه المطالبات ، وتشتد المؤامرات في محاولة مستمرة وممتدة للقضاء على المسجد الأقصى .

لقد توغل الهالك " شارون " إلى المسجد الأقصى في رجب من عام ١٤٢١هـ ، وبعد سبعة أعوام من هذه الحادثة ، تتكرر هذه الأيام وفي شهر الله المحرم من عام ١٤٢٨هـ المشاهد نفسها والصورة نفسها ، وسط صراع فلسطيني ـ فلسطيني ، ليعيد التاريخ لنا أحداثه وذكراه الأليمة حين سقط الكثيرون من أبناء

فلسطين في محاولة منهم لصد العدوان على المسجد الأقصى آنذاك ، وحفظ التاريخ لنا صورة الطفل محمد الدرة وهو يتلقى رصاص العدو مع أبيه ليسقط ميتاً ويلحق بركب أولئك الذين سقطوا دفاعاً عن الإسلام وعن القدس وفلسطين كلها ! واليوم ووسط هذه المحاولات الصهيونية يسقط الأطفال والشيوخ والنساء برصاص فلسطيني لا برصاص العدو فحسب ! فَتُراق دماء المسلمين من أجل السلطة والمصالح الحزبية، ويغفو هؤلاء عن القضية الأساسية ، قضية الأمة المسلمة كلها ، الأقصى الشريف !

فمنذ الإعلان عن قيام الدولة الفلسطينية المستقلة في ٥ من ربيع الآخر ١٤٠٩ الموافق ١٥ تشرين الثاني ١٩٨٨م ، والصراع يدور كله حول قضيَّة الدولة ، فشغل المسلمون بها ، ونسوا الهدف الحق الأكبر ـ تحرير فلسطين كلها، والحفاظ على المسجد الأقصى من عدوان اليهود وأشياعهم ـ . ودبَّ الخصام بين الفلسطينيين أنفسهم على هذه الدولة ومراكزها ومجالسها . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى تراخت عزائم المسلمين عن الوفاء بمسؤولياتهم الشرعية ، وقد رضي الفلسطينيون أن يتولوا زمام القضية بأنفسهم دون أن تتوافر الإمكانات الشرعية العادلة لديهم .

ومن هذا المنطلق لا نعتبر اختلاف الرأي سبب شقاق ومصدر تدابر ، ولكننا نعتبر وحدة الصف والتقاء العزائم لا يقوم إلا بالآراء الصادقة والشورى العاملة ، في جو مشرق بالإيمان والعلم بالكتاب والسنة وحرية الرأي التي تقوم على ذلك كله وعلى صدق الإيمان والتوحيد ، وسلامة الحجَّة .

إنَّ الحقيقة الأولى التي يجب بيانها وإقرارها للناس جميعا هي أن فلسطين أرض إسلامية منذ أقدم العصور حتى يومنا هذا وإلى أن تقوم الساعة ، ولا ينفي هذه الحقيقة عدوان طارئ يظهر بين حين وآخر في تاريخها . ولكن هذه الحقيقة هي أساس كل رأي وموقف واتجاه ، ومصدر كل قوة لصد أي عدوان والصمود أمامه ، ولقد جعل الله سبحانه وتعالى هذه الأرض أرضاً للإسلام ، وملكاً

للمسلمين في آيات كريمة ، وأحاديث شريفة ، ونبوات تتوالى كان محمد ﷺ خاتمها وسيدها.

لذلك لا يقرر مصير أرض فلسطين ولا حقوق أي شعب فيها إلا الإسلام. فلا حقَّ لأحد من الناس ، ولاحقَّ للهيئات الدولية ولاحقَّ لإنسان يحوطه النفر الكثير والزخرف والغرور أن يدعى حق التصرف بها ، أو التنازل عن شبر منها، أو الإقرار بظلم وعدوان . ذلك حين يكون الإسلام هو الذي يحكم ويقرر ! وحين تكون الأمة المسلمة صفَّاً واحداً كالبنيان المرصوص ، عزيزة قوية !

فلا الديمقراطية التي أخرجت المسلمين من أرضهم في فلسطين ، والتي ارتكبت أبشع جرائم الأرض بحق الإنسان ، ولا الديكتاتورية التي سحقت الأمم والشعوب ، وحملت مع الديمقراطية راية العدوان ، فألهبتا الأرض ناراً ، وفجرتاها براكين ، ونشرتا الفزع والقلق ، هؤلاء كلهم لاحق لهم أن يقرروا مصير أرض حكم الله فيها وقرر أمرها ، ولا حقَّ لهؤلاء أن يدعوا أنهم (حماة السلام) ، فنخضع نحن المسلمين لمعاني السلام المزيف الباطل الذي يَدَّعونه ، فنساوم على حقوق الإسلام ، ونفرط في أرض المسلمين ، ولا ننسى كلمة السلطان عبد الحميد الذي ضحَّى بملكه ليوفي بالأمانة وهو يقول للمساومين ما معناه : (**هذه أرض المسلمين فلا أملك أن أفرط بشيء منها**) .

ولا ننسى فتوى علماء المسلمين الذين حرَّموا التفريط بأي شبر من أرض الإسلام ، ولا فتوى بعض علماء المسلمين إلى بعض زعماء العرب يقولون :(**إنَّ جعل ولاية لليهود في بلاد الإسلام أمر باطل ومحرم**) ، ولا ننسى أن تاريخ الأمة كلها أعلن هذا الرأي وقدَّم من أجله الملايين من المسلمين يسقطون في ميادين الجهاد دفاعا عن حق الإسلام في تاريخ طويل ، فالاعتراف بكيان اليهود جريمة وعمل حرام ومن أكبر الكبائر . وإنَّ إصدار فتاوى بذلك دليل على الضعف والهزيمة لأنَّ القضيَّة أكبر من فتوى . إنَّها الحقُّ واليقين !

إنَّ تاريخ قضية فلسطين في العصر الحديث يكشف بصورة جلية عن التقاء مصالح الدول الغربية والشرقية واليهود على إقامة كيان لليهود في أرض فلسطين، ليكون هذا الكيان اليهودي جزءاً من خطة أوسع في غارة واسعة ، وهدفاً واحداً يمهِّد لأهداف أكبر. ويكشف تاريخ القضية كذلك أَنَّ كلَّ تنازل في قضية فلسطين بدت صغيرة في حينها ، كان قاعدة لتنازل أكبر ولعدوان عليها أوسع . ولقد ظل اليهود ثابتين على دعواهم الباطلة لا يتزحزحون عنها إلا إلى طلب المزيد ، وظللنا نحن نبدِّل في شعاراتنا ومطالبنا في تراجع مدمر ومهين .

ويكشف تاريخ القضية كذلك أنَّ قوى الأعداء تتحرك في مخطط مدروس واسع وإن مواقفنا في كثير من الأحيان مرتجلة ، وفى أحيان أخرى تتفلت من عقيدة وتترك ركائز الأمة ، **وأننا كنا نزين الهزيمة البشعة للناس حتى نوهمهم بأنها نصر** ، وحتى أخذت الأحداث تتوالى ، وكل حدث يمهد للحدث الذي يليه ، ثم تجتمع الأحداث كلها لتغرس روح الهزيمة ونفسية الاستسلام وتمتدَّ في الأمة كلها ، وفى الفلسطينيين خاصة حياة المعاناة والقلق .

ولا ننكر أن هذه المعاناة الممتدة والمخطط لها ، بجميع ظروفها وتاريخها قد توجد لدى فريق من الناس رؤية تنبع من ضغط المصالح المادية والضعف البشري، والرغبة في النجاة من المعاناة وشقائها . ولكن هذه الرؤية و الأماني لن تنقل الإنسان الفلسطيني خاصة والمسلم عامة من معاناته إلا إلى معاناة أشد ، ولن ترفع الخطر إلا ليمتد إلى عمق أبعد ورقعة أوسع وشر أكبر ، حتى يعم البلاء ويطغى المصاب ، وما عرف تاريخ الإنسان في الأرض أن الهوان والاستسلام يرفع ذلاً أو يزيح شراً أو يمسح ألماً .

وأنَّ الهزيمة العسكرية مهما بلغت والمصائب التي جرَّتها وغصص الذلِّ التي بعثتها ، لا تنهض لتكون مسوِّغاً يجيز الباطل ، ولا الأعذار تجيز التنازل عن حق ، فالأمة التي تريد أن تصدق مع ربها توفي بأمانة الأجيال السابقة ، وترعى حقوق الأجيال المقبلة ، لا تقتل أمجاد دين وتاريخ ولا تسحق آمال غد ومستقبل ، ولكنها تمضي في جهاد طويل مشرق على درب الجنة .

إنَّ زخرف الشعارات والاصطلاحات من أمثال : (وثيقة الاستقلال) ، (والحكومة المستقلة) ، (ووحدة الصف) ، (ومن أجل السلام) ، إنَّ هذا كله لا يخفي هول الاعتراف بقرارات هيئة الأمم المتحدة (١٨١-٢) في ٢٩/ ١١/ ١٩٤٧، (٢٤٢) في ٢٢/ ١١/ ١٩٦٧ ، (٣٣٨) في تشرين الأول ١٩٧٣ ، وأمثالها من قرارات الظلم والعدوان .

إنَّ الاعتراف بكيان اليهود عمل حرام ، يمسح ما بنته آلاف السنين ، ويمسح جميع المواثيق التي وضعتها الأمة كلها في تاريخها الطويل ، ويمسح ميثاق منظمة التحرير نفسها مسحاً يزيل حقها في الوجود ، ويزيل حق كل ما يترتب عليها أو ينشأ عنها وعن اعترافها ، إنها جرأة على الله ورسوله ، وجرأة على المسلمين ، وجرأة على الدماء المؤمنة التي ماجت بحراً في تاريخ طويل .

ولكن الجميع اعترفوا بإسرائيل إما بالمصارحة والوضوح ، وإما بأساليب متناقضة علنية أو خفية . يجهرون برفض الاعتراف ويعترفون في لقاءات سريّة ، ويتنافسون على من سينال شرف التفاوض . يقول أحد القادة المسلمين : " **علينا أن نعترف بأن إسرائيل أمر واقع** " .

وأشدُّ من ذلك أنَّ هذا الاعتراف يفتح ديار المسلمين كلها لغارة وحشية مقبلة، وخطر جنوني داهم ، يتفجّر من هذا الكيان الباطل، الكيان الذي يتجمع ليكون بؤرة فساد، ومصدر عدوان وحشي . ولقد عرفنا طبيعة اليهود من تاريخ يمتد آلاف السنين طبيعة مكر وتآمر وغدر، طبيعة فساد في الأرض كلها وإفساد . ولقد فصل القرآن الكريم في وصف هذه الطبيعة تفصيلا لا يترك عذراً لأحد .

وإنَّ رفض الباطل وما ينشأ عنه من حلول ، يوجب إعداد حل بديل مباشر، حتى يصح الرفض ، فالباطل يرفض أولاً لأنه باطل ، ومع هذا فلو سأل سائل ما هو الحل البديل ، فإن الحل البديل متوافر ، وقد وهب الله لهذه الأمة المسلمة كل أسباب المنعة والقوة المادية في الأرض : عدد هائل من البشر ، ثروة هائلة في باطن

الأرض وظاهرها ، أرض ممتدة ، وعقيدة ودين . ومن هذه الطاقات العظيمة ينطلق الحل البديل يدفعه إيمان وعقيدة ورجال صادقون ، وعزائم مؤمنة تنهض كلها إليه ، ليَقوم لقاء المؤمنين والأمة المسلمة الواحدة !

ويبدأ الحل البديل بمسئولية كل مؤمن إلى الوفاء بأمانته وعهده مع الله ، حتى تخوض الأمة المسلمة الواحدة ميدان الجهاد صادقة مع ربها ، فتصب كل طاقاتها في ميدان الحق ، ليكون الميدان نفسه مصنع الرجال والأبطال ، وإذا قصرت الأمة في واجبها هذا، فلا يسقط الواجب الشرعي عن كل مسلم ، لينهض إلى واجبه قدر وسعه وطاقته في **تبليغ رسالة الله كما أُنْزِلتْ على محمّد ﷺ وتعهدها عليها وبناء الجيل المؤمن الذي يمضي على صراط مستقيم .**

إنَّ الحلَّ البديل ينطلق من الأمة المسلمة الواحدة والصفّ الواحد ، التي تلتقي على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ إيماناً وعلماً وعملاً . الحل الذي قتلناه بتهاوننا وتمزّقنا عصبيّات وأحزاباً وأهواءً ، إنه الحل الذي لم نسعَ له ، ولم نبذلْ له، إنه الحل الذي لا بديل له ، ولا يوجد حلٌّ آخر يقود إلى النصر أبداً إلا الصفّ المؤمن الواحد ، الذي يستحقّ أن يُنْزِل الله نصره عليه . وإن كان هذا الحل غير متوافرٍ الآن ، فلننهض للعمل له ، لأنَه لا نصر بغيره أبداً .

إنَّ قضية فلسطين ليست قضية أرض فحسب ، على أهمية الأرض وخطورة منزلتها ، ولا هي قضية شعب محدود على أهمية دور هذا الشعب ، ولا هي قضية وطنية ولا قومية ! إنها قضية الإسلام ، وقضية الأمة المسلمة ، وقضية كل مسلم في الأرض إن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، مهما كان جنسه ولونه ، وأينما كانت أرضه وإقامته . وكل مسلم سيُحاسَب يوم القيامة عن دوره وجهده ، يوم لا يغني مال ولا بنون ، ولا جاه ولا سلطان ، ولا يغني مولى عن مولى شيئاً ! ولا يحلّ في هذه الحياة الدنيا لأيّ مسلم أو حركة إسلامية أن يكون له موقف علنَيّ قويّ بشعاراته وموقف آخر مناقض سرّي . يجب الوضوح والصدق والصراحة ولا حاجة للتكتيّك الخادع .

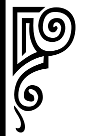
القُدْسُ في خَطَرٍ؟! الآن ؟! واعجباً ... أينَ السِّنُونَ التي مَرّت بها الكُرَبُ ؟!
أَين المواعظُ دوّت في مسامعنا ؟ ... أين النَّذيرِ و أين الآيُ و الكُتُبُ ؟!
أَيْنَ القَوارع هزّتْ كُلَّ ذي صَمَمٍ ... ولمْ يُهَزَّ لنا عزْمٌ و لا قُضُبُ ؟!
وخُطّةُ القومِ تَمضي بيْنَنَا زَمناً ... تَطولُ فيه دَواعي المكْرِ و الرِّيَبُ
ونَحنُ نمضي على أحْلامنا وهَناً ... تَنازُلاً في دُروبِ التّيه نَضْطَربُ
مسلسلٌ ! كَمْ نزلْنا فيه مُنْحَدَراً ... يَهْوي بنا ! هانَ فيه العَزْم والطّلَبُ
دوَّتْ شعَاراتُنا ! بُحَّتْ حَناجرُنا ! ... جُنّتْ عواطفُنَا! تَعْلو وتلْتَهبُ
ضجّتْ شكايتُنَا في كُلِّ مُعْتَرَكٍ ... مَعَ الهَزيمة تُطْوَى ثمَّ تَحْتَجبُ
لهَيْئةٍ مُزِّقتْ في ساحِها أُمَمٌ ... يا سوءَ ما فَعلوا في الأرض و ارتكبوا
لقد ركنّا لكيْد الظالمينَ ولمْ ... نَزَلْ على كَيْدهم نشْقَى و نَنْقَلبُ
لم نشْكُ لله ! لم نلجأْ لرحمته ... فما استقام على نهجِ الهُدى أَرَبُ

* * *

القدسُ في خَطَرٍ؟! ما زال يُذهلُني ... حقّاً ويُفزعُني من أمرنا عَجَبُ
القدسُ يا أُمّتيَ ليْسَتْ بمنْعَزَلٍ ... عن الديار ، ولا الخطْبُ الذي خَطَبُوا
القُدْسُ يا أمّتي موصولةٌ بعُراً ... وبالحبال التي يزكو بها النَّسَبُ
بالبيت ، بالكعبة الغرّاء ! عُرَوتُها ... شُدَّت بها ، بغَنيٍّ النّور تأتَشبُ
وبالمدينَة حَبْلٌ غير منفَصمٍ ... عَهْداً مع الله حَقّاً ليس ينقَضبُ
عَهْداً إلى أُمَّةِ الإسلام ما صدقت ... أمانةَ العهدِ والحقِّ الذي يَجبُ

* * *

وتظلُّ اللعبة الماكرة ممتدّة متنامية في أرض الإسلام ، فهل من يقظة وإفاقة ؟!


الباب الثاني

الدولة الفلسطينية والوهم الممتد !

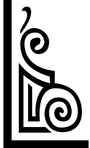
الفصل الأول : ضرورة توحيد التصور الإيماني لقضية فلسطين .

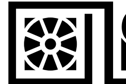
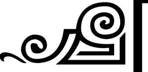
الفصل الثاني : الدولة الفلسطينية بين فتح وحماس !

الفصل الثالث : حماس إلى أين ؟!

الفصل الرابع : الوهم الممتد والشعارات المتساقطة .

الفصل الخامس : التكتيك بين المكر والخداع والفتنة والضياع .




الفصل الأول
ضرورة توحيد التصور الإيماني
لقضية فلسطين وضرورة توحيد الصف الإيماني

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وخروج أمريكا أقوى وأشدَّ ، وحلفاؤها الأوروبيون منهكون ضعفاء ، أبرز هذا الوضع ما كان يسمى بالنظام العالمي الجديد . وقد برز أثر هذا النظام العالمي الجديد في حرب الخليج الثانية حيث اعتمدت أمريكا عليه لتقود العالم أو جزءاً كبيراً من العالم إلى هذه الحرب ، دون وجود مسوِّغات تجمع هذا الجمع إلا سلطان أمريكا وسيطرتها . وأعلن الرئيس بوش مبادئ في سياسة أمريكا لم تخرج عن تأكيد مصلحة أمريكا ذاتها قبل كلِّ شيء . فكان من بين ما قال :

" **ليس للولايات المتحدة النية أن تفرض حلفاً أمريكياً، ولكن سنظل ملتزمين ولن ننسحب أو نتقوقع في الانعزالية، نحن نقترح الصداقة والقيادة** "(1). ولقد وفرت أمريكا لنفسها أهم المؤسسات التي تعينها على ممارسة القيادة العالمية، وأهمها : وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية ، الجيش الأمريكي ، جيش البحريَّة الأمريكية ، الوكالة الأمريكية للاتصال العالمي ، وغير ذلك .

وقد قسمت أمريكا العالم إلى مناطق نفوذ ، يخطط لكل منطقة طاقات متفرّغة لعملها ، يخططون ويهندسون ، وينظمون المؤامرات والاغتيالات والانقلابات ، وتعمل بكل الوسائل على فرض النموذج الأمريكي تمهيداً للسيطرة والهيمنة والتدخل في جميع أشكاله سياسياً واقتصادياً وعسكرياً وثقافياً ، تحت شعارات التعاون والتبادل وغير ذلك ، وبذلك ملكت القدرة على تسخير المؤسسات الدولية مثل مجلس الأمن وغيرها ، و تتكرر الزيارات المكوكية لمسؤوليها إلى الأراضي المحتلة من فلسطين وغيرها من بلاد المسلمين لتنسيق الأدوار وتخدير الشعوب ،

(1) باتريك هرمان : " العالم حسب بوش ، ميلاد نظام عالمي جديد في القانون الدولي وسياسة المكيالين " ، تعريب أنور مغيث ١٩٥٥ ، ص : ٣٨ . ود. بركات محمد مراد ، ص : ١٣٤ .

ووضع تصورها الخاص لقضية فلسطين والعراق والصومال وأفغانستان وغيرها ، وتحريف الحقائق والوقائع ، وتزيينها بزخرف كاذب !

فمنذ سنة (١٩٢٠م) عرفت فلسطين جهادها الأول ضد الإنكليز واليهود معاً . ومضى الجهاد بعد ذلك يتفجر في أرض فلسطين : (١٩٢١، ١٩٢٩، ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ ، ١٩٣٧ ، ١٩٤٨م) ، وامتدّ حتى يومنا هذا !

ولم تكن جولة (١٩٢٠م) هي أوّل صدام مع اليهود في فلسطين . فلقد كان أذاهم معروفاً قبل قرن من الزمان تقريباً ، حين اصطدم أهل مدينة صفد مع اليهود بحدود سنة ١٨٣٢م ، أثناء غزو إبراهيم باشا لفلسطين . ومنذ ذلك التاريخ انكشف تدخّل قناصل الدول الأجنبية لصالح اليهود بشكل جلي .

ومنذ تلك السنة كنت تجد أهل الجهاد هم رجال الإسلام وهم العلماء وهم الذين ينزلون الميدان . وفي كلّ وثبة كنت تجد مشاعلها جنود الإسلام ، وتجد وقودها هم جنود الإسلام .

ربما يحاول بعضهم الإساءة إلى هذا الصف المؤمن بإثارة عصبيات جاهلية مؤذية ، وإشاعة روح من فتنة . فيثيرون في حمّى العاطفة شقاقاً يدعونه بين مؤمن ومؤمن ، ومجاهد ومجاهد ، بعد أن قضى هؤلاء المؤمنون ، ومضى جهادهم ، وأصبح أمرهم بين يدي الله العزيز الغفّار . فتثور حماسة لهذا ، وذاك لذاك ، في فتنة لا تفيد جولة ولا تُغذّي إيماناً . مضى المجاهدون الأعلام وما اختلفوا ، واختلف عليهم القاعدون اليوم .

لقد مضى الشيخ عز الدين القسام ـ رحمه الله ـ وهو جنديٌّ مجاهد مع هذا الصف المؤمن الواحد ، صفّ لم تطرقه فتنة ، ولم يُفرّقه شقاق ولا خلاف ، كلُّ جنديٍّ ملتزم بالقيادة العليا . وما كان لهم أن يقعوا في ذلك ، فإيمانهم وعلمهم يعصمهم من ذلك كله ، والصفُّ هو من علماء الإسلام في فلسطين . وعسى أن يتعلَّم الناس دروساً من صدق النية وسلامة القصد في ميادين الجهاد خاصة من أولئك الرجال الأعلام .[١]

(١) يراجع كتاب : " على أبواب القدس " ص : (٢٨٥ـ٢٨٦) ـ للمؤلف .

لا نعلم أنّ عز الدين القسام دخل معركة عسكرية واحدة ، إلا أن مهمتهُ كانت تكوين خلايا للثورة في منطقته حسب التعليمات الصادرة إليه من القيادة . وهذا الإجراء كان يتم في جميع مناطق فلسطين ، دون أن تشعر حكومة الانتداب بذلك . وعندما صدرت إليه التعليمات ليغادر إلى منطقة المثلث لتأمين سلامته وسلامة التنظيم ، فاتجه إلى أحراش يعبد مع عدد قليل من رفاقه ، ووقع الخطأ الكبير حين أطلق أحدهم النار على سيارة ضابط بريطاني مرّت أمام الأحراش فقتله ، وجاءت الطائرات فحلقتْ فوقهم وقتلت من قتلت ، ومنهم عز الدين القسام ، ونقل المصابون إلى المستشفى للعلاج . وبدأ ينكشف أمر الخلايا والإعداد السري .

وسيمضي الجهاد في فلسطين وغيرها من بلاد المسلمين ، جهاد المؤمنين ، جهاد الأمة المسلمة ، مهما ظهرت فينا بوادر ضعف وهوان . فما زال في الأمة جذوة الخير ، وعصارة الإيمان ، ونواة البركة ، وما زال فيها الصادقون ، وسيمضي الصادقون يطرقون أبواب الجنّة في فلسطين ، وفي أفغانستان والعراق والشيشان والصومال وكشمير ، وفي سائر ديار المسلمين ، و**لكن يضيِّع جهودَهم تفرّقُهم ، وغياب الخطة الشاملة الإيمانية ، وغلبة الجهل وضعف الإيمان** .

ولكنها دروس يتعلّم منها المؤمنون ، فلو عدنا إلى سنة ١٩٤٧م ، عندما أُعلن التقسيم ، هبّ أهل فلسطين، وأعلن الإنكليز إلغاء الانتداب . في ذلك الوقت كان أهل فلسطين يستطيعون مجابهة الأحداث ، ومتابعة الجهاد في أرضهم وديارهم وهم فيها ، لو مُدّوا بالسلاح والمال والتدريب ، ولو حوربت الوسائل العلنية والخفيّة للتهجير والترحيل . في هذه المرحلة أصرّت معظم الدول العربية على أن تتولّى هي قضيّة فلسطين . وكان اليهود آنذاك أضعف بكثير مما أصبحوا عليه بعد سنين . ولمَّا اشتدَّت قوة اليهود ، ونمت دولتهم سنة بعد سنة ، أصبحت مجابهتهم تحتاج إلى ميدان أوسع ، وتلاحم أقوى ، وخطة أوعى . وأصبح خطر اليهود أكثر وضوحاً ، وأكثر اتساعاً ، مما يستدعي قيام أمّة تبني قوتها وعدتها وخطتها لتفلح في مجابهة الموقف . ولكن الدول العربية نقلت القضية بعد هذه المرحلة الجديدة

إلى أيدي فئة محددة من الشعب الفلسطيني الممزّق . دروس من الإيمان رسمها الإسلام للمسلمين جميعاً ، لتظلّ عبرة تتعلم منها الأجيال .

من أصعب ما يتحدث عنه المسلم اليوم مع شدّة اضطراب الواقع هو قضية فلسطين ، على وضوح الحقِّ فيها . ولكن الصعوبة لا تنشأ إلا من الإنسان نفسه ، الإنسان الذي وصفه القرآن الكريم فقال : ﴿ **قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ** ﴾ [عبس: ١٧]

الإنسان الذي جعل تاريخها المباشر كقضية سياسية يزيد على القرن من الزمن أو أكثر ، حتى حملت في هذا التاريخ الطويل هرج السياسة الدولية واضطراب الحياة البشرية ، وصراع الأطماع في معادلة معقدة متشابكة يزيدها الشيطان وجنوده من الإنس والجنّ بلاء وتعقيداً . وتنشأ الصعوبة كذلك من اضطراب التصور لها بين أبنائها وأهلها في العالم العربي والأمة المسلمة ، حتى اختلف التصور بين فئة وفئة ، وبلد وبلد ، وشعب وآخر ، وجيل وجيل ، وزاد الاختلاف حتى بلغ حدَّ التناقض والصراع . وتنشأ الصعوبة كذلك من الظلام المفزع الدامس الذي يلفّ واقعنا اليوم ، الواقع الذي يتلمس فُرْجة من ضياء ، وبصيصاً من نور ، في القلوب الصادقة مع ربّها ، والعزائم المشدودة إلى عهدها، والخطا الثابتة على دربها .

ومع هذه الصعوبة فلا يزال للحديث عن قضية فلسطين سبيل وسعة . فهناك معالم لا بدّ من جلائها وتأكيدها ، على الدرب الممتدّ إلى فلسطين .

وأوّل قضية نودُّ أن نؤكدها هي ضرورة توحيد التصور الإيماني ، التصور الفكري لقضية فلسطين وغيرها من قضايا المسلمين اليوم ، ليكون تصوراً لا يقف عند الشعارات والرايات ، ولكن يدخل إلى أعماق القلوب والنفوس والعقول ، فيجمع طاقات الإنسان كلها فكراً وعاطفة ، وإيماناً وموقفاً وعملاً ، ثم نهجاً واضحاً يحدد أهدافاً واضحة ، تصوراً يربط النهج بالأهداف ، ليصبح تصوّر كلّ الشعوب المسلمة الممزّقة ، وليربط النهج والأهداف بالواقع من خلال منهاج الله ، وليحدّد المسؤوليات والواجبات والمواقف .

لقد عرف تاريخ هذه القضية تصورات متباينة متناقضة متصارعة ، في واقع العالم الإسلامي ، وامتدّ التباين حتى برز في داخل الإطار الإسلامي ، وتناقضت الشعارات حتى في الميدان الواحد ، ونما التباين حتى أصبح كمية هائلة تحتاج وحدها إلى بحث وتمحيص ، لا تتسع له هذه الكلمة الموجزة ، ونما التباين في التصور حتى تحول إلى صراع مكشوف ، أو تنافس مدمّر . وامتدّ التباين في التصور مع الزمن حتى أضعف المواقف والخطوات ، وحتى سهل عمليات التنازل وفتح أبواب المساومة ، وسهل تطويع بعض النفوس وترويض قطاعات في الأمة . بطولات في الشعارات المعلنة ، ومكر وتنازل في الخفاء ، وهزائم في الميدان .

لا بدّ من توحيد التصور الإيماني في قضية فلسطين ليكون هو التصور الذي يحمله الإعلام كله ، ويصوغه الأدب كله ، ونُغَذِّي به أطفالنا ونساءنا ورجالنا ، ونمدُّ به التاريخ والأجيال ، وليكون شاهداً لنا لا علينا ، شاهداً على صدقنا بين يدي العزيز الجبار ، يوم الحساب ، يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم ، قلب كانت سلامته في صدقه وإيمانه ووعيه ، يحمل التصور الحقّ الأمين ، سليم من الأهواء فاستقام تصوره وإيمانه ونهجه ، وانجلت أهدافه .

ولقد تسللت القومية إلى قلب الواقع الإسلامي ، وتسللت الاشتراكية ، وتزاحمت الشعارات بين رأسمالية وديمقراطية وشيوعية ودكتاتورية وحداثية وعلمانيّة ، وعولمة ، وإسلام محرّف ، تسللت هذه الأفكار كلها ، وكثير غيرها إلى النفوس في مرحلة امتدّ فيها الجهل بمنهاج الله ، واضطرب الإيمان والميزان ، حتى اختلطت كلها في أعماق الوعي ، وانعكست لتكشف نفسها في الكلمة والرأي والموقف . لقد كان ضغط هذا التسلل رهيباً حتى انزلقت بعض الأقلام فنادت بالاشتراكية والديمقراطية ، وخلطتها وعجنتها مع الإقليمية والقومية، وصبغتها بصبغة إسلامية، وطرحتها في واقعنا السياسي وقضايانا الأساسية ، وقضية فلسطين بصورة خاصة .

فمن حيث الشعارات قد يلتقي الكثيرون على أنَّ فلسطين أرض مسلمة ، ولكنها ليست أرض وقف . إنها أرض إسلامية بأمر الله منذ أيام نوح وإبراهيم وإسماعيل ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى وسائر الأنبياء والمرسلين الذين بعثهم الله كلهم بدين واحد هو الإسلام . وأنَّ الحل الصادق هو الحل الإسلامي ، وتهيج العواطف كلّها ، وتثور النفوس تأييداً للحلّ الإسلامي ! وهذا حقّ ، ولكن ما هو الحلّ الإسلامي ، ما هو نهجه ؟ ما هي خطواته ومراحله ؟! وما هي المسؤوليات والواجبات التي تنشأ عنه والمواقف التي تتحدد بها ؟! وما هي حجتنا في ذلك ؟! وكيف نخاطب العالم بها ؟!

لقد كان من أوضح آثار تسلل المناهج الغربية والشرقية إلى عقولنا وأفئدتنا هو غياب الحسم والمفاصلة وبخاصّة في قضية الإيمان والتوحيد وما يُبْنى عليها من مواقف . حيث يفرض الإسلام الحسم والمفاصلة في ذلك ، والحسم والمفاصلة لا تعني الحرب والقتال دائماً ، ولا تعني الارتماء بالأحضان وتشابك الأيدي ، ولكن تعني استقلال النهج والممارسة ، ووضوح الأهداف ، والتقاء الدرب مع الأهداف ، التقاء تطمئن النفوس إليه ، حتى ترى أنَّ الدرب يوصل إلى الأهداف حقّاً . وهو يعني كذلك أنَّ على الأمة أن تحمل هذا النهج والعقيدة التي يقوم عليها لتدعو إليه وتبلغه للناس كافة ، دعوة واحدة ونهجاً واحداً . ولكن من أثر غياب هذا النهج أن اختلطت المواقف في تاريخ الأمة بين مواقف قومية وإقليمية ، واشتراكية وديمقراطية وعلمانيَّة تنسلّ في واقعنا تحت شعارات وطنية إسلامية .

من حيث الشعارات قد يلتقي الكثيرون على أنَّ فلسطين أرض مسلمة ، ولكن ما هو إسلامها ؟! متى بدأ إسلامها ؟! كيف ارتبطت به ؟! وكيف تتحدد به المسؤوليات والمواقف ، والنهج والأهداف ؟! ومدى التزام واقعنا اليوم بذلك كله؟! وإذا لم يصدق الالتزام في واقعنا اليوم بالنهج المفصل والأهداف ، أو إذا لم يتوافر النهج المفصل فأين الخلل ؟! من نحن ؟! وعلى أيّ أساس نطالب بفلسطين؟! لا بدّ من الإجابة على هذه الأسئلة بوضوح ، فعليها وعلى الإجابة

تتحدد المواقف والمسؤوليات ، وتلتقي الشعارات والنهج والأهداف في مسيرة مستقيمة واحدة .

حتى يكون للأمة موقف واحد يجب أن نرد قضايانا كلها واحدة واحدة ، إلى مصدر واحد هو : **منهاج الله** ، لنخرج من ذلك **بالخطة الواحدة والنهج الواحد** . ولا يمكن أن نفلح في ردِّ الأمور إلى منهاج الله إلا إذا صفا الإيمان والتوحيد وصدق العلم بمنهاج الله ، ووعينا الواقع من خلال منهاج الله ، وطلبنا بذلك كله الدار الآخرة صادقين ، ليقوم على هذا الإيمان والعلم نهج وخطة يلتقي عليها المؤمنون الصادقون .

لا تستطيع فئة واحدة ولا جماعة واحدة ولا قطر واحد أن يجابه صفّاً دولياً واحداً يغزو العالم الإسلامي فكرياً وعسكرياً . لا بدَّ من صفٍّ إيمانيّ واحد يحمل رسالة الله صادقاً أميناً عسى الله أن ينصره ، فالنصر من عند الله وحده ! ويحمل نهجاً واحداً مفصلاً يجمع المؤمنين أمة واحدة . إنه الصراط المستقيم الذي بيّنه الله وفصّله : ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٣]

ولبناء التصور الإيماني الواحد والصف الإيماني الواحد ، فإنَّ المسؤولية تقع على كل مسلم مؤمن ، وعلى كل داعية وعالم ، وعلى كل جماعة ! والحساب بين يدي الله شديد ، وعقابه في الدنيا والآخرة شديد .

ومن أجل ذلك نطرح **نهج مدرسة لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن** ، ليعرف كل مسلم مسؤوليته الفردية ، وأسباب قيام أخوّة الإيمان والإسلام وشروط ذلك ، وليكون هذا النهج أساساً تلتقي عليه القلوب المؤمنة على صراط مستقيم على منهاج الله ـ **قرآناً وسنةٌ ولغة عربية** . صفّاً واحداً يمضي إلى الهدف الأكبر والأسمى ـ الدار الآخرة ورضوان الله والجنَّة .

ويحمل هذا **النهج النظرية العامة للدعوة الإسلامية** ، مع دراسات

مفصّلة لكل بند من بنودها ، **ومع تحديد الأهداف الربانية الثابتة والوسائل والأساليب الضرورية ، والمناهج التطبيقية المفصّلة ونماذجها ، والنظام الإداري** الذي ينسّق الجهود ويحدد المسؤوليات والواجبات لكل مستوى . كما يعرض النهج **دراسات في الأدب الملتزم بالإسلام والنصح الأدبي (النقد) ، والردّ على المذاهب الأخرى ، مع أعمال تطبيقية من ملاحم وقصائد ، مع دراسات مفصّلة للواقع وقضايا المسلمين في الأرض** . إنه نهج نعرضه في كتب توجزه ، وكتب تفصّله ، يتجاوز عددها مئة وعشرة كتب . **إنه لا يقوم على أساس حزبي ولا عمل سرّي . إنه منهج لكل مسلم ولكل أسرة مسلمة ، ولكل حركة إسلامية ومجتمع مسلم .**

وهو ضرورة حتمية لقيام الأمة المسلمة الواحدة ، وليقوم بذلك الحل الإيماني الإسلامي لقضية فلسطين . وبغير ذلك لا يوجد حلّ إسلامي !

الفصل الثـــانـــي
الدولـة الفلسطينيـة
بين فتح وحماس

منذ العشرينات في القرن الماضي ، كان شعور المسلمين جميعهم ، وشعاراتهم ، وهتافاتهم ومظاهراتهم ، كلها تنادي بأن فلسطين هي كلها للإسلام ، ولا يحلّ التنازل عن شبر منها . وبعض المنتسبين إلى الإسلام كانوا ينادون بأن فلسطين عربيّة ، ولا يجوز التنازل ولا المساومة على عروبتها .

ومضى الجهاد في فلسطين يمضي به أهل فلسطين وقليل جداً من بعض البلاد العربيّة ، وقامت ثورة بعد ثورة حتى قامت ثورة ١٩٣٦م في ظروف خاصة تسود العالم الإسلامي الممزّق . فشلت كلُّ الجهود لجعل قضية فلسطين إسلامية عمليّاً وممارسة وليس شعاراً .

ولكن نجحت جهود اليهود ومَنْ وراءهم : أمريكا وأوروبا وروسيا ، في أن تنقل قضيّة فلسطين من كونها قضية إسلامية عملياً ، إلى كونها قضيّة عربيّة عزلت العالم الإسلامي عمليّاً عنها ، ثم نقلتها نُقلة أخرى حين جعلتها قضيّة فلسطينية فقط ، ثم توالت المراحل مرحلة بعد مرحلة حتى أصبحت القضيّة ليست قضية فلسطين كما كانت سابقاً ، وإنما أصبحت قضية قطعة من فلسطين : قطاع غزة والضفّة الغربيّة ، كما اصطلح على تسميتها .

الظاهرة الغريبة في هذا الأمر أن المسلمين والعرب استُدْرجوا إلى هذه المراحل ، وكأنهم مضوا إليها بمحض إرادتهم . إن التنازل الأول عن كون القضية قضية الأمة المسلمة كلهِّا ، قضيةَ كل مسلم ، قضيّة جهاد صادق في سبيل الله ، إن هذا التنازل الأول سهّل جميع التنازلات التي تلت ذلك .

بل كان الأمر أكبر من ذلك . كانت كلُّ مرحلة تنازل تأتي بعد ذلك من المسلمين أو العرب أو الفلسطينيين أنفسهم تابعة للتنازلَ الأولَ . هكذا كان يبدو

ظاهر الأمر ، ولكنه في الحقيقة كان نتيجة ما يجري وراء الكواليس وبينها وأمامها وعلى جوانبها ، دون أن ينفي ذلك أن المسلمين أو العرب أو الفلسطينيين قبلوا عمليّاً ، ولكن قد يحتفظ بعضهم بالشعارات السابقة ، ثم يأتي دور التنازلات حتى عن الشعارات نفسها شيئاً فشيئاً ، وتختفي معها " اللاءات " واحدة بعد الأخرى .

لقد كانت الصورة واضحة جليّة مع مرحلة انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين وقيام دولة لليهود وإعلان هذه الدولة ، وتسابق الدول إلى الاعتراف بها . في هذه المرحلة قامت الدول العربيّة والشعوب العربيّة بتبنّي مقاومة ذلك ومحاربة إسرائيل دون أيّ إعداد ، وانتقلت القضية إلى جامعة الدول العربيّة ، دون أدنى محاولة لإشراك العالم الإسلامي والدول الإسلامية في مسؤولية المعركة وخوضها ، بالرغم من وجود منظمات إسلامية ، وأحزاب إسلامية . وخاض العرب المعركة ضد دولة اليهود وحدهم ، فكانت معركة عربيّة تضج فيها الهتافات والشعارات التي انتهت بهزائم مؤلمة للعرب ، ولكل مسلم لم يدخل المعركة بإسلامه ، واعتبر بعضهم أن هذه الهزائم انتصارات ، وأناروا الجبال والسفوح والسهول ابتهاجاً بالنصر .

لقد انتبهتُ إلى هذا التحول بحدود سنة ١٩٥٦م ، وأنا طالب في جامعة القاهرة بمصر ، في ظل حكم جمال عبد الناصر مع انطلاق القومية العربيّة والقومية الإقليمية .

شعرتُ بالتحوُّلات التي أَخَذَتْ تطرأُ على قضية فلسطين ، من خلال ما يدور في وسائل الإعلام ، ومِمَا يتفلّت من أخبار من هنا وهناك ، ومن خلال صلتي مع الحاج محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين وقائد ثورتها حتى ذلك الحين .

جمعت الإخوة وأبديت رأيي في أن القضية الفلسطينية لم تعد عمليّاً في الساحة المحلية أو الدولية قضية إسلامية ، ولا قضية عربيّة ، وأن الدول العربيّة نفضت يدها من الهيئة العربية العليا لفلسطين ومن الحاج محمد أمين الحسيني ،

وأن الاتجاه الآن هو للبحث عن فلسطينيين يتولون القضيّة لأنها قضيّتهم وهم أولى بها . ولقد تمّ هذا فعلاً واختير ياسر عرفات وصلاح خلف وخليل الوزير ، وبدأ الإعداد لتكوين منظمة التحرير الفلسطينية التي أعلن عن تكوينها جمال عبد الناصر سنة ١٩٦٤م . وبدأ تكوين حركة فتح كما كان قد بُدِئ تكوين منظمة التحرير ، وأصبح في كل بلد عربي فصيل فلسطيني ينادي بتحرير فلسطين ، ومن هذه الفصائل تكونت منظمة التحرير التي بدأ برئاستها أحمد الشقيري مرحليّاً ، ثم أزيح بسهولة وأصبح ياسر عرفات هو رئيسها ، وحركة فتح هي الفصيل الرئيس في المنظمة ، ولو إلى حين .

في هذه المرحلة وبحدود سنتي ١٩٥٧/ ١٩٥٨م ، دعوت عدداً من الإخوة إلى لقاء في مصر الجديدة ، وعرضت كلّ تصوري للقضيّة ، ومحوره أن كلّ الجهود والوسائل الحالية لتحرير فلسطين لن تفلح إلا **بقيام أمّة مسلمة واحدة ،** وصفّ متراص . وكما ذكرت ذلك في صفحات سابقة ، فقد تمّ الاتفاق على أن يتولى التنظيم الفلسطيني القائم الدعوة إلى لقاء المؤمنين الصادقين في صفٍّ واحد يخوض معركة فلسطين ، لا على أساس فلسطيني ، ولا على أساس عربي ، ولكن على أساس إسلامي يجمع القلوب والإمكانات لخوض معركة فلسطين .

ولكنّ هذه المحاولة التي اتّفق عليها نخبة من الشباب الفلسطينيين فشلت كذلك ، بأيدي المسلمين والفلسطينيين ! ولكن كيف ؟! سؤال يحتاج إلى وقفة طويلة ، غير هذه الوقفة .

أصبح الاتجاه الآن كما ذكرنا يسعى لتحميل الفلسطينيين مسؤولية القضية . وأُوجد في الساحة من يتقدّم لقبول هذه المهمة ، ياسر عرفات ومن معه ، ينالون الدعم الواضح إعلامياً ومالياً وسياسياً ، للمضيّ على نهج محدد مرسوم .

كان من أهم معالم هذا الاتجاه فكرة " **الدولة الفلسطينية** " ! منبت الفكرة ، كما يمكن أن نستنتج ، هو من الموجّهين لهذه القضية من الدول الكبرى ومن دول

المنطقة . وبدأت الفكرة تتسرّب إلى العقول والقلوب بأساليب كثيرة ، وفي مصر بالذات ، ثم خارج مصر .

مؤتمر كامب ديفيد الذي حضره : كارتر وأنور السادات وحسن التهامي ومناحم بيجين ، في هذا المؤتمر عُرِضَت فكرة الدولة الفلسطينية ونوقشت ، وتم الاتفاق على شيء ما ، شيء لا يؤَثّر على كيان دولة اليهود . ثم أُوحيَ بهذه الفكرة هنا وهناك . ثم أخذت الفكرة تتسع .

ونجد قبول الفكرة لدى الإخوان المسلمين في الخطاب الذي رفعه المرشد العام إلى رئيس الجمهورية المصرية الذي يقول فيه : " **يجب الإصرار على حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم ...** " ! وركّز على تثبيت المرحلة الجديدة ، وهي وضع القضية في أيدي الفلسطينيين ! ثم يقول : " ... **من مصلحة مصر الوطنية أن يقوم بين دولة إسرائيل ومصر دولة عربيّة ...** " . فركّز هذا النصّ على الفكرة الموحى بها وهي الدولة الفلسطينية . لتقوم جنباً إلى جنب مع دولة اليهود ! ثم أخذت الفكرة تمتد وتلقى قبولاً هنا وهناك تحت إدعاءات ومسوّغات مختلفة ، أوضحها أنه لو حصلنا على شبر من أرض فلسطين فهذا خير . كلام ظاهره جميل وباطنه مؤلم وخطير .

كانت قناعة التنظيم الفلسطيني للإخوان المسلمين في السعودية ، وكنتُ رئيسه أيضاً ، رفض فكرة الدولة الفلسطينية ! ولكن شعرتُ أن هناك قوى تعمل داخل هذا الصف كأنها أشباح توحي وتختفي حتى تعلن وحيها جهاراً . وهكذا كان بين سنتي ١٩٧٤م/ ١٩٧٥م ، حين أتي أحد المسؤولين في التنظيم الفلسطيني يدعو إلى قبول فكرة الدولة الفلسطينية مع دولة إسرائيل ، وسوّغ ذلك بمسوّغات توحي بأنه تلقّى هذا الأمر أو أُوحيَ إليه من خارج التنظيم الفلسطيني الذي كان كل أفراده مقتنعين بحُرْمة ذلك ! أُجّل النقاش إلى لقاء مجلس الشورى . وتمّ اللقاء وأفاجأ بأن الإيحَاء بقبول الدولة امتدّ إلى جميع الأعضاء ، حتى إلى أولئك الذين

كانوا قبل ليلة واحدة معارضين ! اختلفنا وظهر أني الوحيد الذي أرفض فكرة الدولة كلِّها . وحدث ما ذكرته في كلمة سابقة ، ثم تمتدَّ الفكرة انتشاراً وإيحاءً !

ومضت منظمة التحرير برئاسة عرفات بعمليات عسكرية حشدت لها قلوب الكثيرين بالتأييد ، وحشدت لها إعلاماً مدوياً ، وبعد فترة من الزمن ، تتلاشى العمليات العسكرية ولو نسبياً ، وتتغيّر الشعارات ، وإذا بالمنظمة تغيّر ميثاقها وتلغي البند الذي ينصّ على محاربة إسرائيل ، وتطلب دولة فلسطينية عاصمتها القدس . ومع هول الانتقال والمفاجَأة لم يغضب الرأي العام ولا الإعلام ، وكل شيء يسير بهدوء ، بنهج وخطة ، وإعلام مسعف ، كأنه لم يكن هناك تنازل !

في جميع المراحل لم يكن لدى المنظمة أي نهج معلن أو خطة مدروسة أو درب يقود إلى تحقيق الشعارات . ولم يسأل أحد من الإخوان المسلمين أو العرب أو المسلمين ما هي الخطة وأين النهج . وبدأت المنظمة تضعف ويضعف دورها ، ويحجر على رئيسها في بيت في رام الله لمدة ثلاث سنوات لا يمكن أن يغادره ، حجرٌ قبيح على مرأى ومسمع العالم ، وبان أن القطاع كله والضفة كلها تحت سيطرة دولة اليهود . وأصبحت قضية الدولة الفلسطينية هي الأمل والحلم للمنظمة ولكثير من المسلمين . وكنتُ ومازلت أرفضُ فكرة الدولة الفلسطينية ، وأرفض أن يتبنّاها أو يسعى إليها أو ينادي بها المسلمون ! وذلك لأسباب أوجزها بما يلي :

أولاً : إن قبول الدولة الفلسطينية هو اعتراف عملي حقيقي بدولة اليهود وحقّها في الوجود ، حتى لو أعلنّا خلاف ذلك . فإذا كانت منظمة التحرير تولت كبر ذلك ، فلماذا يورّط المسلمون أنفسهم بهذا الأمر ووحله !

ثانياً : إن هذه الدولة الحُلم لا تملك أي شيء من مقوّمات الدولة ، وأكثر من ذلك أَنَّ قطاع غزَّة يأخذ الماء من عند إسرائيل ، والكهرباء من عند إسرائيل ، وعدد كبير من العائلات يعيش على عملها في إسرائيل . وستظل في جميع الحالات خاضعة لقوى خارجية ، دون أن تملك القدرة على الاعتماد على نفسها .

ثالثاً : هناك فرق بين أرض نحررّها بالقتال والجهاد ، ونقيم عليها دولة إسلامية ، وبين دولة تقوم على قرار الدول الغربية وأمريكا وغيرها ، كأنها منحة . حتى لو كانت بقرار منهم ، فإنها ستتم من خلال مسرحية تُرضي نفوس الكثيرين حتى يحسبوا أنّهم حقَّقوا نصراً ! ومن خلال فرحة النصر الموهوم يُسْتَدْرجون إلى واقع لم يكن يخطر بالبال ، كما حصل مع منظمة التحرير ، وفتح خلال أربعين سنة تقريباً . وإذا قامت دولة فلن تكون إلا دولة علمانيّة ولو تحت غطاء إسلامي .

رابعاً : إن الهجوم على حماس قبل الانتخابات من قبل إسرائيل وأمريكا وأوروبا جعل لحماس رصيداً عالياً في الانتخابات . والهجوم عليها بعد الانتخابات كان مسرحية مكشوفة . والتهديد بقطع الأموال عمل مسرحيّ لأن أبسط المشكلات أمام الدولة الفلسطينية هي المال الذي يمكن أن تؤمنه بوسائل أخرى كثيرة ، إلا أنها ستظل في جميع الحالات تحمل اسم الدولة وما هي بدولة لعدم توافر إمكانات حقيقية تقيم الدولة .

خامساً : تصريحات بوش ورايس وأوروبا توحي بأن هنالك خطة ما لا بد أن تنكشف مع الأيام . وتناقض تصريحات خالد مشعل في القاهرة ، وفي إيران وروسيا وغيرها ، يعزِّز الظنّ بأن هنالك مسرحيّة جديدة تُنفَّذ على مراحل .

ابتدأ خالد مشعل رحلته من القاهرة مع رئيس المخابرات المصرية عمر سليمان ، ثم مع الإخوان المسلمين ، ثم انطلق إلى مناطق أُخرى . وكذلك ابتدأ ياسر عرفات من المخابرات المصريّة ومن الإخوان المسلمين ، وامتدّ كل منهما على نفس المسيرة مع اختلاف الشعارات .

لم يجد ياسر عرفات خلال مسيرته دعماً بعد دعم مصر مثل ما وجد من الإخوان المسلمين ، الذين لم يكن هو منظماً في صفوفهم ، ولم يلتزم الإسلام كما يُفترض أن يكون الالتزام .

ومن فرنسا : ينطلق تصريح شيراك : **لا يمكن المساومة على أمن إسرائيل وحقها في الوجود** . وبدأت تتوالى التصريحات الدولية .

تقول رايس : " حماس " **عليها أن تختار بين الإرهاب والسياسة . إذا أرادت أن نتعامل معها فيجب أن تُلقي السلاح وتعترف بإسرائيل** .

وتناولت الدولُ التصريحات على هذا المنوال ، باستثناء إيران والبرازيل ، حيث شجعوا حماس على المضيّ في مجابهة أمريكا ، كما شجعّوا من قبل فتحي الشقاقي رحمه الله دون توفير دعم حقيقي أو مشاركة صريحة في معركة صريحة .

بعض الدول العربية : " لا تتعجّلوا بالحكم على حماس . أعطوها مهلة ! " ماذا يعني هذا ؟! مهلة لأيّ شيء ؟!

كانت " حماس " تعتزُّ بالسلاح والمقاومة ، وترفض الانتخابات والحكومة وغير ذلك . كان واضحاً أَن منظمة التحرير والسلطة الفلسطينية ملتزمتان بمعاهدات واتفاقات دولية . وأَعلن محمود عباس قبل الانتخابات أن الذي يدخل الانتخابات ويشارك في الحكومة يجب أن يعلم أنه ملزم بجميع الاتفاقات السابقة : أوسلو ، وخطة الطريق وأمثالها من المسرحيات السابقة !

فتح بنت شعبيتها على الأسس التالية :

ـ الدعم الإعلامي والسياسي على الصعيد العربي والإسلامي والدولي .

ـ الشعارات الوطنية المتناقضة بين دولة علمانية في كل فلسطين وبين القضاء على إسرائيل ! ثم تحوّلت الشعارات وعُدّل الميثاق ، وبدأ التنازل السريع ! والعمليات العسكرية التي أعطت إسرائيل مساحة أوسع من الأرض . وعلى نفس الأسس حشدت حماس شعبيَّتها ، باستثناء الشعارات . فقد أصبحت الشعارات شعارات إسلامية ، ثم أصبحت ديمقراطية وأعراساً ديمقراطية ، وأخذت تختفي كلمة الإِسلام شيئاً فشيئاً إلى : " **مصلحة شعبنا الفلسطيني** " ، " **الديمقراطية** " ، " **المقاومة** " ، " **الوحدة الوطنية** " !

ابتدأت حماس بشعار بتحرير فلسطين من النهر إلى البحر . وضجَّت الدنيا بهذا الشعار . والتفّ حولها الكثيرون . ثم أصبح الشعار دولة فلسطينية ، شعار فتح ... !

إلى أين سينتهي مسلسل التنازلات ؟!

لا بد من الانتظار ! ولا بد من إعطاء حماس فرصة !

انتهى دور فتح ولو جزئياً ! أو أنها ستتعاون مع حماس لتنفيذ المرحلة التالية التي خطط لها القادرون على التخطيط !

دخلتْ " حماس " الانتخابات بعد أن رفضتها زمناً طويلاً بحجة أنها حركة مقاومة . بدأت حماس سنة ١٩٨٦م ، ومنظمة التحرير وفتح ١٩٦٥م ، أي أن حماس بدأت بعد (٢٣) سنة من قيام فتح . أين كان المسلمون خلال هذه السنين ؟! ولماذا قامت حماس ؟! في هذا الوقت ؟! وما الحاجة إليها ؟

خلال هذه السنين وبعدها حتى اليوم ، تنازلتْ فتح ومنظمة التحرير عن أهم شعاراتها من القضاء على إسرائيل وتحرير فلسطين . وأَصبح الشعار الجديد الدولة الفلسطينية جنباً إلى جنب مع إسرائيل ، وتمت اتفاقات وعهود باسم منظمة التحرير والسلطة الفلسطينية ، كما عبر محمود عباس عن ذلك بوضوح .

دخول الانتخابات والسعي إلى السلطة والدولة يعني تغيير الاتجاه ١٨٠ درجة ، وتحاول حماس الآن تغطية الموقف بشعارات تتضارب ، ولكن إلى أين تنتهي ؟!

سنة ١٩٩٩م ، حين كنت في عمان خلال الصيف ، زارني أحد المسؤولين في حماس ، وبعد أن خلا المجلس من الضيوف ، أقبل وقال إنه يستشيرني باسم حماس ، بماذا أنصحهم الآن ، فقد شعروا أن شعاراتهم لم تتحقّق .

شرحْتُ له رأيي بوضوح . فقال سيأتي غداً إليك إبراهيم غوشة . وجاء الأخ إبراهيم في اليوم الثاني . وسأل نفس السؤال بأسلوب آخر : ما هو الخط الذي يجب على حماس أن تنتهجه الآن بعد أن فشلت في تحقيق أي من شعاراتها ؟ ذَكَّرتُه بموقفي ورأيي الذي اتفقنا عليه كلُّنا في القاهرة بين سنتي ١٩٥٧م و ١٩٥٨م من **أنه لا يمكن استرجاع فلسطين إلا بأُمَّة مسلمة واحدة وصفّ واحد يتميز**

بالخـصَـائص الإيمانيّـة التـي يمكن أن يُنْزِل اللـه بهـا نصَـره على الأمـة . وواجبنا أن نَسعى لجمع كلمة الحركات الإسلاميَة صفّاً واحداً ينزل ساحة فلسطين . وأن الفلسطينيين وحدهم لن يستطيعوا أن يزيلوا دولة إسرائيل ، ولا استعادة فلسطين ، ولا حماية غزة وقطاعها .

وانتهى اللقاء على أن يعود هو وخالد مشعل وبعض قادة حماس للتشاور في واقع تلك الفترة . وفي اليوم التالي كان جميعهم قد أُخرج من الأردن بما فيهم خالد مشعل وإبراهيم غوشة .

يبدو أن " حماس " اختارت الطريقَ الذي رأيناه . بدأت بالمقاومة لحشد الأنصار والمؤيدين كما سبق أن فعلت فتح . ثم قرَّرت خوض معركة الانتخابات التي كانت ترفضها ، والتي تتعارض مع خط المقاومة . ولكنها لم تقدّم مسوّغات إيمانيّة لهذا التغيير .

حماس الآن تواجه موقفاً صعباً ومشكلات كبيرة ، ولابد من أن ننتظر لنرى الفصل القادم من المسرحية بمؤلفيها وممثليها ومخرجيها !

رجعت أمريكا وإسرائيل عن قرارهما بقطع المعونات عن الفلسطينيين ، وأسباب ذلك تقدّم إيران لتعويض ذلك .

كان موقف خالد مشعل في إيران ، شديد التصريحات ، حاسماً ، بأنهم لن يعترفوا بإسرائيل ، ولن يلقوا السلاح ، ولكنه تنازل خطوة جديدة وهو في روسيا وغيرها ، حيث أُبلغ أنه يجب الاعتراف بإسرائيل وإلقاء السلاح ، حتى يمكن أن يقيموا دولة يتعامل معها الموقف الدولي .

كان يفترض بحماس أن تدرك هذه الناحية قبل أن تدخل الانتخابات بشعاراتها التي رفعتها ! كان عليها أن تدرك أن نقطة انطلاقتها الأولى والهدف الذي حدّدْته ، لم تعدَّ له خطّة متكاملة تكفل لها تحقيق الهدف !

فعلى أيّ أساس دخلت الانتخابات ، وهل نجاحها المفاجئ كان هو النصر الذي تسعى إليه ؟!

إن لغة " التكتيك " التي طالما أعلنتها وأسعفتها في مواقف سابقة ، لم تعدْ تصلح الآن أمام مواقف دوليّة جادّة وحاسمة . وإن مصطلحات الهدنة الطويلة التي كانت تتكئ عليها في الماضي لتخفي التناقض والإحراج الذي تمرّ فيه ، لم تَعُدْ كذلك تصلح .

كانت سابقاً تخاطب أهل غزة والضفّة والعرب ، وكانت جميع الشعارات مقبولة في أجواء الهوان والضعف والاسترخاء . أما الآن فالخطاب مع الدول الكبرى التي تملك أمرين لا تملكهما حماس ولا العرب ولا المسلمون وهما :

أولاً : القوة العسكرية الجبارة المدمرة .

ثانياً : الخطة الواعية بالنسبة لهم ، في صفّ دوليّ متكاتف على الأهداف محدّدة .

ويقابل ذلك في واقع حماس والعرب والمسلمين :

أولاً : كثرة الشعارات والمصطلحات ، وعدم توافر أي نهج وتخطيط .

ثانياً : صفّ المسلمين ممزّق ويزداد تمزّقاً وهواناً .

هل جهلت " حماس " موقف الدول العربيّة الذي أُعْلِنَ في مؤتمر قمة بيروت ٢٠٠٢م ، من أنه إذا انسحبت إسرائيل إلى حدود ١٩٦٧م ، والتزمت بشروط أخرى ، فإن الدول العربية ستعترف بها وتتعامل معها كأي دولة أخرى .

إذا كان هذا موقف العرب ، وإذا كان موقف أمريكا وأوروبا وروسيا مجتمعين هو حق إسرائيل بالوجود وتوفير الأمن وحمايتها ، فهل يكفي مقاومة هذه المواقف شعاراتٌ وضجيجٌ !

إن شعار " تحرير فلسطين من النهر إلى البحر " شعار أكسب " حماس " جمهوراً وأنصاراً كثيرين . **دون أن يسأل أحد كيف يمكن تحقيق هذا الشعار !** ولما وضح أمام الجميع العجزُ عن تحقيق الشعار ، بدأت التأويلات والتسويغات

بأنّ هذا التحرير يتمّ في المستقبل ، ومن أننا نجري مع اليهود هدنة طويلة ! إن هذا الكلام نكتة لا تجد لها مكاناً في الساحة الدوليّة ! وقد تجد لها مكاناً في أجواء الهوان والغموض والعجز !

وأقول إنني منذ البداية أرفض مبدأ الدولة الفلسطينية للأسباب التي ذكرتها ، وأُؤكِّد رأيي السابق بأن تحرير فلسطين يتطلّب إعداداً صادقاً ، وإننا نملك القوة لنعدَّ أنفسنا لتحقيق هذا الهدف العظيم ، الذي وعدنا الله به في حديث رسول الله ﷺ الذي يرويه عنه أبو هريرة رضي الله عنه :

" **لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود . فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهوديّ من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم ! يا عبد الله ! هذا يهوديٌّ خلفي فتعال فاقتله . إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود** " [رواه مسلم : ٥٢/١٨/ ٢٩٢٢]

نعم ! يقول الحجر أو الشجر : يا مسلم ! يا عبد الله ! ولا يقول : يا فلسطيني ! يا غزّي ! يا سوري ! يا مصري ! .... ! لا ! إنه ينادي المسلم الذي تجرّد من كلِّ عصبيّة جاهلية ، وأخلص دينه لله ، وهواه لله ولرسوله ، وعزم على الجهاد حتى تكون كلمة الله هي العليا .

وحتى يتحقق ذلك ، فنرى ضرورة توافر أربعة شروط والسعي الجاد لتحقيقها ، ونوجزها بما يلي :

١ - وجود نهج وخطة تضعها الطاقة البشريّة المؤمنة المتماسكة على أساس من ركنين رئيسين هما : منهاج الله ، قرآناً وسنة ولغة عربية ، والواقع الذي يُدْرَس ويُفْهم من خلال منهاج الله . ويقُوم الركنان على قاعدة صلبة هي الإيمان والتوحيد ، والحقيقة الكبرى في الكون والحياة ، والقضية الأخطر في حياة كل إنسان وفي حياة البشريّة .

٢ - أن يكون الهدف الأوَّل والرئيس للنهج والخُطَّة بناء الأمة المسلمة الواحدة كالبنيان المرصوص .

٣ - ترتبط الأمة كلها جنوداً وقيادة بالخضوع الصادق لمنهاج الله : دراسة وتدبّراً ، وإيماناً وعلماً ، وممارسة إيمانيّة صادقة .

٤ - تجتمع الشروط الثلاثة السابقة لبناء وإعداد القوة الحقيقية ، من طاقة بشريّة مؤمنة مدرّبة ، ومن عدة وسلاح أمرنا الله بإعداده ليناسب سلاح أعداء الله ويقف أمامه !

فحين تلتقي قوّتان : قوّة صدقت الله بالتزامها دينه ، ولاؤها الأول لله ، وعهدها الأول مع الله ، وحبها الأكبر لله ورسوله ، وأوفت الإعداد والخطة ، وقوة كذبت الله ورسوله وأنبياءه ورسله السابقين ، فلا ريب أن الله ينصر عباده المؤمنين الذين صدقوه وأوفوا بعهدهم معه .

لله سنن ثابتة حقيقية ، وهذه من سننه الثابتة ، وبغيرها لا يتحقق أَيُّ نصْر ، إلا نصر ظالم على ظالم .

فإذ أَردتم استرجاع فلسطين أرضاً مسلمة لله ، فهذا هو السبيل ، ولا سبيل يسواه !

وأخيراً نقول :

إِذا لم تقمْ في الأرض أُمَّة أَحمدٍ　　　فكلُّ الذي يجري على الساح ضائع

الفصل الثالـث

حماس إلى أيـن ؟!

كثيراً ما كتبتُ عن قضيّة فلسطين كتباً ومقالات وقصائد وملاحم . ولكن القضيَّة في هذه اللحظات تأخذ بعداً جديداً ، أشعر معها بوجوب النصح الخالص لوجه الله ، نصحاً يحمل الوضوح والصدق والحجة والبيّنة !

ما يجري اليوم هو نتيجة طبيعية للمراحل السابقة كلها . فهناك سنن ربَّانيَّة ثابتة في هذه الحياة الدنيا ، يخضع لها الناس جميعاً ، مسلمهم وكافرهم ، ويُبْتلى بها الناس جميعاً ويُمحَّصون تمحيصاً ، لتكشف حقيقة كلّ إنسان يوم القيامة ، فتقوم له الحجة أو تقوم عليه .

نوجز المراحل السابقة لقضية فلسطين بمسلسل التنازل الذي مرَّت به . فقد كانت أول أمرها قضيّة إسلامية تمسّ كلّ مسلم ، وكل قطر إسلامي ، من حيث الشعار والعاطفة والمحاولات ، ولكن الجهود التي بذلت لجعلها مسؤولية العالم الإسلامي كلِّه فشلت . وما أتت سنة ١٩٤٨م حتى أصبحت قضيةً عربية ، تولاها العرب وحدهم ، فدخلوا معركة مع اليهود هُزموا بها ، وقامت دولة اليهود ، وشُرِّد أهل فلسطين . وفي الستينيات من القرن الماضي امتدَّ التنازل حتى أصبحت القضيَّةُ قضيةَ الفلسطينيين وحدَهم ، وأُعلن ذلك رسمياً وقامت منظمة التحرير لتنال دعم العرب كلهم ، وليرضى بذلك الفلسطينيون دون أن يدرسوا مدى إمكاناتهم ومدى إمكانات العدو ، ودون وضع أيِّ خُطَّة مسؤولة . لقد كانت هذه التنازلات خطأً كبيراً في ميزان الإسلام ، خطأً من الذين قاموا به . وقبول الفلسطينيين أن تحصر القضية بهم ، وأنها قضية خاصة بالشعب الفلسطيني خطأ كبير جداً وقع فيه الفلسطينيون . فالقضية قضية الأمة المسلمة كلها ، وهذا الخطأ من هنا أو هناك يتناقض مع حقيقة القضية في ميزان الإسلام ، ومع الشعارات المدوية التي كان ينادي بها المسلمون زمناً طويلاً . وانطلق الجميع في ضجيج

الشعارات والعواطف الجيَّاشة ، حتى صُدموا بالواقع فغُيِّر الميثاق واعْتُرِف بدولة اليهود ، ووقف الفلسطينيون أمام الواقعَ المرّ ، لا يستطيعون أن يجابِهوا دولة اليهود عسكرياً ، ولا يستطيعون أن يحققوا أهداف الشعارات المدويَّة. فَلْتَتَبَدَّل الشعارات ، ولْيَعْلُ ضجيج الشعارات الجديدة ، لتمثّل مرحلة جديدة في مسلسل التنازلات ، فتختفي شعارات تحرير فلسطين كلها ، ومصطلحات إلقاء اليهود ودولتهم في البحر ، وأمثال هذه المصطلحات ، طُويت كلُّها مع مرحلة التنازلات الجديدة ، ودارت المفاوضات هنا وهناك : كامب ديفيد ، أوسلو ، وراء الكواليس، مما خفي ومما عرف ، وغير ذلك . وأُطْلِقَ شعار جديد ليمثّل مرحلة جديدة خطيرة من التنازلات في قضية فلسطين ، **أطلَق شعار الدولة الفلسطينية على جزء من أرض فلسطين** . وأصبحت هذه الدولة هي موضوع القضية كلِّها ، وأخذت الجهود تُبْذَلُ من أجلها ، ودار الصراع والأعمال الفدائية من أجل الدولة الفلسطينية المزعومة أو الموهومة ، وأصبحت مطلب الفصائل الفلسطينية وموضع تنافسهم عليها . وأكد ذلك " بوش " رئيس أمريكا بوعد قطعه على نفسه بأن يقيم الدولة الفلسطينية سنة ٢٠٠٥م ، ليكون هناك دولتان تتعايشان معاً في سلام . وهو وعد يضاف إلى سائر وعود بوش الكاذبة وسائر الوعود الكاذبة في تاريخ قضيَّة فلسطين وتاريخ المسلمين . فأصبح أمام الفلسطينيين هدف جديد يُغذّيه دويُّ الإعلام ، هدف إقامة الدولة الفلسطينية ، حتى أصبح هذا الهدف الأمل الحقيقي والمطلب الجاد . وصدرت تصريحاتٌ جلية واضحة من جميع الفئات المعنيَّة سياسياً وفي الميدان ، وجعلوا حدودها حدود سنة ١٩٦٧م ، لتنسحب إسرائيل من الأراضي التي احتلتها آنذاك ، والتي أصبحت تسمَّى الأرض المحتلة في وسائل الإعلام ، وعلى ألسنة السياسيين ، وألسنة المقاتلين بمختلف اتجاهاتهم ، وكأنَّ الأرض التي احتلّتها إسرائيل سابقاً لم تعد أرضاً محتلَّة ، وكأنَّ هذا اعتراف واضح لا يخفى بإسرائيل . ومن يدَّعي بعد ذلك من أولئك بأنه لن يعترف بإسرائيل حتى تنسحب من الأراضي المحتلة وتعترف بحقوق الفلسطينيين، وتُطْلِقَ

سراح الأسرى ، وتُقرَّ بحَقِّ العودة ، وما شابه ذلك ، فإنه ادعاء لا يغير الحقيقة بأن التصريحات اعتراف واضح بإسرائيل . المهم هنا ، والذي يستحقُّ الوقفة الطويلة هو المطالبة بانسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة سنة ١٩٦٧م ، وكأنَّ الباقي ليس محتلاً ! والمطالبة بالإفراج عن الأسرى وبحقِّ العودة لمن يشاء .

لا بدَّ أن نذكِّرَ أنفسنا بأنْ من يطالب بحقٍّ يكون لديه قوّة حقيقيّة تسند طلبه. فأين هي القوّة التي أُعِدَّتْ ، وعلى أيّ أساس يقوم التهديد والوعيد .

موضوع الدولة الفلسطينية وطرحه نقل القضية الفلسطينية نقلة خطيرة واسعة ، وانحرف بها انحرافاً كبيراً ، ونجح أصحاب الفكرة المخفيين في تحقيق غايتهم بهذا الانحراف ، وانجرف الفلسطينيون وغيرهم بذلك . لا نشكُّ أبداً أن الغاية من طرح هذا الموضوع هو إشغال الفلسطينيين أولاً بعد أن أصبحت القضية في أيديهم ، إشغالهم عن الهدف الرئيس الذي كانوا يعلنونه ويقاتلون من أجله وهو تحرير فلسطين كلِّها . فقد أصبح القتال الآن في هذه المرحلة للمناداة بالدولة الفلسطينية وبحدودها التي ذكرناها ، وأصبحت هي الشعار والهدف والأمنية . وبذلك أُضيف اعتراف جديد بحق إسرائيل في الوجود ، وأصبح هذا الهدف الجديد باباً لانحراف آخر يبرز مع الأيام .

والأمر الغريب هو ظهور حركة حماس في ظروف غير عادية ، بشعارات متناقضة بين ما نصَّت عليه في ميثاقها وبين ما أعلنته في وسائل الإعلام وبين مواقفها في مسيرتها . ولا بدَّ من وقفة وتأمَّل في ظهور حماس في تلك اللحظات من سنة ١٩٨٨م .

أولاً : لقد ظهرت بعد مضيّ أكثر من عشرين عاماً على قيام منظمة التحرير التي هلل لها الإعلام كله ، حتى أصبحت هي موضع تقدير الشعوب والحكومات ، وأصبح ياسر عرفات هو الرمز ، حتى عندما تنازل عن مبدأ تحرير فلسطين إلى المناداة بدولة فلسطينية ، وحتى عندما نادى بدولة علمانية ، فقد ظلَّت الشعوب

مرتبطة بوسائل الإعلام التي تدفع الناس هكذا أو هكذا ، ويتجاوب الناس معها كلَّ التجاوب ، دون وجود من ينصح أو ينتقد أو يوجّه ! وقد وضح بشكل يقيني أنه لم يكن لدى المنظمة ولا لدى عرفات وقيادتها كلها ولا لدى غيرهم ، خطة أو نهج لتحقيق ما يطرحون من شعارات . ولا ننسى تصريح جمال عبد الناصر الذي قامت ثورتهم من أجل قضيَّة فلسطين وتحريرها كلها ودوَّت الشعارات بذلك ، حتى كان ذات يوم أن أعلن فيه وقال : " **أنا لا يوجد لديَّ خطة لتحرير فلسطين ، فمن كانت لديه خطة فليتفضَّل** " ! وكذلك قام زعماء آخرون باسم فلسطين ، ولمَّا وصلوا باسمها إلى سدَّة الحكم أعلنوا عجزهم . وظلَّ ضجيج الشعارات هو الذي يحرّك وليس الوعي والنهج والخطة . وظلت المنظمة مسيطرة على الساحة الإعلامية ، ثمَّ ظهرت حركة حماس على غير توقع . وحركة حماس هي من الإخوان المسلمين أكبر حركة إسلامية ! والسؤال هنا أين كان الإخوان المسلمون والتيار الإسلامي كله والمسلمون كلهم خلال العشرين سنة التي سبقت ظهور حماس ؟! وهل أوفي التيار الإسلامي ودعاته وجنوده وعلماؤه بمسؤولياتهم الشرعية خلال تلك الفترة ؟! لقد انصبَّتْ جهود الإسلاميين في الدفاع عن منظمة التحرير وعن رئيسها دفاعاً مستمراً ، بالإضافة إلى الدعم الماليّ والإعلاميّ والاجتماعي ، كما بيّن ذلك السيد حسن خليل في كتابه عن فتح ، وبما نقله عنه الشيخ الدكتور عبد الله عزام ـ رحمه الله ـ في كتابه عن حماس ، وبما نقلتُه أنا في كتابي " عبد الله عزام أحداث ومواقف " !

ثمَّ ظهرت حركة حماس ، على أثر حادثة في غزة ، حين اندفعت سيارة يهودية على حشد من الفلسطينيين بصورة مفاجئة ، فقتلت عدداً من الناس ، ثمَّ **اختفى سائق السيارة الذي كانت تنتظره سيارة أخرى التقطته وذهبت به . واضح أن الأمر كان مدبّراً ومخططاً له ، ولكننا لا ندري ماذا كان يهدف اليهود من وراء ذلك . ولم يكن أحد يُفكِّرُ ما وراء هذا الحادث** . ثمَّ انطلقت مظاهرات صاخبة في شوارع غزة تندِّد وتهدِّد كما هي عادتنا ! واستمرت

المظاهرات أياماً . وأعقبها قيام **الانتفاضة الأولى** مع زخم إعلاميّ كبير ، ومهرجانات في عدد من الدول العربية والإسلامية . ومضت الانتفاضة تقدم التضحيات من نفوس وأموال ، وأخذ الإعلام يزداد نمواً في دعم الانتفاضة ، ولكن كان هنالك أمران غائبان عن الإعلام والانتفاضة : أولاً : غياب النصيحة والتصويب ، لتجنب الخطأ والزلل ، فلا أحد ينصح ، وكلُّ ما يتمُّ حقٌّ لا يجوز الاعتراض عليه ، حتى عمليات قتل النفس التي هي في ميزان الإسلام ونصوصه عمل محرّم ، أصبح استشهاداً وشهادةً ، واندفع بعض العلماء يؤيدون ذلك دون أن يقدِّموا حجّة شرعيَّة واحدة مقبولة . ولقد قدَّمتُ دراسةً مفصلة عن ذلك ، نُصِحْتُ بعدم نشرها ، لأن الرأي العام الذي يحرّكه الإعلام وضجيجه أصبح يعتَبر من يعترض على عمليات الانتحار ضدَّ التيَّار الوطني ! ولكنني أنزلته على الموقع الخاص بي: www.alnahwi.com ، وجعلته فصلاً في كتاب : " **هوان المسلمين أمام الواقع وتعدد المواقف والاتجاهات والاجتهادات** " ، وكذلك جعلته في كتاب مستقل : " **فقه الاستشهاد في سبيل الله** " .

وأصبح القتال والفداء هو لإقامة دولة فلسطينية على جزء من أرض فلسطين . فما هي هذه الدولة وما هي إمكاناتها ومستقبلها وفائدتها ؟!

إنها تقوم على أرض لا تملك أيّ مقوّمات الدولة ! فالماء يأتيها من إسرائيل والكهرباء من إسرائيل وغير ذلك ، وكثير من العائلات تعتمد على عملها في إسرائيل ، والبترول من إسرائيل ، أما رواتب الموظفين فإنها من المعونات الخارجية الأمريكية والأوروبية وغيرها . أيّ أنَّ ميزانيَّة الدولة كلّها مما تجود به الدول الأخرى الملتزمة بحماية دولة إسرائيل .

وهي دولة تقوم منحة من الدول الكبرى ، ولا تقوم على أساس معركة استرجعت قسماً من أرض فلسطين . بل على العكس من ذلك ، فإنَّ المساحة المخصصة لإسرائيل بموجب قرار التقسيم زاد كثيراً بعد الانتفاضات ، واستطاعت إسرائيل أن تضمَّ أراضي جديدة إليها ، بدلاً من أن نسترجع نحن بعض أراضينا .

هذه الدولة الفلسطينية ستظلُّ مع الأيام خاضعة لإسرائيل والدول الكبرى ، فهي لا تملك من أمرها شيئاً إلا دويّ الشعارات .

نعتقد أن فكرة هذه الدولة لم تنبع من واقع المسلمين أو العرب أو الفلسطينيين ولا من وعيهم لمسؤولياتهم الشرعية والتكاليف الربانية التي وضعها الله في أعناقهم ، وإنما فكرة نَبَتَتْ هناك عند السياسة الدولية التي كانت هي القوة الحقيقية الموجّهة لمسيرة القضية الفلسطينية منذ بدايتها وفي مراحلها المختلفة كلها، فأُلْقيَتْ بيننا لتُشْغلنا عن الهدف الرئيس ، وهو تحرير فلسطين كاملة ، هذا من ناحية ، ومن ناحيَة أخرى ، لتشغل الفلسطينيين بالصراع فيما بينهم بالانتخابات والمجالس وزهوة ذلك، وتصبح الفرحة الكبرى هي الانتصار في الانتخابات والفوز بالمقاعد والكراسي والمناصب والسلطة ، ولتقام الأفراح عند جانب وتقام المهرجانات ، وتسمّى " **عرسَ الديمقراطية** " ! فقد حلّت كلمة الديمقراطية محل كلمة الإسلام في كثير من المناسبات ، كما حلَّت كذلك محل كلمة الإسلام في الفضائيات وهي تحاور عدداً من دعاة الإسلام المسؤولين . لقد كشفت هذه المرحلة تنازلاً جديداً ، ليس في ميدان قضية فلسطين ، ولكن في ميدان الإسلام نفسه . ويبدو أن " الديمقراطية " لم تزحف إلى الألسنة فحسب ، ولكن دخلت القلوب والعقول وأصبحت الشعار الذي يؤثر والهوى الذي يُدْعى إليه . وكم قلنا للدعاة المسلمين ، دعاة الديمقراطية ، إن للديمقراطية دولاً تدعو إليها وجنوداً يدافعون عنها ، وأموالاً تنفق من أجلها ، والإسلام يتلفّت يبحث عن دعاته المتقين الذين لا يدعون إلا إليه طاعة لله ولرسوله، ولا يخلطونه بوثنيات الأهواء والمصالح والمذاهب المادية الدنيوية !

اتصل بي أحد الأصدقاء من غزَّة ، وقال إنَّ قريباً له قُتلَ برصاص طائش من اليهود وهو ذاهب ليشتري بعض حاجات البيت . ولكن دَار صراع بين الفصائل الفلسطينية كلٌّ يريد أن يَدَّعي أن هذا شهيد من شهدائهم المجاهدين . فسألني ماذا يفعل ، وإلى أي فصيل يعطي جثمانه . قلت له : أعطه لأهله ليدفنوه هم ويتقبلوا

العزاء هم . فبيَّن لي أنَّ هذه عادة متبعة مع من يُقتل مصادفة ، تتبنَّاه إحدى الفصائل بعد صراع عليه ، وتدفع لأهله مبلغاً من المال مقابل أن يتركوه لهم ليقيموا هم حفل العزاء ويعلنوا أنه شهيد مجاهد من شهدائهم . وهكذا فعل صاحبنا تنازل عن جثمان قريبه لحركة حماس . وتم العزاء كما أرادوا . فبعثت برسالة عتاب ونصح لجميع الفصائل عن طريق صديق في غزة ، ولا أدري هل استطاع تصويرها وتوزيعها أم لا ؟! ثمَّ التقيت أحد أفراد هذه الفصائل فسألته عن ذلك . فقال متعجباً من سؤالي : ألا تدري أننا كلنا نمارس هذه العادة منذ الستينيات، وأنها كونت جزءاً كبيراً من إعلامنا وشهرتنا ؟! ولولاها لما عُرِفنا !

الانحراف في الفكر والسلوك والمواقف كان آخذاً في الظهور : عندما انفجر صاروخ في مهرجان إحدى الفصائل بعد الانتخابات كان واضحاً أن الانفجار كان من صاروخ في سيارة لهم . ولكنهم ادعوا فوراً قبل أي تحقيق أنه من إسرائيل . وخرج أحدهم على الفضائيات يحمل قطعة معدنية صغيرة ويقول هذه قطعة من الصاروخ الإسرائيلي . يمكن أن يضحكوا على عقول بعض الجاهلين ، ولكن الفضائيات مفتوحة على العالم الذي فيه علماء ويدركون الحقيقة .

قبل أن تدخل حماس الانتخابات وتتسلم الحكومة ، كانت الرئاسة " محمود عباس " تطلب منع السلاح من الشارع ليبقى سلاح الدولة وحده لحفظ الأمن ، وألحَّ بذلك ، ولكن حماس بالدرجة الأولى قاومت هذا النداء ، وكانت تنزل الشوارع بأسلحتها تتحدى الحكومة وتثير في وجهها الصعاب وعدم القدرة على حفظ الأمن . ولما تسلمت حماس الحكومة أخذت تنادي بضرورة سحب السلاح من غير عناصر الحكومة ، الأمر الذي كانت ترفضه وتقاومه وتثير الفوضى والاضطراب بسبب ذلك ، لماذا هذا التناقض في المواقف . هل هذا تكتيك أيضاً ؟!

مضت حماس في مسيرتها بالميثاق الذي أعلنته : " ميثاق حركة المقاومة الإسلامية (حماس) " الصادر في ١ محرّم ١٤٠٩هـ / ١٨ آب ١٩٨٨م .

والميثاق مليء بالجمل الغنيَّة والعواطف الشجيَّة ! ولكننا نجد أنفسنا مضطرين إلى أن نقف قليلاً مع المادة (٢٧) ، فالمادة (٢٧) عن الحركات الوطنية على الساحة الفلسطينية ، وفي الفقرة " جـ " المادة (٢٧) تتحدث عن منظمة التحرير الفلسطينية ، فتقول :

" إنَّ منظمة التحرير الفلسطينية من أقرب المقرَّبين إلى حركة المقاومة الإسلامية ، ففيها الأب أو الأخ ، أو القريب أو الصديق ، وهل يجفو المسلم أباه أو أخاه أو قريبه أو صديقه . فوطننا واحد ومصائبنا واحدة ومصيرنا واحد ، وعدونا مشترك. وتأثّراً بالظروف التي أحاطت بتكوين المنظمة ، وما يسود العالم العربي من بلبلة فكرية ، نتيجة للغزو الفكري الذي وقع تحت تأثيره العالم العربي منذ اندحار الصليبيين ، وعززه الاستشراق " والتبشير " والاستعمار ولا يزال ، تبنَّت المنظمة الدولة العلمانية وهكذا نحسبها . والفكرة العلمانية مناقضة للفكرة الدينية مناقضة تامة ، وعلى الأفكار تبنى المواقف والتصرفات وتتخذ القرارات . ومن هنا ، ومع إدراكنا لما قامت به منظمة التحرير الفلسطينية ، وما يمكن أن تتطور إليه ، وعدم التقليل من دورها في الصراع العربي الإسرائيلي ، لا يمكننا أن نستبدل إسلامية فلسطين الحالية والمستقبلية لنتبنى الفكرة العلمانية . فإسلامية فلسطين جزء من ديننا ومن فرّط في دينه فقد خسر :

﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [البقرة : ١٣٠]

ويوم تتبنى منظمة التحرير الإسلام كمنهج حياة ، فنحن جنودها ، ووقودها التي تحرق الأعداء ، فإلى أن يتمَّ ذلك ، نرجو أن يكون قريباً ـ فموقف حركة المقاومة الإسلامية من منظمة التحرير هو موقف الابن من أبيه والأخ من أخيه والقريب من قريبه ، يتألم لألمه إن أصابته شوكة ، ويشد أزره في مواجهة الأعداء ويتمنى له الهداية والرشاد :

أخـــاك أخـــاك إن من لا أخـــا لـه كـســاع إلى الهـيـجـا بغـيـر سـلاح
وإن ابن عم المرء ـ فـاعلم ـ جناحـه وهل ينهض البـــازي بغـيــر جناح

أما حديثها عن الحركات الإسلامية في المادة (٢٣) فهو حديث جميل ولكن لا يحمل حرارة الحديث عن منظمة التحرير . فهي تقول : " .... وتنظر إلى تلك الحركات إن توافرت النوايا السليمة والإخلاص لله بأنها تندرج في باب الاجتهاد. وحركة المقاومة الإسلامية تعتبر تلك الحركات رصيداً لها " .

ولا بدَّ أن نشير هنا إلى أنه لم يسئ للإسلام والمسلمين ، ولم يُغْلق باب النصيحة والتناصح بين المسلمين شيء مثل العصبيات الجاهلية التي برزت في الواقع الإسلامي ، والتي دفعت الكبر في النفوس ، وأعمت الأبصار عن الأخطاء ومحاسبة النفس ومجاهدتها ، وسدَّت أبواب معالجة الأخطاء وردِّ الأمور صغيرها وكبيرها إلى منهاج الله .

فبالنسبة لمنظمة التحرير ففيها الابن والأب والأخ وهل يهجر المسلم أخاه أو أباه ... الخ ، ألا يوجد في الحركات الإسلامية ابن أو أخ أو أب أو قريب أو صديق ؟! وحماس تعتبر نفسها جنود منظمة التحرير إن اتخذت الإسلام منهج حياة ، أما الحركات الإسلامية فتعتبرها حماس رصيداً لها ، وتسأل الهداية والرشاد للجميع .

وفي حديثها عن منظمة التحرير تناقض واضح حسب ميزان الإسلام . فما علاقة الابن والأب والعم والخال في العلاقات في ميزان الإسلام ، والله تعالى يقول :

﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤) ﴾ [التوبة: ٢٤]

فكيف يتّسق معنى هذه الآية الكريمة مع شعار الجاهلية : أخاك أخاك إن من لا أخا له كساع إلى الهيجا بغير سلاح .

ومن خلال المسيرة كانت العلاقات أول الأمر حسنة مع منظمة التحرير ، يدعمها الإخوان المسلمون اجتماعياً ومالياً وإعلامياً ، مما لم يقدِّموه للحركات الإسلامية ! ولم يسعوا لإقامة أي تعاون أو تنسيق معها إلا بالشعار الذي رأيناه في نص المادة (٢٣) .

ولكن في المرحلة الحالية ، حين برز التنافس في الانتخابات والتنافس على مناصب الدولة ، بدأ التحدّي بينهما واختفت المعاني السابقة ولم يعد لـ : أخاك أخاك ...أيُّ دور في هذا التنافس .

وفي المرحلة الحالية كانت تصريحات المسؤولين في حماس تتناقض بين حين وآخر ، وهي تقترب شيئاً فشيئاً من جوهر الاعتراف بإسرائيل والتفاوض معها والاعتراف باتفاقيات " كامب ديفيد ، وأسلو: وغيرها ! وسيقبل كثير من الناس هذا الاعتراف والتراجع كما قبلوه سابقاً من منظمة التحرير وياسر عرفات.

هنا كان الموقف الواعي الذي يجب أن تَقِفَهُ حماس أن تنسحب من الحكومة وتترك هذا الخط كله ليمضي به أهله ، وتنطلَق حماس بنهج إيماني ربّاني وخطة واعية ترجو بها طاعة الله ! ولكن حماساً سلكت طريقاً آخر لتعالج الموقف وتخرج من الورطة التي أوقعت نفسها فيها . فأخذت تعلن أننا نجري مع إسرائيل هدنة طويلة ! فما معنى هذا الكلام ؟! وما هي القوة المتوافرة حتى تنصاع إسرائيل إلى موقف الهدنة ؟! وهل هذه اللعبة مقبولة في الساحة الدولية ؟! والهدنة الطويلة إن تمَّت سيتولى أمرها أجيال أخرى غير الحاليين ، فهم الذين يقررون !

لقد حمَّلت الفلسطينيين بموقفها هذا بلاءً كبيراً . وسترى أنَّ استمرارها في خطها الحالي والتمسك بالحكومة سيقودها إلى تراجع وتراجع لا ينسجم وقوة الشعارات التي دوَّى بها الأخ خالد مشعل وسواه !

كان ذلك أفضل لها لو أنها تسمع النصيحة ، ولا تُغْرِيها زخارف كاذبة وأمان غير واعدة ، وتعين على إقامة لقاء وتعاون بين المسلمين ، عسى الله أنْ يُنْزِلَ نصره !

وبدأت الساحة الفلسطينية في غزة تتفجَّر عن صراع مسلح بين فتح وحماس ، فيقع قتلى وجرحى ، ومن خلال ذلك تدوِّي التصريحات : إن الفلسطينيين لا يعرفون لغة الحرب الأهلية ، وإنَّ الدم الفلسطيني حرام ، ولكنَّ الصراع ماض، ومحاولات التهدئة والتوفيق ماضية ، والدم الفلسطيني يراق ، وإسرائيل تتابع هجومها وقصفها وتدمير البيوت واغتيال الناس وقتلهم رجالاً ونساءً وشيوخاً وأطفالاً . الجميع يحاول أن يكسب مجدَه الدنيوي على حساب قضيّة فلسطين والشعب الفلسطيني !

هذا كله ليس موضوع تساؤلنا ! ولكن الموضوع ما هو النهج والخطة لدى حماس أو فتح ؟! ما أعلنته حماس وهي في زهوة الحكم دفع ثمنه الشعب الفلسطيني ، ولم يغنهم شعارات : نجوع ولا ركوع ، مع الخوف من أن شدَّة الضغط تقرِّب موعد الركوع . هل كانت حماس قبل دخولها الانتخابات أعدت خطة لهذه المحاولات المتوقعة ؟! وهل استفادت من تجربة منظمة التحرير ، وتجربة كثير من الدول العربية ؟! وهل اهتدت بهدي كتاب الله وسنَّة محمد ﷺ ، ونصح المؤمنين لهم .

ألم يكونوا يدركون أنه في الميدان لا يجوز أن نقف عند شعار " لا أعترف بإسرائيل " ، ولكن يجب مع شعار عدم الاعتراف وضع خطة عملية ومنهج تطبيقي لمعالجة النتائج وتحقيق الأهداف والشعارات . فماذا بعد عدم الاعتراف ؟!

ولكن تبيّن أنَّ " حماساً " اندفعت إلى الانتخابات على غير وعي أو خطة أو نهج ، واستُدْرجت لهذه المواقف ، تغريها زخارف السلطة دون أن تدري ما وراء ذلك ! ولم تُجْدِ النصائحُ التي قُدِّمَتْ لهم .

ولكن الأعداء كانوا يعرفون ما وراء ذلك ! وهذا مثل واضح للفرق الكبير بين عقليتنا وأسلوبنا نحن المسلمين اليوم في واقعنا اليوم ، وبين عقليَّة الآخرين . نحن رفعنا ضجيج الشعارات ودويّ الإعلام والتهديد والوعيد ، ثمَّ الهزيمة ! والأعداء

يزنون الكلمة بمقدار على أساس من نهج وخطة مقرَّرين لديهم، يحاسَب المسؤولون عنها وعن مدى التزامهم بها ، ومدى تحقيق أهدافها القريبة والبعيدة . وإذا تابعنا ذلك في الواقع فنجد أمثلة كثيرة . الانتفاضات كلها لم تحقّق كسباً في الأرض أو السياسة أو الاقتصاد أو أيّ كسب للإسلام خلاف الشعارات التي طُويت! واليهود كسبوا خلال ذلك مساحات جديدة لم تكن مقررة لهم في القرارات الدولية ، ثمَّ زحفوا بصمت وهدوء دون أي ضجيج إلى أنحاء متعددة في العالم الإسلامي ، منها ما هو معروف ومعلن ، ومنها ما هو خفيٌّ مستور . يضاف إلى ذلك تنازل الكثيرين عن شعاراتهم السابقة وخطهم الإسلامي إلى شعارات الديمقراطية وخطها وأساليبها !

أتساءل ويتساءل كثيرون غيري . ما الذي دفع منظمة التحرير ورجالها وحماساً ورجالها وسائر الفصائل إلى تحمل مسؤولية قضية فلسطين وحدهم ، وقبول تخلِّي العرب والمسلمين عملياً عن القضيّة ، أي عن تحرير فلسطين ؟! ألم يكن أمامهم نتائج ومحاولات الدول العربية حكومات وشعوباً ؟! وكيف رفضوا ويرفضون الدخول في معركة عسكرية مع إسرائيل ؟! فإذا الدول العربية ، بجيوشها وسلاحها وشعوبها وخبرائها ، تراجعت عن دخول معركة عسكرية بعد تجرّع مرارة هزيمتين منكرتين سنتي ١٩٤٨ ، ١٩٦٧م ، فماذا لديكم يا منظمة التحرير ويا حماس ويا سائر الفصائل ، أكثر مما لدى الدول العربيَّة غير العاطفة والشعار ؟! أين الإعداد الذي يكافئ إعداد العدو ؟! أين الإمكانات ؟! لقد انطلقتم منذ اللحظة الأولى ترفعون شعار تحرير فلسطين من النهر إلى البحر ! إنَّ رفع هذا الشعار الكبير يوحي بأنكم أعددتم الإعداد الذي يناسب هذا الشعار ، حتى لا تخدعوا الناس ، وأنكم التزمتم قوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ (٦٠) ﴾ [الأنفال: ٦٠]

ومع مـضيّ السنين ، منذ الانطلاقة ، مـاذا أعـددتم ؟! الذي تمَّ هـو المضيّ في عـزل القـضيّـة عن الإسـلام والمسلمين ، والمغـالاة بـالفلسطينية مـغـالاة تقـرّب من الجـاهليـة : **حق تقــرير مـصـيــر الفلسـطينيين بـيـد الفلسـطينيـين ، الـدم الفلسطيني حرام** ، من الذي حرّمه وكيف ؟! فكلُّ دم يُسْفك على غير حقٍّ فـهو حــرام ! ودم المسلم حــرام ، **الديمقــراطيــة ، الوحــدة الـوطنيــة ، الـدولة الفلسطينية ، مـهرجان الديمقـراطية ، عرس الديمقـراطية** ، وكثير غير ذلك . وانسـاق الأتبـاع بعـد ذلك يردِّدون الديمقـراطيـة ، وكـانوا بالأمس القـريب يتغنّون بالإسـلام ، وكـانوا من دعـاته ! ولـم يقتـصـر هذا التحـوّل على حـماس ، وإنَّمـا عـمَّ الإخـوان المسلمين في جـميع أقطارهم ، وعمَّ دعـاة آخـرين ، كـأنَّـهم يئسـوا من أن يكون الإسلام قادراً على مجابهة أحداث الواقع وأفكاره .

لقد هُزِمَ بعض المسلمين ، واكـتفـوا من إسـلامـهم بالشعـائر والشعـارات ، دون الممارسة الإيمانية في الواقع . والإسلام قادر على ذلك ، حين ينهض جنوده المؤمنون :

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٩]

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٣]

إنَّهـا حقّـاً لظاهرة غـريبـة أن تنهـار حشـود الدعـاة تحت ضـربات الديمقـراطيـة ، كـأنَّما لـم تكن القلوب عـامـرة بالإيمان وبالثقـة بالله . ولكن هذه سنَّة ثابتـة من سنن الله يبتلي بها عبـاده ويمحصـهم تمحيصاً ، ليكشف مـا في النفوس ، ولتقوم الحـجة يوم القيامة على الإنسان أو تقوم له . إنه ابتلاء شديد !

ويحـاول بعـضـهم أن يثبت أنَّ الديمقـراطيـة من الإسـلام ، كمـا حـاولوا إثبـات ذلك للاشتـراكيـة والحداثة والعلمـانية وغيـر ذلك . ولكـن الإسلام يرفض هذه الانحرافات والضلالات ويرفض أتباعها .

الإسلام جليٌّ واضح لا يضلُّ عنه من يؤمن به . ومعالجته للأحداث واضحةٌ كذلك ، ولكن المشكلة ليست في الإسلام وقدرته ، ولكنها فيمن ينتسبون إلى الإسلام !

خلال المسيرة الطويلة لقضية فلسطين ، وضح أنَّ القوة الحقيقية التي توجّه قضيّة فلسطين هي السياسة الدولية للدول الكبرى ، بصورة علنيّة حيناً ، وبصورة خفيّة أحياناً أخرى . وما زالت السياسة الدولية هي التي تقرِّر المواقف ، ويُسْتَدرَجُ إليها الضعفاء بأهوائهم .

المشكلة الرئيسة هي حين يضع المسلم مصلحته الشخصيَّة فوق مصلحة الإسلام ، وهواه الدنيوي فوق هوى الإسلام ، ويُغلِّف ذلك كلُّه بشعارات الإسلام ، ليكسب بها الجماهير والعناصر المؤيدة فيضِّللها زمناً يطول أو يقصر .

لقد نصحتُ قدر جهدي ، نصحتُ ياسر عرفات قبل انطلاقته ، ونصحتُ للإخوان المسلمين ، ونصحتُ لحماس ، في مراحل مختلفة متعدِّدة . وكانت نصيحتي واحدة ونهجي ثابتاً منذ سنة ١٩٥٦م . عندما وصلتُ مصر طالباً في كلية الهندسة . نصحتُ لياسر عرفات وصلاح خلف وخليل الوزير وغيرهم بأنَّ الدرب الذي يسلكونه لا يمكن أن يؤدي إلى تحرير فلسطين كما يزعمون ويتوهمون ، ونصحتُ للإخوان آنذاك بأنَّه لا سبيل إلى النصر إلا بقيام الأمة المسلمة الواحدة صفاً كالبنيان المرصوص ، كما يأمر الله ويحب ! وإلى ذلك يجب أن تبذل الجهود ! ونصحتُ للإخوان بحدود سنة ١٩٧٤/ ١٩٧٥م ، ولعلَّ الإخوة الذين نصحتُ لهم آنذاك بما قدمتُ لهم من رأي حول الدولة الفلسطينية ، فرفضوه ودار خلاف فقاطعوا وهجروا وأشاعوا ، لعلهم يدركون الآن أنَّ ما قلت لهم آنذاك تبيّن اليوم أنه الحقّ ! بأنَّ فكرة الدولة الفلسطينية ملهاةٌ تُلْقى ليُشْغَلَ بها المسلمون والعرب والفلسطينيون، وليُصرفوا بها عن تحرير فلسطين عَملياً أو عن الإعداد وجمع القوى المؤمنة، ويبقى الشعار مدوّياً . وأنَّ هذه الدولة على

مساحتها المقررة لا تملك أي شيء من مقوّمات الدولة : الاقتصادية والسياسية والعسكرية وغير ذلك ، وستظلُّ إذا قامت خاضعة لنفوذ الدول المانحة الراعية وعلى رأسها إسرائيل، وهناك احتمال أن لا تقوم هذه الدولة إلا على صورة سلطة محليّة مسؤولة عن بعض أوجه النشاط ، وذلك من خلال مراحل تهدف إلى التطويع الذي قد يستغرق زمناً، مراحل يدفع فيها الشعب الفلسطيني ثمناً باهظاً من هدم منازل وقتل واغتيال وحصار ، وما أن تنتهي مرحلة ويبدأ الناس يتنفّسون إلا وتبدأ مرحلة جديدة من المعاناة . ونصحت كذلك سنة ١٩٩٩م لبعض قادة حماس بكلام صريح . ومع كل نصيحة كنتُ أصرُّ أن هنالك درباً واحداً لتحرير فلسطين إذا كان يُراد تحريرها ، وذلك هو قيام الأمة المسلمة الواحدة التي تتوافر فيها الخصائص الإيمانية الربَّانيَّة التي بها يُنزل الله نصره على هذه الأمة . ولا يُعقل أن يُرْجى نصر بغير ذلك ، إذا كنَّا نعني بالنصر نصر دين الله لتكون كلمته هي العليا وشرعه هو الأعلى . ولكن قد ينتصر علمانيٌّ على علمانيٌّ . وضالٌّ على ضال ، وقد تقوم دولة يطبق بها شرع الغرب وماديته وديمقراطيته وسلطانه وعلمانيّته . والمؤسف أن يندفع بعض المسلمين تحت شعار الإسلام ليُطَبِّقوا الفكر العلماني ويلتزموه ، في الوقت الذي يعلنون فيه أنهم يحاربونه .

أعيد وأقول إني نصحت مشافهة ومقالات في الصحف وكتب أصدرتها حول قضية فلسطين ، لأؤكد ما أدعو إليه وما أومن به ، وهو أن نصبَّ الجهود كلَّها في طاعة الله والتزام أمره بإزالة أسباب الفرقة والتمزّق في واقع المسلمين ، وبناء لقاء صادق تُبْنى به أُمَّة الإسلام ، الأمَّة التي تتوافر فيها أسباب القوة والصدق مع الله والتزام أوامره واجتناب ما ينهى عنه . أيّ جهود لمحاولات أخرى وطنية وديمقراطية وعلمانية لن تؤدي إلا إلى مزيد من الضياع والوهن والتمزّق . وبيَّنتُ أنَّ السبيل الذي يسلكونه سبيل مسدود ! وأن فئة واحدة لن تستطيع أن تحقق النصر وحدها ! إنَّ النصر من عند الله وعده للأمة المسلمة الواحدة صفّاً كالبنيان المرصوص .

إنَّ المعركة في أنفسنا نحن المسلمين الذين يقفون موقف الدعاة والعلماء ، يجب أن يجاهد كلُّ مسلم نفسه ليجعل مصلحة الإسلام فوق مصلحته الشخصية الدنيوية ، وأن يُسلم لله كما أسلم إبراهيم عليه السلام :

﴿ **إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴿١٣١﴾ ﴾ [البقرة: ١٣١] ، ولايكونوا كمن قيل فيهم : ﴿ **قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ** .... ﴾ [الحجرات: ١٤]

أيها المسلمون المؤمنون ! استيقظوا قبل أن يعمَّ العذاب ويمتدَّ الهوان ، فإنَّ عذاب الله شديد !

الحلّ البديل لما يجري واضح بيّنه الله لنا وفصّله :

﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٣]

* إنه مجاهدة أنفسنا ، والتبرُّؤ من جميع أشكال العصبيات الجاهلية !

* والتزام دراسة منهاج الله ـ قرآناً وسنّة ولغة عربية دراسة منهجيّة صحبة عمر وحياة .

* والتزام دراسة الواقع من خلال منهاج الله وردّه إليه .

* واتباع منهج موحّد للمسلمين كما كانوا أيام محمد ﷺ ، حتى تتكون بينهم لغة تفاهم ، وفكر تفاهم ، وعواطف تفاهم ، ومنهج تفاهم ، ليقوم كله على : الولاء الأول لله وحده ، والعهد الأول مع الله وحده، والحب الأكبر لله ولرسوله ، وليكون بعد ذلك كلُّ موالاة وعهد وحبّ في الحياة الدنيا ينبع ويرتبط بالولاء الأول والعهد الأول والحب الأكبر ، ولتقوم بذلك أُخوَّة الإيمان التي أمر الله بها ، وليكون هذا النهجُ والمنهج قاعدة للقاء المؤمنين الصادقين المتقين الذين يريدون الله ورسوله والدار الآخرة ، ولتقوم أمة الإسلام الواحدة عزيزة قوية .

عندئذ تستطيع هذه الأمة الواحدة المتماسكة بأخوة صادقة ، أخوة الإيمان ، تستطيع أن تحرّر فلسطين ، وتجابه المستكبرين في الأرض ، المجرمين المفسدين! ولن يستطيع هؤلاء المجرمون أن يستدرجوا المؤمنين الواثقين بربهم إلى فتنة أو إلى هوان وهزائم .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الصف: ٤]

هنالك دروس عظيمة يجب أن نتعلمها من مأساة قضية فلسطين ، ومن مأساة العراق ، ومن مأساة أفغانستان ، ومن مأساة لبنان ! ولكن الاستفادة من هذه المآسي تحتاج إلى القلوب المؤمنة لتردّها إلى منهاج الله ، لنأخذ منه العبرة والعظة والدروس . والسؤال هنا : لماذا لم نستفد من هذه المآسي ، ولماذا بقيت الأخطاء تتكرر ؟! ذلك لأن الذي يحكمنا هو الهوى . وليس أمام المسلمين إلا درب واحد للنجاة والعزّة . إنه هذا الدين وصراطه المستقيم ، حين يؤخذ الدين كله كما أُنْزِل على محمد ﷺ ، فلا يؤخذ منه أجزاء وتترك أجزاء :

﴿ ..... أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ٨٥]

فمن المسلمين اليوم من يأخذ بعض الكتاب ، ومنهم من يحرّف الكثير من الآيات والأحاديث ، كأنهم يدعون إلى دين جديد :

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة: ٣٢، ٣٣]

ليس أمام المسلمين إلا التزام دين الله التزامَ صدق وأمانة ، والتزام إيمان بالله وعبوديَّة له . وأيُّ درب آخر فهو درب هلاك محقق للفرد وللجماعة وللأمة .

إنَّ الذين يلجؤون لغير الله لن ينالوا شيئاً أبداً إلا وعوداً كاذبة وخداعاً ماكراً:

﴿ **لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ (١٤)** ﴾ [الرعد: ١٤]

وهذا الواقع والتاريخ الطويل يكشف لنا صدق ذلك .

وجاءت وثيقة الأسرى لِيُدْعى الجميع إلى التزامها . ونسيَ الجميع أو تناسوا أنَّ هناك وثيقة ربَّانيَّة ملزمة يحاسَب الجميع عليها في الآخرة ، ويذوقون في الدنيا مرارة عدم التزامها من هزائم وعذاب شديد .

لم تجد هذه الوثيقة الربانيَّة ـ كتاب الله وسنَّة رسوله ـ من يدعو إليها وإلى وجوب التزامها ، إلا شعارات تتغيَّر أو تختفي ، لم تجد من يضع نهجاً تطبيقياً خلال عشرات السنين أو مئات السنين ، حتى أصبح الجميع يذوقون شدَّة العذاب والهزائم في واقعنا اليوم !

الحقيقة التي لا يمكن إخفاؤها هي أنَّ المسلمين هُزموا دعاةً وعلماء وأحزاباً وحركات وشعوباً ودولاً ! وما زالت الهزائم تتوالى في جميع الميادين .

هنالك باب واحد للنجاة ولتغيير الواقع ! أيها المسلمون غيروا ما بأنفسكم وأقبلوا خاشعين تائبين إلى الله :

﴿ **.... إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ....** ﴾ [الرعد: ١١]

إننا نجد اليوم ، أنه عند التقاء فريقين : فريق يرفع شعار الإسلام وفريق يرفع شعار العلمانية ، فإنَّ الفريق الذي يرفع شعار الإسلام هو الذي يتنازل !

ويبدو أنَّ إسرائيل تستفيد كثيراً من مواقفنا ونشاطاتنا . فانظر إلى النتيجة النهائية منذ سنة ١٩٤٨م حتى هذا اليوم من عام ٢٠٠٨م ، نجد أنَّ إسرائيل قد

كسبت مساحات جديدة من أرض فلسطين ، وجعلت صراعنا يتحوّل من تحرير فلسطين إلى تحرير ما يُسَمىّ الأرض المحتلة عام ١٩٦٧م ، وكسبت كذلك ازدياد نفوذها في مناطق كثيرة من العالم العربي والإسلامي ، ونحن خسرنا أرضاً بالإضافة إلى ما خسرناه حتى سنة ١٩٤٨م ، وخسرنا أهدافنا الكبرى ، وأشغلنا الصراع على فتات عن القضية الكبرى ، ولم يَجْرؤ بعضنا على الاعتراف الصريح بإسرائيل واكتفوا بالاعتراف الضمني وبأساليب تكشف الضعف والهوان . وهذا يذكرنا بالقاعدة التي نذكرها في مثل هذه الحالات :

إذا التقى فريقان ، فريق له نهجه وخطته وأهدافه وإعداده ، وفريق لا نهج له ولا خطة ولا إعداد ، فإنَّ الفريق الأول صاحب النهج والإعداد ، يستطيع أن يحوّل كثيراً من نشاط الفريق الثاني لصالحه هو " أي : لصالح الفريق الأول " ، ويبوء الفريق الثاني بالخسران .

وقاعدة أخرى . تلك هي أنَّ الغرب العلماني لا يقف من الدين موقفاً جامداً واحداً . ولكن له أسلوبان : إما البطش والإبادة إذا كان ذلك ممكناً وفي صالحه ، أو الفتنة بين المسلمين بأن يحوّل الاتجاه الديني لصالحه وكسب أكبر عدد من رجاله إلى صفه ليكونوا في خدمته وطوع أمره ، وليكونوا قوّة له بدلاً من أن يكونوا ضدّه . فانظر كيف أنَّ كثيراً من الدول العلمانية التي تصرُّ على علمانيتها وتمنع المسلمات من لبس الحجاب ، إلا أنهم يوجدون حركات تنصيرية يستغلّونها كما يستغلّون الحركات التجارية وشركاتها ليكونوا القوى الممهدة للغزو العسكري، كما حدث مع احتلال الإنجليز للهند الذي ساهمت فيه شركة الهند الشرقية والحركات التنصيرية . واليوم كسبوا عدداً غير قليل من المسلمين ليكونوا في خدمتهم ونصرتهم بدلاً من أن ينصروا أمتهم .

وكما قال نيكسون في جملته المشهورة ، ما معناه : " **لا نريد أن ندخل معركة مع الإسلام والمسلمين ولكننا نريد أن نغيّر اتجاهاتهم** " . فهم يغيرون

اتجاهاتهم ويشترون نفوساً كثيرة كل ذلك في وقت واحد . فلهم نهج وخطة ويقابلهم قوم لا نهج لهم ولا خطة ، وإنما عواطف وشعارات يسهل تطويعها .

والملاحظة الأولى هي كيف تسنَّى للأسرى داخل السجون أن يصوغوا هذه الوثيقة ولم يتسنَّ للأسرى خارج السجون أن يصوغوا وثيقة تفاهم ، فالذين خارج السجون هم في سجن كبير ، وهم أسرى كذلك لا يملكون من أمرهم شيئاً ! وهم مفرّقون ممزَّقون والذين داخل السجون جمعهم السجن الضيّق .

والملاحظة الثانية : أن جميع البنود تجاهلت الإسلام ، وتجاهلت أنه ما زال في الأمة بقيَّةٌ مسلمين ، وامتدَّت تعبيرات الجاهلية المكشوفة : المسؤولية الوطنية ونسوا المسؤولية بين يدي الله ، حماية الوحدة الوطنية ، وحدة الشعب الفلسطيني ، ونسوا الأمة المسلمة الواحدة !

إنَّ المرحلة مرحلة تحرُّر طابعها الأساسي وطني ديمقراطي ..الخ إذن هي مرحلة تحرّر ! ولكن تحرّر من ماذا ؟! إنه تحرّر من الإسلام ، من الدين فقط ! فليستنجدوا بالوطنيَّة والفلسطينية والديمقراطية ما شاؤوا ! ألم تكف تجربة دامت أكثر من قرن أو قرنين ، ونحن نتحلل من الإسلام شيئاً فشيئاً ، نتحلل من الإسلام لندخل في هوى جاهليات متعددة : العروبة ، الشرعية الدولية ،الاشتراكية ، الديمقراطية ، العلمانية ، وغير ذلك .

إنَّ إقبال حماس على الانتخابات وتسلمها رئاسة الحكومة ، دون أيّ نهج لديها أو خطة لمعالجة ما ستجابهه من قضايا ومشكلات ، أوقعها في موقف لا تحسد عليه ، فقد أعطيت الفرصة كاملة لتعالج ما واجهته من مشكلات فما استطاعت أن تعالج أيّ مشكلة ، ولكنها أخذت تلقي اللوم على الآخرين . ولكنَّ موقف الآخرين كان أول شيء يجب أن تحسب حسابه ، وأول مشكلة يجب أن تضع لها علاجاً وحلاً ! وأوّل شيء يجب أن تتوقعه !

لقد تضاعفت المشكلات ، داخلية وخارجية . إن موضوع الدولة الفلسطينية،

كما ذكرنا من قبل ، ليس مشروعاً إسلامياً ، ولا يقبله الإسلام ، إنَّه مشروع غير إسلامي ، مشروع يعترف نهائياً بإسرائيل وحقها بالوجود ، فالذين لا يعترفون بإسرائيل ولا يريدون أن يعترفوا عليهم أن ينأوا بأنفسهم عن وحول هذه القضية ، ويبحثوا عن الحل الأمثل ، والحل الإيماني الأمثل هو الذي طرحناه واضحاً صريحاً أوائل الخمسينيات ، وهو وجوب قيام الأمة المسلمة الواحدة ، هدف الجميع حين يتخلص الجميع من العصبيات الجاهلية المحرّمة ! إلى ذلك يجب أن تُصبّ الجهود المؤمنة الصادقة .

لقد حمل التاريخ الحديث لنا نذراً قوية شديدة عسى أن نعود إلى الله عودة صدق ! ونلجأ إلى الله عمليَّاً ، وليس شعارات ، لجوء صدق ! ولكن يبدو أنَّ الوثنية الغربيَّة بكل مصطلحاتها آخذة بالانتشار والامتداد بين المسلمين ، حتى أصبحت كأنَّها تبرُّؤ من الإسلام .

ومَضَت السِّنون منذ بداية القضية الفلسطينية حتى اليوم ، دون أن يُعدَّ المسلمون الإعداد الذي أمرهم الله به ، وإنما أعدُّوا أحزاباً متصارعة ، وقوى ممزَّقة ، وعصبيات جاهلية ! والأعداء أعدّوا أنفسهم كلَّ الإعداد .

فكيف كانت حماس تتوقّع مجابهة القوى الدولية ، بعد أن رأت أنَّ كلَّ المحاولات السابقة الجزئية المتفرّقة باسم الإسلام باءت بالفشل ، وسهل على القوى الدولية ضربها إلا أن تتنازل هذه المحاولات وتتحوّل إلى الديمقراطية والعلمانية وغيرها . تلك تجربة الجزائر ، والبوسنة والهرسك وغيرهما . تجارب تتم من خلال تمزّق المسلمين !

واليوم نرى حماساً تتنازل وتُصرُّ على التنازل بأسلوب غير كريم ، بالسعي إلى حكومة وحدة وطنية تعترف بكَل الاتفاقات الدولية السابقة ، ولا يُغيّر من الأمر شيئاً إذا تركت قضية المفاوضات لمنظمة التحرير ، وهي جزء لا تتجزأ من منظمة التحرير . إنها وسائل ومحاولات التفاف غير ناجحة ولكنها مكشوفة ! فلننتظر النتائج !

هذا الموقف الأخير والخطابات والشعارات الأخيرة ، تختلف كلّ الاختلاف عن المواقف السابقة والشعارات السابقة التي رفعتها إلى الانتخابات . تراجعت عنها كلها بصورة مكشوفة لا تخفيها محاولات الالتفاف . وهذه المحاولات إذا نجحت لدى الشارع ، فإنها مكشوفة عند الله لا يخفى عليه شيء !

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٠]

إنَّ الثمن الذي دفعه الفلسطينيون مقابل مواقف حماس المتراجعة ثمن باهظ كبير ، لم يكن هنالك مسوّغ لأحد أن يدخل تجربة لم يُعِدَّ لها ولا يملك لها نهجاً ولا خطة !

فهل بعد هذه التجارب المرَّة ، يمكن أن نتخلّى عن عصبيّاتنا ، وننهج الدرب الحق الذي يرضي الله سبحانه وتعالى ، على طريق الجنَّة والدار الآخرة ؟!

يا أمَّتي ! كم مِنْ دماءٍ قَدْ صَبَبْـ ... ـتِ وَمَنْ صريعٍ في الدِّيار مُجدَّلِ

كمْ جُدْتِ بالكفِّ السخيِّ على ميا ... دين النِّزال وجمْعِها ؟! لَمْ تَبْخَلي

قد جُدتِ بالمال الوفير وبالدّما ... ءِ بكلِّ غُصْنٍ منْ شبابك مخْضَلِ

كمْ منْ نسائك قَد خَلَعْنَ قلائداً ... زانَتْ وَجُدْنَ بكلِّ غالٍ منْ حلي

وطفولةٍ هبَّتْ تواثَبُ في الحمى ... وَثْباً إلى الميْدانِ لمْ تَتَمَهَّلِ

جَعَلوا منَ الحجَرِ الأَصمِّ مَلاحماً ... دوَّتْ ! وَمنْ عَزْمٍ هُدى المتأمِّلِ

فكأنَّه العْملاقُ هَبَّ و دُونَه الـ ... أَقزامُ في هَلَعٍ وطولِ تَملْمُلِ

يا أُمّتي! مَهْلاً ! بَذَلْتِ مَعَ السِّنيـ ... ـنَ تطولُ!أَيْنَ جَنَى العطاءِ المجْزِلِ

* * *

يا أُمَّتي ! لِمَ ، بَعْد بَذْلِكِ ، لم نَجدْ ... إلا الهَزائِمَ؟! هَلْ وقفْتِ لتسألي؟!

يا أُمّــتي طـالَ المدى ! عظَمُ البَــلا		وعَــلا نَشـيُـدُ القـاعـد المتـقـوّل
كمْ مَهْرجَان صـاخب متمـوّج ؟!		كمْ نَدْوة؟!كم مُلتقىً ؟!كم محْفل؟!
هلا وقَـفْـت لتسْألي سَبَبَ الـهـزا		ئم والقـوارِع ؟! فـانْظُري وتَأمَّلي!
كـم حَــوّلـوا بالوَهْـم كُلَّ هَزيمَـة		نَصْـــراً وَزانـوا منْ ربىً أو منــزِل
أخْـفَوْا أَسـاليب الجَـريمَة ! ويحَـهمْ		مَـهْـمـا يَطُـلْ مَكـرٌ لهمْ لا يَنْطـلِ
والله يَشْـهـدُ وهـوَ خَـيـرٌ شـاهـداً		مَكْـرَ الشَّـقيِّ وَفـتْنَـةَ المتـحـيِّـلِ
نُزعَتْ مـهـابَتُنـا وفُـلَّ سـلاحُنـا		وَهَوتْ صُروحُ المجْد حُطَّتْ من عَلِ
وتَفَّـرقَتْ تلكَ القُلـوبُ ومُـزِّقَـتْ		تلْكَ الصُّـفـوفُ وتاه كلُّ مـؤَمِّـلِ
لا يُرْتجى نَصْـرٌ وأمــرُ المسْلمـيـ		ـنَ مُـشـتّتٌ في غـفـوة و تَعَلُّـلِ
دَوّتْ شـعـاراتٌ مُزَخـرَفَة الـهـوى		سـقطتْ وتـاهت في طريقٍ مُـوْحلِ
كـلٌّ يقَـولُ أنـا الذي ينجي الدِّيـا		رَ بوَهـمـه وَشـعـاره المتَـعَـجِّـلِ
كُلٌّ يقولُ أنا " الذي " فإذا " الذي "		ليسَ " الذي " يا ويحَ من لم يَفْـعَلِ

* * *

مـاذا أعـدُّوا للنّزال ؟! وخَـصْـمنُـا		بَلَغَ الذُّرا ! ويلَ الشَّـجـيِّ الأعْـزلِ
جعلوا التوكّـل ، ويحَ نفسي ، غفوةً		وخُـطا ارتجـال أو هـوى مـتـبـدِّلِ
أو يلجـؤون لمن يسـوقُ لهم هـوىً		ويزيـدُ زَخـرفـةً الشـعـار المرسـلِ
يـتنافسـون مـراتـب الدنْـيـا ومـا		نَهـضُـوا لمرتـبـة أعـزَّ وأجــمـلِ
كُـلُّ القـوارِعِ والفـواجعِ لمْ تَـعُـدْ		تُجـدي بموعـظة القلـوبِ الغُـفَّـلِ

* * *

آلآن يســألُ غــافـلٌ أيــن الطريـ		ـقُ ؟! ألم تكنْ في غفوة وتَنَصُّلِ ؟!

ويحي !أنشكو الآن ؟! أين مضتْ بنا ... تلك السّنون ؟ وأين بذلُ العُقَّل؟!
ارجعْ إلى التاريخ وانظرْ كم جَرَتْ ... فتنٌ وكم شُقّتْ صفوفُ الجُهَّلِ
غَلَبَ الهوى وانزاح كُلٌّ في سَبَيْـ ... ـلِ مُظلمٍ أو تائهٍ أو مُوحِلِ
تركوا سبيل الله وانشقُّوا إلى ... فِرَقٍ تمزّق في ضلالٍ مُوغِلِ
هانُوا وسُلمت الرِّقاب لُمجْرمٍ ... يَفْري ولَمْ يُشْفقْ بها أو يحفلِ
هانُوا ! وأُسْقطَت الخلافةُ وانْطَوَتْ ... ما بَيْنَ مَكْرِ المُجْرمين وعُذَّلِ
والضائعينَ يُرَدّدون شعارهمْ ... ويْحي ! شعارَ تَمَزّق وتَذَلُّلِ
غنَّواْ : " فَلا دينٌ يُفَرِّق من عُرو ... بتنا ! لسانِ الضاد أمْتَنُ مَوئلٍ "
غَنَّوْا على خدرٍ وتاهوا ويْحهمْ ... بين المسالك في هلاكٍ مُذْهلِ
واليومَ ماذا ينْظرون ؟! وكلٌّ ما ... يجري على سُنَنٍ وحَقٍّ أَعْدَلِ
هذا الذي كسبتْه أيدينا فهلْ ... من توبةٍ أوْ وقفةٍ وتأمُّلِ
هذا الحصادُ جنى السِّنين الخاليا ... ت مرارةٌ من عَلْقمٍ أو حَنْظلِ
عَجَباً ! ألمْ يكُ بَيْننا من ناصحٍ ... يَهْدي وقلبٍ مُشْفقٍ لم يُخْذلِ
كُلٌّ يُصَفِّقُ أو يُسَارعُ فيهمُ ... يَسْعى لزُخْرُفِ مَجْدِه المتَزيِّلِ

* * *

لهفي على تلك المنازل هُدّمَتْ ... والنَّاسُ بين مُشَرَّدٍ ومُقَتَّلِ
ضَاقَتْ بهِمْ سُبُل النَّجاة وأُطبِقَتْ ... عُصَبٌ تَسُدُّ منَ الدروب وتَبْتَلي
يا للنسَاءَ وقد خَرجْنَ تَفَجُّعاً ... هل من مُغيث للحمى أو مُعْولِ
يَمْدُدْن أيديَهنّ في عَرْضِ الفَضَا ... ءِ عَلَى رَجَاءٍ خائبٍ وتوسُّلِ
ضاع الصَّدى في كلِّ أُفْقٍ ضَائعٍ ... بين الغيوم تلبَّدتْ لَمْ تنجلِ

لـمْ يَبْـقَ إلا نَظْـرةُ الطِّفْـل التـي ... تَـاهَ السُّـؤال بهـا وإنْ لـم يَسْـأل
عَـيْنـاه تائهـتَـان : أيْـنَ وعـودهُـم ... أَيْـنَ الشّـعـارات التي لـم تنـزل
قـالـوا نُحَـرِّرُهـا من النَّهـر القـريـ ... ـب إلى البحَار، منَ الجَنُوب لشَمْأَل
مـاجَـتَ على عَـيْنَيْـه دَمْـعَـةُ حَيْـرَة ... ونَـدَتْ على شَـفَـتَيْـه أَنَّـةُ مُـذْهَـلِ
حـتّـى إذا هـاجَ الأسـى وتفـجّـرتْ ... أحـزانـه ، فـيـقـول : يا عَيْنُ اهملـي
فَكَأنَّني قَـدْ ضِعْـتُ بَيْـنَ مُـزَمِّـر ... غَنّـى هَـواهُ لَنا وبَـيْـنَ مُطَبِّـل
مَـنْ كَـان يدفَـعُ هـؤلاء لَمعـرَكٍ ... لا طاقـةَ لَهُـمُ ومـا مـنْ مَـأْمَـلِ
مَنْ كَـان يَدْفَـعُ هـؤلاء ولَمْ يَكُـنْ ... لَـهُـمُ مِـن الإعْـدَاد أيُّ تـأهُّـلِ
قالوا : تَوكَّلنـا ! وكَـيْفَ يَصِحُّ دُو ... نَ النَّهْـج والإعـداد أيُّ تَـوكُّـلِ

* * *

حَتَّى إذا حَمي الوَطيسُ وجَـدّ حَـ ... ـتّـى لم يَعُـدْ في الأَمْـر ظَنَّةُ مَـهْـزَلِ
صَرَخُوا ونَادَوْا يا شُعُـوبُ تكلَّمـي ... يا مَـجْلس الأَمْـن العَـزيـز فـأقْبـلِ
يا دَارَ أَوْروبَّـا حَنانَـك ! أَشْـفـقـي ... يا دارَ أمْـريكـا أطلّـي واعْـجلـي
يا رُوسـيـا ! هـلاّ نظرتُـمْ حـالَنـا ... شـعـبـاً يُذَبَّـحُ بالمدَى والمقْـصَـلِ
قلْنـا كـمـا شئْتُم : نُـريْـدُ سَـلامَـةً ... ومُـفَـاوَضَـات في أَمَـان أَعْـدَلِ
قُلتُمْ لنـا نامـوا ! فنمنـا ! قُلْتُـمُ ... قـومـوا فـقـمنـا ! طاعـةَ المتـذَلِّـلِ
طُوفوا على الدنيا فما من مسعف ... أبـداً لأيـدي عـاجـز مـتـسـوِّلِ
سرْنـا كما شئتمْ ! وقَصَّفنا السـلا ... حَ كـمـا أردتمْ ! ذاك عَـهْـدُ الموغـلِ
اليـومَ نَجْني منْ حَـصَـاد جَـريمـة ... لـمَّـا ركَـنّـا للـعَـدوّ الأحْـيَـلِ
والله قَـال رُوَيْـدَكُـمْ لا تَـرْكَنـوا ... للظّـالمـيـن ولا لـقَـومٍ مُـيَّـلِ

هذا الصِّراطُ المُسْتَقيمُ أمامَكُمْ لا يستوي وسَبيلُ نَهْجٍ أَمْيلِ

يتنَزَّلُ النصْر العزيز على الذيـ ـن مَضَوا على هذا الصراط الأَعدل

لجَؤوا إلى الله العَزيز وأسْلَمُوا لله أمرَهُم على نَهْجٍ جَلي

عَهْداً وميثاقاً أَبَرَّ مع التُّقى يَمْضي على عزم الوفاء الأَجْمَلِ

إن لم تَقُمْ في الأرضِ أُمَّةَ أحمدٍ خَابَ الرَّجاءُ وضَاعَ كُلُّ مُؤَمَّلِ

❊ ❊ ❊

❊ من ملحمة الإسلام من فلسطين إلى لقاء المؤمنين ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

الفصل الرابع
الوهم الممتدُّ
والشعارات المتساقطة

لا شكَّ أنَّ " **اتفاق مكة** " أوقف القتال الدائر بين الفلسطينيين أنفسهم في صراع ملتهب جنونيّ على السلطة ، على الحكومة ، على الدولة ، على شيء ما ، سمِّه أنتَ ما شئتَ ، ولكنني أُسمِّيه " **الوهم الممتدّ ، والشعارات المتساقطة** " !

إن الخلاف بين فتح وحماس ، حسب ما يبدو ، لم يكن أكثر من خلاف على الشعارات التي بها تُكْسَبُ الجماهير حين لا تبحث الجماهير عن نهج ولا خطة . ولذلك كان تأييد حماس لمنظمة التحرير العلمانية قوياً وشديداً في ميثاقها الذي صدر مع نشوئها ، وكان تأييدها وتأييد الإخوان المسلمين لمنظمة التحرير تأييداً داعماً إعلامياً واجتماعياً وسياسياً ، حتى إنَّ بعض المجلات الإسلامية اعتبرت ياسر عرفات من الإخوان المسلمين ، وهو الذي أعلن دعوته إلى دولة علمانية في فلسطين في خطابه المبكر في هيئة الأمم المتحدة ، وهو لم يكن في يوم من الأيام من الحركة الإسلامية . ولكن يبدو أن المصالح الآنية تجمع في مرحلة وتفرّق في مرحلة أخرى .

ولذلك لم يكن عجيباً أن يوقف اتفاق مكة نزيف الدم الفلسطيني ، بعد أن تنازلت حماس عن أهم شعاراتها السابقة ورضيت بالتزام ما نصَّ عليه اتفاق مكة من قبول الاتفاقات السابقة التي دخلت فيها منظمة التحرير ، وما نصَّ عليه من قبول اتفاق الدول العربية في مؤتمر بيروت سنة ٢٠٠٢م وبعد أن صدرت تصريحات جديدة عن بعض زعماء حماس مغايرة لشعاراتها السابقة .

لقد كشفت الأحداث الأخيرة والسابقة ألواناً متعددة من نواحي الخلل في واقع المسلمين . ولا نستطيع هنا أن نعرض ذلك كله ، ولكن يجب الإشارة على الأقل إلى نقاط سريعة . إنَّ أهمَّ خلل وأبرزه هو عدم وجود تناصح وعدم قبول

النصيحة والاستكبار عليها . وكذلك انكشف أن التنافس ليس من أجل تحرير فلسطين كلها والقضاء على إسرائيل . فهذا شعار انتهى وانطوى .

والأمر الأخطر أن التنافس على الدنيا والصراع عليها جعل بعض المسلمين يتورّط في الكذب والافتراء والدس ، واستخدام وسائل للصراع تطورت حتى بلغت حدَّ أعظم جريمة وهي القتل . وأصبحت الأجواء مليئة بالكذب والافتراء والدسائس واستباحة المسلم لعرض أخيه المسلم ولدمه وماله .

في هذه الأجواء من أين يأتي النصر في ضجيج الشعارات المتساقطة ؟!

أما بالنسبة للدول الأخرى الكبرى ، وبالنسبة لإسرائيل ، فقد تبيّن لنا بعض ملامح أساليبهم ، فهي لا تنظر إلى قضية فلسطين كقضية مستقلة معزولة عن سائر قضايا منطقة الشرق الأوسط أو قضايا العالم اليوم وأمس وغداً . إنها تضع خطتها ونهجها وسياستها لجميع القضايا على ترابطها في ميدان المطامع والجشع، وعلى تفرد كل قضية بخصائصها المتميزة ، خطة ونهج يجمعان الحالتين في آن واحد .

ونحن المسلمين نرفع دويَّ شعاراتنا لكل قضية منعزلة عن سائر القضايا ، كلُّ قضية يُشْغَلُ أهلها بها وحدهم ، وربما وجدوا بعض العواطف من هنا وهناك . ولكن في جميع قضايا المنطقة لا يوجد لدى أبنائها وأصحابها نهج مدروس أو خطة محدّدة ، فحسبهم الشعارات ، ولا يوجد نهج واحد جامع ، ولا هدف واحد يتجمعون كلُّهم إليه .

الدول الكبرى تملك القوّة الماديّة الحقيقية ، قوة السلاح المدمّر ، قوة الأجهزة المتعدّدة المتشابكة ، قوة المؤسسات ، قوة العلم المادي والصناعي ، يضاف إلى ذلك ما لديهم من عملاء ارتموا في أحضانهم ، كما تجد في أفغانستان والعراق وفلسطين ، عملاء من أناس فقدوا الثقة بأمتهم ، وفقدوا قبل ذلك إيمانهم بربّهم وخالقهم الله الذي لا إله إلا هو .

ولقد انتشر في الآونة الأخيرة تعبيرات ومصطلحات لا ندري كيف هبطت

علينا دويّاً إعلاميّاً هادراً . ولعل من أبرزها : " **احترام الآخر** " ، أو " **الاعتراف بالآخر** " ، دون أن ندري من هو الآخر ، إلا أن الحق الذي يجب أن يكون هو أن يعترف الآخر بنا ، ويحترمنا الآخر ، فنحن المعزولون الذين لا يُعْترف بنا ولا بحقوقنا ولا بهويّتنا التي تنازلنا عنها طواعية . وقسْ على ذلك سائر المصطلحات التي لا مجال لمعالجتها في هذه العجالة كالديمَقراطية ، والعلمانية ، والعولمة ، والمرأة وغير ذلك !

الدول الكبرى وعلى رأسها أمريكا ازدادت جرأة في الدعوة إلى ما تزعمه من ديمقراطية كاذبة وعلمانية باطلة وعولمة قاتلة . ازدادت جرأة في دعوة المسلمين إلى باطلها ، فاخترقوا صفوف المسلمين الممزَّقة ، يدعون ويجهرون ويُلحِّون ، ويضعون من أجل ذلك إمكانات ضخمة ، إمكانات إعلامية ، وماليَّة ، وعلمية ، وبشريَّة ، وعسكرية ، ثمَّ يُزيّنون ذلك كله بزخرف كاذب ، ووعود كاذبة ، ومكر وخداع قد سقط فيه الكثيرون . ومن أبرز مظاهر وسائلهم وأساليبهم ثلاثة أمور :

أولاً : أنهم يسيرون خطوة خطوة يتبعون بها الشيطان وخطواته ، وقد نهى الله المؤمنين أن يتبعوا خطوات الشيطان :

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** (٢١) ﴾ [النور: ٢١]

وثانياً : أنهم لا يتعجّلون ولا يضجّون ولا يُغرقون أنفسهم بالشعارات ، ولكنَّ عملهم هادئ صامت ، يصبرون ويتربّصون .

وثالثا: أنهم يفكرون تفكير الشياطين ، ويخططون تخطيطاً مادياً معزولاً عن الإيمان والدار الآخرة ، ويمضون على نهج مدروس لديهم ، إلا أنه معزول عن نور الإيمان وهداية الرحمن . فيكسبون جولات على قَدَرٍ من الله وسُنن لله ماضية وحكمة بالغة ، حتى يأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر !

أما نحن فقد منعنا التفكير عن أنفسنا ، وإن فكرنا فنفكِّر مثل تفكيرهم المادي ، لنؤمّن مصالح للدنيا . وقلَّما نلجأ إلى الله لجوءاً حقيقياً مستكملاً شروطه الإيمانية الربانية ، لنفكّر تفكيراً إيمانياً ! ولكنَّ تفكيرنا المشَتَّت المضطرب مزّقنا ، وادعاءَنا الإسلام دون الالتزام فرَّقنا !

ومن هنا نستطيع أن نتلمس أهم آثار تخطيط الشياطين ومكرهم في واقع المسلمين اليوم ، مما يمكن إيجازه بنقاط سريعة واضحة صريحة :

١ - أثاروا الفتن والأحزاب والأحقاد في كل بلد إسلامي ، ثمَّ حرَّكوا هذه القوى ليقاتل المسلمون بعضهم بعضاً ، والأعداء ينظرون فرحين . انظر ماذا يحدث في أفغانستان والعراق والصومال وفلسطين والسودان وأندونسيا وغيرها . لم ينجحوا بذلك لبراعتهم فقط ، ولكن لهواننا وضعفنا وضعف التزامنا بأمر الله .

٢ - مزّقوا العالم الإسلاميّ إرباً إرباً بعد سقوط الخلافة الإسلامية ، ولم يجدوا صعوبة في تمزيقنا ، وربما وجدوا من بعض المسلمين إقبالاً وتأييداً .

٣ - أثاروا جميع أنواع العصبيات الجاهلية بالمكر والإغراءات وشراء النفوس والإعلام ، أثاروا العصبيات العائلية والحزبيّة وألقوا بين المسلمين ما يتنافسون عليه ويتخاصمون ، وأشغلوهم بما يصرفهم عن قضاياهم الرئيسة .

وقسْ على ذلك سائر العصبيات . وقد نجحت خططهم في جميع البلدان التي مكروا بها ، ثمَّ امتدَّ مكرهم هذا إلى بلدان أخرى ، ومازالوا ماضين يُثيرون كلَّ غرائز الحقد والتحاسد وحب الدنيا حتى جعلوا المسلمين يلهثون وراءها ، فما وجدوا إلا سراباً بعده سراب !

لقد أصبحوا وكأنهم هم يديرون قضايا العالم الإسلامي ، ويظنُّ بعضُنا أنه هو الذي يدير دون أن يشعر أنه يُدار . ويُسَرّ بعضنا بظهوره على الفضائيات وإلقاء الخطب النارية والشعارات الحماسية ، ويُخْدَعون بكثير من أسباب الزخرف الذي يُلْقى إليهم ، ثمَّ يكتشفون الحقيقة بعد فوات الأوان ، ولات ساعة مندم !

بمراجعة تاريخ القرنين الأخيرين نلاحظ بوضوح أن الأخطار على العالم الإسلامي آخذة بالازدياد ، وأن الغزو يشتدُّ وتتنوّع أساليبه ، وأنَّ الوهن في العالم الإسلامي يشتدُّ أيضاً ، وأشدّ مظاهر الوهن هو تكوُّن جماهير ارتبطت قلوبها بالغرب وفكره وأدبه وعاداته وتقاليده ولغته ، حتى أصبح الملايين من المسلمين لا يعرفون لغة قرآنهم ، فهم لا يقرؤونه ، وأصبحوا لا يشعرون بضرورة دراسة اللغة العربية وتدبّر القرآن والسنَّة باللغة التي جاءا بها من عند الله ورسوله . بل أصبحنا نحن نشجعهم على ذلك ، ونقدم لهم التسهيلات ليبقوا على لغتهم ، نترجم لهم معاني القرآن الكريم ، وخطب الجمعة ، والسنَّة ، ولا بأس في ذلك كخطوة أولى ، ولكننا لا نعرّفهم بوجوب دراسة اللغة العربية التي أصبحت منذ نزول الوحي بها لغةَ الإسلام والمسلمين ، ولغة الإيمان والتوحيد ، ولغة الفطرة ، ولم تعد لغة شعب محدود . إنها أصبحت لغة الإنسان ، لأنَّ القرآن جاء للعالمين .

ونلاحظ كذلك أن التخطيط لزيادة تمزيق العالم الإسلامي يزداد قوّة وشراسة ، وأنَّ التخطيط لإثارة جميع القوى المناهضة للكتاب والسنَّة ما زال مستمرّاً ، وأنَّ من المسلمين من يقع في شرك هؤلاء وهؤلاء .

ويمكن أن نحدّد مصادر الخطر اليوم على العالم الإسلامي بالنقاط التالية :

١ - إسرائيل ومخططاتها التوسعية ما عُلِمَ منها وما خفي .

٢ - العالم الغربي الذي ما زال يمدُّ أطماعَه ومكرَه وزحفَه ، وتمتد خططه ومكره .

٣ - الذين يحملون شعار الإسلام ، ولا يؤمنون بالكتاب والسنَّة كما نزل بهما الوحي الكريم ، ويحاربون الإسلام سراً وعلانية .

٤ - القوى المنافقة في قلب العالم الإسلامي ، على تعدّد أشكالها وتنوّع ولاءاتها واختلاف وسائلها .

٥ - ضعف العالم الإسلامي أو معظمه من حيث الإعدادُ والنموّ العمليِّ والصناعيّ . لقد اهتم الكثيرون بالأخذ عن الغرب أشكال الملابس وزينتها

ونماذجها ، والأغاني والرقص ، والتفلّت الجنسي تحت شعار الحريّة ، وشعر التفعيلة والنثر ، والحداثة ومذاهبها ، ولم يحرص هؤلاء على أخذ العلم الحقيقي والصناعة وأسباب القوّة لأمتهم ، وإنما أحضروا وحملوا كل ما يوهن الأمة ويُمزِّقها .

من هذا العرض الموجز السريع ، ومن خلال هذا البحر المتلاطم من الأخطار ، نعود إلى قضية فلسطين وواقعها اليوم .

إنَّ جميع الآمال والأحلام التي حملناها خلال أكثر من ثمانين عاماً تلاشت أو كأنَّها تتلاشى . فبعد أن كانت القضية قضية الأمة المسلمة ، أصبحت من خلال مخططات إجرامية قضية الشعب الفلسطيني وحده ، ليواجه أقوى دولة في المنطقة وحده ، ليواجه الدولة التي تراجعت كل الدول العربية عن مواجهتها ، بل إنَّ بعضهم ارتبط معها بتبادل التمثيل السياسي ، وبعضهم الآخر يبدو أنه على الطريق ، وليواجه الواقع الدولي الذي يقف صفاً متراصاً لحماية دولة اليهود .

في الوقت الذي كان فيه دويّ شعاراتنا وضجيجها على أشدّه حماسة وتهديداً ووعيداً لإسرائيل ، كانت إسرائيل تعمل بهدوء في مخططاتها ، حتى امتدَّ نفوذها إلى جزء كبير من العالم الإسلامي ، دون ضجيج ولا صراخ ، وامتدت مساحتها في فلسطين كذلك .

ودولة اليهود حسب مقررات هيئة الأمم المتحدة كانت مساحتها تقريباً ٦٠٪ من أرض فلسطين ، أما المساحة المقررة للفلسطينيين ٤٠٪ . هذا كان سنة ١٩٤٧م في قرار التقسيم . أما اليوم ، فمساحة دولة اليهود تزيد عن ٩٠٪ من أرض فلسطين ، ومساحة الأرض التي يُزْعَم أنها ستقوم عليها دولة للفلسطينيين هي بحدود ٩-١٠٪ من أرض فلسطين ، هذا بعد قيام انتفاضتين ، تولى الإعلام العربي وغير العربي تغذيتها .

ثمَّ بدأ التنازل شيئاً فشيئاً عن الشعارات : أصبحت المطالبة بدولة عند حدود

سنة ١٩٦٧م . وطوي شَعار من النهر إلى البحر وأمثاله ولكن دوَّى شعار : **لا نعترف بإسرائيل** ، ثمَّ أصبح الشعار : **نقبل بعمل هدنة معها ، ثمَّ نقبل بعمل هدنة طويلة** ، ثمَّ ظهر من يقول : **إسرائيل أصبحت حقيقة واقعة** ، وآخر يقول : **فَلْتتولَّ منظمة التحرير المفاوضات والاعتراف بإسرائيل !** ثمّ جاءت المطالبة بحكومة وحدة وطنية بعد أن لم تستطع الحكومة القائمة تحقيق أيّ شيء من الناحية السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو العسكرية واختفى شعار الإسلام ، وحلَّ محله شعار الديمقراطية ، وتقام المهرجانات للاحتفال بالنصْر وأيّ نصر ؟! نصر النجاح في الانتخابات ، وأيُّ انتخابات ؟! الانتخابات التي شغلت الناس وصرفتهم عن قضيّتهم ، وأثارت الفتنة بينهم ، وأشعلت القتال بينهم بعد ذلك ، ودفع هذا الشعب الفلسطيني الذي صفّق طويلاً لهؤلاء ثمَّ لهؤلاء ثمَّ لهؤلاء ، دفع هذا الشعب ثمناً غالياً من الجوع والحرمان والحصار الدولي المدمر، والتقتيل والتدمير والسجون !

وبدأت مرحلة : دولة الوحدة . وتوزّع الناسُ يطوفون الأرض يتوسّلون إلى الدول من أجل الاعتراف بدولة الوحدة الوطنية التي لم تتكوّن بعد ، ورفعِ الحصار عن الشعب الذي لم تعُدْ سواعدُه ولا أكفّه ولا حناجره قادرةً على الهتاف والتصفيق ، فحسبه أن يَسْكُبَ الدموعَ على قتلاه وضحاياه وعلى أطفاله ، وعلى جوعه ، وعلى مزارعه وبساتينه وثرواته !

لا بدَّ من وقفة صريحة هنا . لقد حدث تحوُّل كبير في الشعارات ، وخاصة في وسائل الإعلام ، حيث يظهر الدعاة المسلمون ، وقد اختفت مصطلحات الإسلام عن ألسنتهم ، وحلّت مصطلحات الديمقراطية والعلمانية وأمثالها ، وأصبح الجميع ديمقراطيين . ألم يكف أن يقول داعية كبير في مقال له : " **نحن مع الديمقراطية بجميع أشكالها ومعانيها** " . لقد قالوا قبل ذلك مثل هذا عن الاشتراكية وتغنُّوا بها ، فما نالوا خيراً منها ولا من أربابها . واليوم ، مهما تغنُّوا بالديمقراطية فلن ينالوا منها ولا من أربابها خيراً ، إلا زيادة المكر والكيد والكبر

والإذلال والتدمير والعدوان . كان الشعار : " **فلسطين ملك للمسلمين ومسؤولية المسلمين جميعاً** " ، ثمَّ اختفى هذا الشعار وحصرت القضية بالفلسطينيين .

إنها فتنة وباب إشغال للمسلمين حتى يتابعوا تراجعهم وتنازلهم ، ثمَّ لا ينالوا شيئاً إلا الإذلال والمهانة والهوان والضياع .

وكلما تنازل المسلمون لأعدائهم سرّاً أو علانية ، يزداد الأعداء ويزداد إذلالهم لنا :

﴿ **وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ (١٢٠)** ﴾ [البقرة: ١٢٠]

إنَّ إسرائيل ، حتى لو قامت الدولة ، تستطيع أن تدخل إلى أيّ بقعة منها ، فتدمّر وتقتل ، وتعتقل ، ولا أحد في الأرض كلها يصدُّها عن ذلك إلا الشكوى تلو الشكوى للمجتمع الدولي الذي سُكِّرتْ أبصاره وسُدَّت آذانه !

إنَّ أهل غزة والضفة ، في واقعهم الحالي ، لا يستطيعون الاستغناء عن إسرائيل والمجتمع الدولي ، وفترة الحصار هذه أكبر دليل على ذلك . فالماء والكهرباء لا يأتي للقطاع إلا من إسرائيل . وكثيرون يحصلون على رزقهم من العمل في إسرائيل .

جميع الظروف لا تسمح لهذه الدولة المزعومة بأن يكون لها الكيان الحقيقي بالمفهوم الحقيقي للدولة . إلا أنها تسمح للوزراء والرؤساء أن يركبوا السيارات ويتمتعوا بالألقاب ، وبالسفر والمقابلات ، والظهور على الفضائيات والصحف ، وإعطاء التصريحات والحوارات ، والانشغال بهذه الأمور وأمثالها . دون أي نتيجة إلا الاستدراج لتنازل بعد تنازل .

لقد وضح أن الطاقة المالية هي من الدول المانحة ومن إسرائيل . ففي كلِّ لحظة يمكن أن توقف هذه المعونات ، فيقاسي الفلسطينيون أشدّ أنواع المعاناة والإذلال .

هل هناك دراسات إيمانية حول هذه القضايا وأمثالها ؟! هل هنالك خطط لمجابهة المستقبل ؟!

هذه الأمور الواضحة الجليَّة ألم يُفكِّر بها أحد من الفلسطينيين أو من المسلمين ؟! ألم يشعروا بما قدّموا من تضحيات ثمَّ لم ينالوا شيئاً ، إلا أن تتقاذفهم السياسة الدولية يرمونهم حيناً يساراً وحيناً آخر يميناً ، وحيناً هنا وحيناً هناك ؟!

هذه اللحظات الحالية تمثّل لحظات التناقض والاضطراب في المواقف والتصريحات ، وتمثّل لحظات الحَيَرة والارتباك ، ومحاولة ستر العورات بوسائل متعدّدة بعد أن كُشفت عوراتنا كلُّها ، محاولة سَتْرها عن المسلمين أنفسهم ، أما الأعداء فعوراتنا مكشوفة كلها لهم . إننا نخدع أنفسنا وحدنا ، ونخدع الشعب والجماهير !

إن تجربة أكثر من تسعين عاماً من تاريخ قضية فلسطين لم نستفد منها شيئاً ، فالوعود الكاذبة التي أُعطيت لنا قبل أكثر من ثمانين عاماً ، والتي خُدعنا بها وخسرنا بتصديقنا لها الشيء الكثير ، فما زالت الوعود الكاذبة تعطى لنا ، وما زلنا نُخْدَعُ بها ، وما زلنا نلهث وراءها ، نستْجدي من روسيا وفرنسا وإنكلترا وألمانيا وغيرها نظرة العطف وكلمة الإشفاق ، وحتى الاعتراف بنا وبوجودنا ونحن نغرق في المصائب المتتالية وفي وحولها .

لقد تخلى الكثيرون عن إسلامهم وإيمانهم ، ولم يعودوا يثقون بالله وبأن النصر من عنده فحسب ، وجرى الكثيرون يلهثون يستجدون النصر من أوثان وأوهام ، فينالون الصدمة بعد الصدمة ، والإذلال بعد الإذلال ، والهزائم بعد الهزائم .

مع ضخامة التجارب الحقيقية في الميدان ، ومع وجود كتاب الله وسنة محمد

ﷺ بين أيدينا ، ومع كثرة المؤتمرات والندوات والمهرجانات وما فيها من شعارات وصراخ ، مع ذلك كله لم نتعظ ، ولم نصحُ ، ولم نعدْ تائبين إلى الله خاشعين بين يديه ، فما زلنا ننحرف عن الإسلام بالتصريحات والفتاوى والمواقف، بالارتجال وعدم الرويّة ، كلٌّ يُحبُّ إثبات الذات في الساحة ، ولو على حساب الدين والأمة ، حتى وضح أن الكثيرين يطلبون الدنيا لا الآخرة ، ويؤثرون الدنيا على الآخرة ، خلاف ما يأمر به الله سبحانه وتعالى . ما زلنا ندويّ بالشعارات ونبتعد عن النهج والتخطيط والدراسات الإيمانية ، وما زالت الشعارات تتساقط ، وما زلنا في أوهام تمتدُّ ، لم نستطيع أن نجعل شيئاً منها حقيقة !

لم ندرك ، بالرغم من كثرة التجارب وجلاء الآيات ، أننا كلما تنازلنا عن إيماننا وديننا وجاملنا الأعداء بتَبنِّي مبادئهم حتى يرضوا عنا ، كلما فعلنا ذلك زاد الأعداء من إذلالنا . فممالأة الأعداء ومراءاتهم وموالاتهم لم تعطنا أيَّ احترام لنا لديهم ولا أيَّ وفاء لوعود ، ولا أيَّ توقُّف عن إذلالنا . كلّما جاملنا زاد إجرامهم بنا ، والأمثلة كثيرة في التاريخ . وحسبك الآية الكريمة التي سبق ذكرها :

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ (١٢٠) ﴾
[البقرة : ١٢٠]

لا يوجد لدى المسلمين اليوم رؤية واحدة يجتمعون عليها ، ولا هدف واحد يؤمنون به ويجاهدون من أجله ، ولا يمثلون اليوم أمة مسلمة واحدة ، صفّاً واحداً كالبنيان المرصوص ، كما يريدها الله سبحانه وتعالى ويحبّه ويأمر به .

إنَّ جميع انحرافاتنا ومخالفاتنا لأمر الله تتجمع كلها في قضية واحدة رئيسة هي تمزُّقنا وتفرُّقنا شيعاً وأحزاباً مما يستوجب عقوبة شديدة من الله وعذاباً عظيماً كما نذوق بعضَه اليوم :

﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٥]

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الروم: ٣٠ - ٣٢]

وكذلك :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٩]

إن الأخطار على العالم الإسلامي كله آخذة بالامتداد والازدياد ، وليس أمام المسلمين إلا أن يعودوا إلى الله عودة صدق والتزام ، وتوبة وإنابة ، ثمَّ يلتقون صفّاً واحداً كالبنيان المرصوص يحملون رسالة الله كما أُنزلت على محمد ﷺ يبلّغونها إلى الناس كافّة ، بعمل ممتد لا يتوقف . فإذا توقّف المسلمون عن حمل دعوتهم هذه ، فإنَّ المجرمين في الأرض يبادرون إلى دعوة المسلمين إلى ضلالهم وفسادهم ، ويلحّون بذلك . فإمَّا يقظة وعودة والتزام ، وإما هلاك محتم وعذاب من عند الله عظيم .

وحتى يلتقي المسلمون أمة واحدة فلا بدَّ من منهج صادق نابع من الكتاب والسنّة ، وقواعد الإيمان والتوحيد ، ومدرسة النبوّة الخاتمة ، مدرسة محمد ﷺ ، منهج لا يقوم على الأوهام المخدّرة ولا على الشعارات الطائرة المتساقطة والزخارف المغرية ، وإنما يقوم على قواعد صدق تعالج واقعنا المؤلم المتدهور ، على منهج ونهجٍ تلتقي عليه القلوب والعزائم صفّاً واحداً .

وأساس هذا النهج هو منهاج الله ـ قرآناً وسنّة ولغة عربية ـ يصاحبه المسلم صحبة منهجية صحبة عمر وحياة ، كلٌّ قدر وسعه الصادق ، لا وسعه الكاذب .

وإننا نُقدِّم هذا النهج بتفصيلاته ودراساته المفصّلة والموجزة ، نقدّمه ونعرْضُه لكلٍّ مسلم ومسلمة ، وكل حركة إسلامية ، وكل جماعة ومجتمع ، وكل من يريد الدار الآخرة ورضوان الله والجنَّة ، ويجعل الدنيا ميدان جهاد ومجاهدة على صراط مستقيم إلى الهدف الأكبر والأسمى ـ الدار الآخرة ورضوان الله والجنة ـ ، حتى يكون للمسلمين في الأرض منهج للبناء واحد ونهج واحد ، كما كانوا أيام محمد ﷺ ، فيُبْنى بذلك جيلٌ مؤمن واحد في إيمانه وفكره وتصوراته وفهمه للواقع ، وفي أهدافه المحددة ، ووسائله المحددة التي يمكن أن تتطور وتنمو مع الممارسة ومجابهة الأحداث المتجددة ، في جوّ صادق من التعاون :

﴿ .....وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة: ٢]

يجب أن نتعاون فيما أمر الله أن نتعاون فيه ويعذر بعضنا بعضاً فيما أذن الله لنا الاختلاف فيه "

ولا يمكن أن يقوم التعاون الصادق إلا إذا تحققت فينا نحن المسلمين أخوة الإيمان كما أمر الله سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحجرات: ١٠]

ولا تتحقق أخوّة الإيمان إلا إذا اتجهت القلوب كلها إلى الدار الآخرة وآثرتها على الحياة الدنيا ، وصدقتْ إيمانها بالله وكتبه وملائكته ورسله ، وتابت بين يديه وأنابت إليه :

﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الزمر: ٥٤، ٥٥]

ولا تصدق الإنابة ولا يصْدق الإسلام لله إلا إذا كان العهد الأول مع الله ، والولاء الأول لله ، والحب الأكبر هو لله ورسوله :

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الرعد: ١٩ – ٢٢]

وكذلك :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥٧ – ٦٢]

وكذلك :

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [النحل: ٩١، ٩٢]

وحتى يتحقق هذا في واقع الحياة لا بدَّ من نهج واع وخطة مدروسة يحملها الجيل المؤمن الرباني ، لينبع النهج والخطة من منهاج الله ـ قرآناً وسنّة ولغة عربية ـ ، ومن قواعد الإيمان والتوحيد ، ومن مدرسة النبوّة الخاتمة ، مدرسة محمد ﷺ ، حتى إذا علم الله صدق القلوب والعزائم ، وصدق الولاء الأول لله والعهد الأول مع الله والحب الأكبر لله ولرسوله ، وصدق أخوة الإيمان ، وصدق الإنابة

والخشية والخشوع ، وصدق البذل والجهاد في سبيل الله صفّاً واحداً كالبنيان المرصوص ، أنزل نصره وأعزَّ أمته !

هذا هو أمر الله أيها المسلمون ! فإما هذا وإما الهلاك ! ومن أجل ذلك نقدِّم النهج الذي أشرنا إليه ، عسى أن تنجح العزائم المؤمنة المتعاونة في بناء الجيل المؤمن ، وفي تحقيق لقاء المؤمنين ، وبناء الأمة المسلمة الواحدة .

الفصل الخامس

التكتيـك

بين المكر والخداع والفتنة والضياع

ما أكثر المصطلحات التي أخذت تنهال على العالم الإسلامي في موجات طوفانية قادمة من العالم الغربي . وما أسرع انتشار المصطلحات بين المسلمين بعامَّة والدعاة المسلمين بخاصَّة . ويتبنى بعض المسلمين هذه المصطلحات حتى تصبح جزءاً منَ فكرهم وتصورهم .

ومن بين هذه المصطلحات مصطلح لفت نظري كثرة انتشاره بين بعض المسلمين . إنه مصطلح " التكتيك " ! والكلمة في أَصلها أجنبية ليست من العربية. ومعانيها في المعاجم : ترتيبي ، نظامي ، انتهازي ، مُعَدٌّ لاكتساب فائدة مؤقتة ، علم التطور العسكري والبحري وفنُّه ، فن تحريك الفرق المقاتلة أمام العدو ، الأسلوب والمحاولات لبلوغ هدف معين .

هذا موجز ما نجده في المعاجم . ولكن في الواقع حملت هذه الكلمة ظلالاً خادعة من المعاني والأساليب . وغلب على لسان الكثيرين ، حين يجدون صعوبة في أمر ما ، أن يقولوا " تكتِيك له " ! أَي تَصرَّفْ باللفّ والدوران ، وتحرّر من بعض القيود والقيم .

أما غير المسلمين فلهم شأنهم وتصورهم النابع من معتقداتهم العلمانية والديمقراطية ، وما تُبيحه من أساليب تنحرف عن القيم والضوابط الخلقية . أما المسلمون فإن لهم قيَماً نابعة من دينهم الحق وقواعده ونهجه وأساليبه وأهدافه . ولا بدَّ أن نشير إلى معنى رئيس في هذا الدين الحقِّ ، دين الإسلام ، ذلك أن الدين الإسلامي منهجَ كامل للحياة في جميع ميادينها ، يُرسيَ في كل ميدان قواعد وثوابت وقيماً لا يجوز الخروج عنها . إنه دين الله الحق الذي أنزله على عبده محمد ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن الله ، الدين الذي يحمل النهج المتكامل لكل عصر ولكل حالة ولكل مكان .

هذا التصور الكامل عن الإسلام أخذ يغيب عن قلوب كثير من المسلمين ، وأخذ يسيطر على الناس مفهوم نابع من التصور الغربي النصراني لكلمة Religion حين ينحصر " الدين " في ذلك المفهوم في الطقوس ، بعيداً عن كونه منهج حياة شاملاً لميادينها جميعها . ورسالة عيسى عليه السلام جاءت لخراف بني إسرائيل الضالَّة . فلما جاءت إلى أوروبا واصطدمت بالوثنية اليونانية ، تأثرت بها ، ودارت مساومة مع الإمبراطور قسطنطين ، فانحرفت ولم تعد رسالتها هي رسالة الإسلام ، ورسالة عيسى عليه السلام ، وانطلقت الكنيسة الكاثوليكية لتصطدم مع العلماء من ناحية ، ومع الملوك من ناحية أخرى ، وأصبح مفهوم " الدين " هو مفهوم الكنيسة . ومع ظهور العلمانية التي رأت حصر مفهوم الدين في الكنيسة ترسّخ هذا التصور المخالف لتصور الإسلام في الرسالة الخاتمة له ، رسالة النبيّ الخاتم محمد ﷺ ، والمخالف لرسالة عيسى عليه السلام ، ورسالة جميع الرسل والأنبياء .

ومع انتشار الفكر الغربي بالاشتراكية ، والديمقراطية ، والرأسمالية ، والعلمانيّة ، امتدّ تصور " **الدين** " الغربيّ بين كثير من المسلمين ، ثم انتشرت العلمانية ذاتها والديمقراطية بين بعض الدعاة المسلمين ، وأخذوا ينادون بها ويدعون إليها ، بدلاً من أن يدعوا إلى الإسلام . فتغيّر مفهوم " **الديـن** " لدى كثير من الناس ، وغاب المفهوم الذي يتبناه الإسلام في رسالته الخاتمة .

من خلال ذلك ضَعف كثير من معاني الدين في رسالته الخاتمة بين الناس ، وضعفت الروابط الإيمانية ، واضطربت تصورات كثيرة واختلطت . وأصبح من السهل على المسلم أو المنتسب للإسلام أن يتخلّى عن كثير من المعاني والتصورات ، وأن ينساق بسهولة مع تيار المصطلحات الجارفة المتدفّقة . والأخطر من ذلك أن يؤوّل المعاني الإيمانية والتصوّرات الإسلامية إلى معان وتصورات ومواقف وأساليب تلائم مصلحته المادية وما ينشأ عنها من تصورات ومواقف .

في أجواء بعض المسلمين رأوا في " **التكتيك** " مجالاً واسعاً للخروج عن قواعد الإسلام بشكل واضح . فقد يستسهل بعضهم الكذب والافتراء في ميدان

التنافس والصراع ، يكذب هذا على أخيه الذي يخالفه ، ويفتري عليه ظلماً ، ويشيع ذلك في أجواء محمومة .

ويستسهل بعضهم المكرَ والكيد في ميدان صراع المسلم مع أخيه المسلم ، لا يردعه إيمان ولا خلق . فيكيد بعضهم لبعض كيداً يستهلك الجهود والطاقة والفكر . وحين يصيب طرفٌ بعض النجاح يُسَرُّ كأنه حقَّق انتصاراً على الأعداء !

والعجيب في ذلك أَنَّ هذا المسلم الذي يبرع في الكيد لأَخيه المسلم لا يكيد لعدوّهما ولا يفلح في ذلك ، وإنما يفلح هذا العدوّ بالكيد لهذا المسلم وذاك والمكر بهما . فيشغلهما بصراعات كثيرة بينهما ، ويغذّي المكر والكيد بينهما .

وأصبح من **التكتيك** أن يخفي المسلم بعض قناعاته أو مبادئه ويظهر خلافها في سبيل إرضاء عدوّه غير المسلم . فكم من المسلمين يعلنون تأييدهم للديمقراطية والعلمانية ليس عن إيمان بهما ولا عن علم حقيقي بهما ، ولكن ليخدع الآخر ويكسب رضاه .

يقول لي مسلم داعية وأنا أَسأله عن سبب مناداته بالعلمانية والدعوة إليها ، فقال : يا أخي نحن هنا في جو علماني ومصالحنا كلها مرتبطة به ، فلندع إلى العلمانية لنكسب رضا هؤلاء ! فقلت له : ولكنك أعلنت عن نفسك أنك داعية مسلم وعُرفتَ بذلك ، وسيفهم الناس أن موقفك هذا من العلمانية موقف إيماني ! أو لم يكنَ أولى بك أن تحرص على رضا الله وطلب عونه ، وتدعو إلى دينه الذي تقول إنه هو دينك ؟! فقال يا أخي هذا " **تكتيك** " ، فلا بد أن نتعلم " **التكتيك** " ! فقلت له : هذا التكتيك عندك يعني : " **الغاية تبرّر الوسيلة** " ، المبدأ الذي دعا إليه ميكيافلي الإيطالي والمبدأ الذي يرفضه الإسلام . فهلاّ دعوت إلى الإسلام كما أنزل على محمد ﷺ دعوة صريحة واضحة دون أن تعتدي أو تشتم أو تسيء !

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥]

وينتقد أحد المسلمين الديمقراطيةَ أمام بعض إخوانه المسلمين ، فهبّوا عليه وأوقفوا اعتراضه على الديمقراطية بحجة أَنَّ هذا النقد والاعتراض يسيء إلى علاقات المودة بيننا وبين أمريكا ! فقال لهم : ما هذا الأسلوب ؟! أين مبادئ الإسلام ؟! فردّ عليه أحدهم : " **هذا تكتيك ... !** " .

وأصبح هناك مواقف كثيرة تخالف بشكل صريح قواعد الإسلام وثوابته ، مواقف يأخذ بها دعاة مسلمون ، يحرّفون أحاديث الرسول ﷺ ، ويسيئون تأويل بعض الآيات ليسوّغوا بعض أفكارهم المنحرفة : مثل القول إن الإسلام أعطى للنصارى واليهود نفس حقوق المسلم ، ويدّعون أن الرسول ﷺ قال : " **لهم ما لنا وعليهم ما علينا** " ! كذب على الله ورسوله ! وحاشا لرسول الله ﷺ أن يقول ما يخالف القرآن الكريم ، وما يخالف أحاديثه الصحيحة الثابتة ! فهل هذا من " **التكتيك** " ؟! والعجيب في ذلك أنه حين يحرص هؤلاء على توثيق العلاقة مع أولئك ، لا يحرصون على توثيق علاقة المسلم بالمسلم وتنمية أخوة الإيمان التي أمر بها الله سبحانه وتعالى .

ويقول بعضهم : " **إن الإِسلام دعا إِلى الأُخوّة القوميَّة والإقليمية والوطنية والإنسانية وليس إلى أخوة الإيمان فقط** " ! تحريف مضِلٌّ ومُغْرٍ ! نَعَم ! إن الإسلام احترم الروابط البشرية وأعاد صياغتها ، وطهّرها من العصبياتٍ الجاهلَية ، وحدّد لكل منها حدوداً ومفهوماً ، إلا أن رابطة أخوة الإيمان هي الرابطة التي نصَّت عليها الآيات والأحاديث ، وأكَّدت عليها لتقوم الأمة المسلمة الواحدة ! فبالدعوة إلى تلك الروابط الأخرى بتصوراتها الجاهلية وعصبياتها الجاهلية ، تتمزّق رابطة أخوة الإيمان ، وتتقطّع حبالها ، وتحلّ عراها ، ويقع المسلمون في شتات وتمزّق وهوان ، كما هم الآن ! فهل مثل هذه الدعوات هي من باب "التكتيك " أم من باب الانحراف عن دين الله وشرعه ونهجه وثوابته ، يطلقها دعاةٌ لهم جمهورهم فيُضلوا بذلك جمهورَهم الذي اعتاد أن يتلقّى كلَّ شيء منهم ، وليس من منهاج الله ! إنه إثم كبير !

إن الهدف الرباني الأول في الإسلام ، في الدعوة الإسلامية ، هو تبليغ رسالة الله كما أُنزلت على محمد ﷺ دون أي تحريف أو تبديل أو نقص أو زيادة :

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة: ٦٧]

إنه أمر من عند الله ، وإن التبليغ هو لكلام الله ، فلا يحلُّ إلا أن يُبلَّغ كما هو . هذا من حيث التبليغ ، ولكن هنالك أمر آخر وهو الالتزام . وأساس عمل الداعية المسلم هو البلاغ الحق والالتزام الحق ، حتى يسمع الناس كلام الله ثم يرونه في الداعية والدعاة جليّاً في الممارسة والالتزام والنصح . فإذا دخل " **التكتيك** " على الصورة التي عرضنا نماذج قليلة منه ، فإنه يُفسد التبليغ ، ويُفسد الالتزام ، وتضيع النصيحة بين الناس ، ويغلب المكر ، ثم التورط في الكذب والافتراء ، والتشهير والتجريح ، والظلم والاعتداء ، وممارسات غير إيمانيّة باسم الإسلام وتحت شعار الإسلام ، فيكون هؤلاء المسلمون هم أول من يَصدّ عن سبيل الله ، ويفسد الدعوة والبلاغ والالتزام .

جماعة إسلامية كبيرة في تركيا يعلن رئيسها : " **لا تقولوا عنا إسلاميين ، نحن علمانيون** " ! وتتوالى التصريحات بأنهم سيحمون العلمانية في تركيا ويدافعون عنها . فهل هذا الموقف من التكتيك ؟! وكذلك عندما يذهب أربكان ومعه جماعته إلى قبر " أتاتورك " ويضعون إكليلاً من الزهور على قبره ثم يعلنون أنهم يؤمنون بالعلمانية التي دعا إليها مصطفى كمال أتاتورك ! مواقف محيّرة ! فإن كانوا صادقين فيما قالوا ويعنونه كما أعلنوه ويؤمنون به ، فيكونون بذلك قد كفروا وخرجوا عن الإسلام ولو صلُّوا وصاموا ووضعت نساؤهم قطعة القماش على الرأس لتكون هي الحجاب الشرعي في مفهومهم ، مع وجود الزينة المكشوفة على الوجه وفي اللباس الذي يكشف بعض زينة الجسم . ذلك لأن الإسلام والعلمانية نهجان مختلفان كل الاختلاف ولا لقاء بينهما أبداً :

**نهجان قد ميّز الرحمن بينهما		نهجُ الضلال ونهج الحق والرشد**

**لا يجمع الله نهج المؤمنين على		نهج الفساد ولا صدقاً على فندِ**

أما إن كان ما يعلنونه **تكتيكاً** ، ولا يؤمنون بما يقولون ، فيكون قد اتبعوا مبدأ " **الغاية تسوّغ الوسيلة** " ، مبدأ لا يتفق مع الإسلام أَبداً ، وتكتيك باطل لا ينسجم مع ثوابت الإسلام ، ولا يُرجى من ذلك خيرَ بأي ميزان عدل يوزن به .

ونلاحظ من خلال نظرة عامة شاملة إلى واقع العمل الإسلامي أن هناك اتجاهاً عاماً جديداً إلى ما يسمى حيناً " **الاعتدال** " أو " **الوسطية** " . فالإسلام هو الاعتدال الحق حين يُمارسَ بتكامله دون انحراف أو تنازل ، وهو الوسطية . فالقرآن الكريم ينهى عن الغلوّ ، والسنة تنهى عن الغلوّ ، ولكن عدم الغلوّ شيء والانحراف شيء آخر .

وهذه الظاهرة نلمسها في مواقع عديدة من الفضائيات والصحافة وبعض الدعاة وحيناً يتم الانحراف من خلال الدعوة إلى مقاومة الإرهاب ، وهذه وتلك تمثِّل نموذجاً آخر من " **التكتيك** " الذي يهبط فيها المسلم إلى تنازلات وانحرافات وتشويه .

إن الإسلام هو خير وسيلة لمقاومة الإرهاب المعتدي والظالم ، وإنَّ صدق الدعوة الإسلامية ، وصدق التزامها بالكتاب والسنَّة على أساس من الإيمان الصافي والعلم الصادق خير وسيلة لمنع الإرهاب الظالم المعتدي ، وخير وسيلة لإيقاف الغلوّ ، وخير وسيلة لتأمين حقوق أهل الكتاب العادلة كما يبيّنها الله سبحانه وتعالى ، وخير وسيلة لحماية المرأة في بيتها وفي مجتمعها وللوفاء بحقوقها كما شرعها الله سبحانه وتعالى . إن تطبيق الإسلام كما أُنزل على محمد ﷺ خير وسيلة لتقارب الشعوب ، ولتوفير العلاقات الإنسانية الكريمة ، بعيدة عن الاستغلال والعدوان والظلم ، وذلك خير وسيلة لحماية المجتمع من الجرائم والفتن والفساد في الأرض .

هذا هو التاريخ أمامكم بكل ما فيه من عبر وعظات ودروس ، فأول ما نتعلمه منه أن الإسلام والإسلام وحده هو الذي يوفّر الضوابط والكوابح لشهوات النفوس أو يجعل من الإنسان المؤمن إنساناً حقّاً ، يعمل الخير ويتجنب الشرّ على ميزان ربّانيّ أمين ، أساس ذلك إيمانه الصادق بالله واليوم الآخر ، وخشيته من عذاب الله . ولا يتمّ هذا إلا بالدعوة الإسلامية الواضحة الصريحة التي تبلّغ رسالة الله إلى الناس كافّة كما أُنزلَتْ على محمد ﷺ وتتعهَّدهم عليها تعهّداً أميناً وافياً يوفي بالعهد مع الله والأمانَة التي حملها الإنسان أو يوفي بحق الخلافة التي جُعلت للإنسان على الأرض ، والعمارة التي أمر بها .

إنّ هذا التصور ، وهذا الالتزام ، ينفي ويلغي كلَّ " **تكتيك** " بشري تكون أهدافه بشرية ووسائله بشريّة ! ولو اتبع الناس هذا " **التكتيك** " كما أوجزناه لفارقوا نهج الإيمان الحق والصراط المستقيم الذي أمر الله باتباعه . وبذلك يبرز لنا أن التكتيك البشري بالصورة التي عرضناها يمثل نهجاً علمانياً بعيداً عن نهج الإيمان والتوحيد ، فهما نهجان مختلفان كما ذكرنا .

ولكننا نوضح أن النهج الإيماني الرباني الملتزم بالكتاب والسنة يلتزم " **نهج التفكير الإيماني** " ، ويلتزم الوسائل الإيمانية ، ويقيم الخُطّة والتخطيط الإيماني بدلاً من " **التكتيك** " ، ليقوم ذلك أولاً وقبل كل شيء على صدق النيّة وإخلاصها لله سبحانه وتعالى عن إيمان وعلم ووعي ومسؤولية ، أمر لا يتوافر في معنى " **التكتيك** " الذي عرضناه . **وإخلاص النيّة لله سبحانه وتعالى يَعني تحديد الهدف الرباني ، والدرب الرباني الذي يوصل إلى الهدف ، والوسائل والأساليب الربانيّة التي تُتَّبع في المسيرة على الصراط المستقيم** . وهذا هو أساس التخطيط الإيماني الذي يحتاجه المسلمون في مسيرة العمل الإسلامي كله ، ليمضي الجميع أمة واحدة على درب واحد هو الصراط المستقيم إلى أهداف ربانية واحدة مع وسائل وأساليب ربانيّة ، كل ذلك ينبع وينطلق من أسس الإيمان والتوحيد ، ومن منهاج الله ـ **قرآناً وسنة ولغة عربية** ـ ، ومن مدرسة النبوة الخاتمة ، ومن دراسات تفصيلية للواقع بعد ردّه إلى منهاج الله .

إن هذا التصور النابع من منهاج الله ، قد لا يوافق أهواء المجرمين في الأرض . فالاعتدال عندهم هو الاستسلام لعدوانهم وظلمهم وجرائمهم . والحرّية عندهم هي حرّية متفلتة من حيث الأهواء والفساد ، وخاضعة للسلطة خارج ذلك ، كما قال بوش جملته الخالدة التي نسفت كل معاني الحرّية ومزاعم الديمقراطية : " **إما أن تكون معنا أو أنت ضدنا** " !

ولا ننسى كلمة نيكسون : " **في الشرق عاصفة إسلامية لا نستطيع أن نصطدم معها أو نواجهها ، ولكننا نستطيع تغيير اتجاهها** " . ولكن تغيير الاتجاه الذي يريدونه إلى أين ؟! ويوضّح هذا التغيير الذي يريدونه بقوله : " إن المسلمين المعتدلين هم حصتنا في العالم الإسلامي ، هم بحاجة إلينا ونحن بحاجة إليهم . هم بحاجة إلينا لنقدّم لهم فكراً جديداً " **ديناً جديداً** " بدلاً من فكر الأُصوليين "**ودينهم**" ، وسندعمهم بالمال والفكر والإعلام ! " .

ونخشى أن نكون اليوم نمرّ بمرحلة تهبّ فيها ريح هذا " **الاعتدال** " على العالم الإسلامي ، أو الانحراف والتنازل ، بصورة أوضح ! وتكون هذه الحقيقة تحمل تفسير كثير من الأحداث والمواقف والآراء في العالم الإسلامي ، حيث تلتقي هذه الأفكار عند من هم في أوروبا أو أمريكا أو في بلدان متعددّة في العالم الإسلامي !

أيها المسلمون ! اتركوا " **التكتيك** " والزموا منهاج الله وادعوا إليه بوضوح دون تبديل ولا تحريف ، لتجدوا فيه كلّ ما يتمنّاه الناس من عدالة وحرية وإنسانية ومساواة ، على ميزان رباني أمين ، لن يجد الناس أبداً أيَّ نهج أصدق ولا أيَّ ميزان أعدل . أخشى أن نضيع بين التكتيك والاعتدال والوسطية والتسامح !

أيها المسلمون تمسّكوا بمنهاج الله وادعوا إليه ينصركم الله ما صدقتم :

﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾

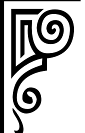
[الأعراف: ١٧٠]

إن العالم اليوم يعيش كلُّه في فتن ومآس وفواجع ، حتى البلاد الغربيّة التي لم تدخلها الحروب وويلاتها حتى الآن ، فإنها تعجّ بفتن من شتى الألوان من الفساد والجريمة والخوف والهلع من المستقبل ، مما يتوقّعونه ومما لا يتوقعونه . ولكن ابتلاء الله متوقع في أيِّ لحظة ، وعذابه يقترب مع ازدياد الفواحش والظلم والعدوان .

فالعالم كله اليوم بحاجة إلى الإسلام ، إلى الدعوة الإسلامية ، جريئة واضحة صادقة ملتزمة ، عسى أن يمن الله برحمته على البشرية بنعمة الإيمان ، حتى تُكْبَح الأهواء ، وتخشع القلوب إلى ربها وخالقها الله الذي لا إله إلا هو !

إنها مسؤولية المسلمين التي سيحاسَبون عليها بين يدي الله يوم القيامة ، فانهضوا أيها المسلمون إلى تبليغ رسالة الله لينجو من كتب الله له النجاة ، ولتنجوا أنتم أيها المسلمون إذا صدق التزامكم بمنهاج الله وصدق تبليغكم رسالة الله إلى الناس كافة ، وإلاّ ستتحملون وزرَكُمْ ووزر من لم تبلّغوه !

وكلمة أخيرة : يستخدم بعض المسلمين " **التكتيك** " ضد مسلمين آخرين ، ولكن لا يستخدمونه ضد أعدائهم . براعة هؤلاء المسلمين تظهر في كيد بعضهم لبعض ، ليتهم يحوّلون ذلك إلى أعدائهم . وليتهم يُسمُّونه خطة ونهجاً إيمانياً واعياً .


الباب الثالث

من نحن وإلى أين نسير؟!

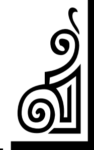
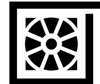
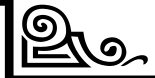
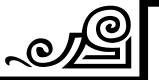
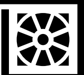
الفصل الأول : أين المعركة وأين ساحة الجهاد في فلسطين ؟! وماذا يجري في فلسطين ؟!

الفصل الثاني : من نحن وماذا نريد وإلى أين المسير ؟!

الفصل الثالث : إلى أين تسير قضية فلسطين الآن هل هذا هو الفصل الأخير ؟!

الفصل الرابع : من تاريخ فلسطين أحداث رئيسة .

الفصل الخامس : من نحن ؟! نحن الدعاة إلى لقاء المؤمنين

الفصل الأول

أيـن المعـركـة ؟!

أين ساحة الجهاد ؟! وماذا يجري في فلسطين ؟!

طالعتنا جميع وسائل الإعلام بالوضع المتردّي في فلسطين في شهري جمادى الأولى والثانية من عام ١٤٢٨هـ ، الموافق يونيو حزيران ٢٠٠٧م ، حيث تحوّل الخصام بين فتح وحماس إلى معركة بالسلاح ، ارتكبت فيها جرائم حقيقية من الطرفين ، أفزعت الكثيرين ، وفاجأت الكثيرين ، ودفعت باليأس إلى نفوس كثيرة ، وأرجعت قضيّة فلسطين إلى الوراء كثيراً ، أكثر مما هي عليه .

لا أشك أبداً أن ما يجري على الساحة الفلسطينية هو جزء مكمّل لما يجري على الساحة الإسلامية في الصومال والسودان (دارفور) ولبنان والعراق وأفغانستان . الذي أشعل الساحة هنا هو الذي أشعلها هناك . إنهم هم الذين لا يطلقون شعارات وصيحات ، ولكن يمكرون ويخطّطون وينفذون بهدوء وروية ، ليصلوا إلى أهوائهم . إنهم القوى الكبيرة التي تمكّنت من العالم الإسلامي تمكناً أتاح لها الفرصة لتوجّه الأحداث . وليكون أبناء الساحة ظاهرياً هم الذين يديرون الأحداث . أيد خفيّة تفعل ذلك وتدفع الأمور إلى مصلحتها ، إنهم يديرون الأحداث والسّلاح والأشخاص والإمكانات !

لقد سبق أن كتبت وأعلنت في مقالات سابقة وفي بعض كتبي ودراساتي أن العالم الغربيَّ ، إن لم يكن كله فمعظمه ، يخطّط منذ زمن بعيد لتدمير العالم الإسلامي بأيديهم وأيدي مواليهم من المسلمين على مراحل وخطوات عرضت معظمها في دراسات سابقة ، وظهر كثير من ملامحها في الواقع !

وتأتي جميع الأحداث اليوم في العالم الإسلامي لتؤيد هذه النظرة وتؤكّدها . ومن ناحية أخرى فإن العالم الإسلامي كله لم يتخذ خطوات جادة لصدّ هذا العدوان ولحماية الإسلام والمسلمين ، بل غرق العالم الإسلامي في فتن كثيرة ودعوات كثيرة وانحرافات كثيرة .

إن السلاح الذي يستخدمه بعض المسلمين ، على بساطته ، هو من عند أعداء الإسلام ، لأن المسلمين لم يصنَعُوا سلاحهم ، ولا أعدوا عدتهم .

من أين يأتي السلاح لهؤلاء أو هؤلاء ؟! من أين يأتي المال الوفير ؟! خلال الحصار على قطاع غزة تضرر الشعب الفلسطيني كثيراً ، باستثناء أفراد الجماعات الذين تصلهم رواتبهم بصورة متواصلة .

هل نحْن نضع أهدافنا للمعركة ؟! كلاّ ! إنا نضع شعارات الأهداف ، ثم ننطلق بالشعارات تدوّي بها وسائل الإعلام ، ونسير بها ، وإذا الأهداف غير الأهداف والاتجاه غير الاتجاه ، والمعركة غير المعركة ، ولكن الشعارات هي الشعارات ! تحقيق الشعارات يقتضي السير مثلاً بهذا الاتجاه ، وبعد سنين وبعد فوات الوقت يُكتشف أنَّ السير كان في الاتجاه المعاكس ، حتى يضطروا إلى أن يُغَيِّروا شعاراتهم .

لا يُعقل أبداً أن مسلمين مؤمنين ، أو وطنيين صادقين ، يمكن أن يخططوا إلى هذه المعركة في أرض غزة ، في أرض فلسطين على هذا النحو الجنوني . إنها معركة اندفعت إليها حماسة العواطف الجاهلية ، والأحقاد المتوارثة التي كانت مخفية ، ثم استطاع الأعداء أن يستغلّوها ، ويرتِّبوا الأمور حتى تتفجرّ هذه الأحقاد . ولكننا نحن المسلمين والعرب والوطنيين استجبنا لترتيبهم ولإدارتهم ، فكانت مسؤوليتنا لا تقل عن مسؤولياتهم . كيف يقبل العقل أن المنتسبين إلى الإسلام أصبحوا يقاتل بعضهم بعضاً في الصومال ودار فور وفلسطين والعراق وأفغانستان ولبنان ، وساحات أخرى قد تتضح على ضوء المخطط الذي يمكر به أعداء الله ، ويستجيب له بعض المنتسبين إلى الإسلام .

كل المسلمين يقولون إن فلسطين قضية إسلامية ! ولكن وُجِّهت الأحداثُ مرحلةً مرحلة ، **حتى أصبحت قضية عربية ، وكان هذا هو الخطأ القاتل الأول حين عُزل عن القضية جزء كبير من أصحابها** ، ثمَّ أصبحتْ قضيةَ الفلسطينيين وحدهم ، وقَبِل الفلسطينيون هذا الوضع ، وبقى الشعار هو الشعار "

فلسطين مسؤولية المسلمين " ! وكان هذا ثاني خطأ قاتل في مسيرة القضية ، حيث عزل معظم أصحاب القضية عنها . وأصبحت مسؤوليتهم شعاراً لا رصيد له .

المهم انتقلت القضية بتلك المسيرة نقلة كبيرة إلى الوراء بما حملت من تنازلات بعد تنازلات . ثمَّ طُرِحَ أمامها فكرة الدولة الفلسطينية ، أُلْقيت لتُشْغلَ الفلسطينيين والعرب والمسلمين بها ، دون توافر النيّة والعزيمة لدى الَغرب أَوَ إسرائيل على تحقيقها . دولة خالية من كل أسباب الدولة أو أسباب الحياة ، إلا أن تكون خاضعة خضوعاً كاملاً لإسرائيل والدول الكبرى . الماء والكهرباء والعمل والرواتب والمال ، كل ذلك غير متوافر لدى هذه الدولة المزعومة ، ولكنها تحصل عليها كلها من إسرائيل ، فما هي هذه الدولة المهزلة المسخ . أَعلى هذه الدولة الميّتة يتقاتل الفلسطينيون ويقتل بعضهم بعضاً ؟! **وكانت فكرة الدولة الفلسطينية هي الانحراف الثالث الكبير في مسيرة القضية الفلسطينية** . ووعد " بوش " بتنفيذها سنة (٢٠٠٥م) ، ومنذ أن أعلن وعده بذلك ، عُرف أنه كذَّاب ، ولكننا خُدعنا بوعده ، كما خُدِعَ المسلمون بوعود الإنكليز والغرب مع الحرب العالمية الأوَلى . وحُصرت الجهود بعد ذلك ووجّهت كلها إلى الدولة الفلسطينية ، نسي الجميع قضية فلَسطين وتحريرها . وجاءت الأحداث تبعدنا كل يوم عن هذه الدولة المزعومة وعن القضية كلها ، وتأكل كل جهودنا في صراع عنيف من أجل تحقيقها . ومع كل جهد نصبح أبعد عن تحقيقها ، دون أن يفطن أحد إلى هذه الخدعة الكبيرة واللعبة الماكرة .

كانت منظمة التحرير وحدها المتورّطة في هذه اللعبة الماكرة ، على أن تتولى قضية المفاوضات مع إسرائيل والدول الكبرى لقيام الدولة المزعومة ، ولإحلال السلام بين الطرفين . ووضح من مجريات الأحداث أنه لا إسرائيل ولا الغرب جاد بإقامة دولة فلسطينية . بل أصبحت تفتعل أحداثاً بعد أحداث لتعطيل هذا المشروع الذي لا نستطيع نحن إقامته ، ونريد من أعدائنا أن يقيموه لنا . ولما انتهت

لدى إسرائيل وسائل تعطيل قيام الدولة الفلسطينية ، وكادت تنتهي وسائل إلهائنا وإشغالنا ، سعوا إلى فكرة ماكرة شيطانية لمتابعة إشغالنا عن قضايانا ولتأخير أو تعطيل مشروع الدولة المهزلة . وذلك بإشعال نار الفتنة بين الفلسطينيين أنفسهم ، ليقاتل بعضهم بعضاً . ولقد خططوا لذلك ونجحوا فيه نجاحاً كبيراً .

فجاء دور الانتخابات ! وتابعت أمريكا والدول الغربية وإسرائيل تنفيذ مخططاتهم بهدوء وروية وحساب ، فبيدهم إمكانات كثيرة جداً ، ظاهرة وخفيّة ، تساعدهم على التحكم بالأحداث . وأَحضروا إلى الانتخابات آلافاً من المراقبين الأجانب (الأمناء) ليشرفوا على الانتخابات ويضمنوا نزاهتها ، فنحن ، كما يبدو ، لسنا (أمناء) ولا نستطيع أن نضمن نزاهتها .

وكانت حماس في ساحة المقاومة ، الساحة التي أكسبتها شعبية جيدة ! ثم جاءت وأَقبلت على الانتخابات بصورة مفاجئة لكثيرين من الناس ، دون أن يكون هنالك أيُّ مسوّغ لأن تترك حماس ساحة المقاومة وتدخل في حلبة الانتخابات . فهل حسبت نتائج هذه الخطوة ، ونتائج مشاركتها في الحكومة الفلسطينية والمشكلات المحلية والدولية القائمة آنذاك ؟!

لقد **كان دخول حماس في الانتخابات هو الخطأ الرابع الخطير** في مسيرة القضية الفلسطينية . وكان أهم أخطاء هذا الموقف أن أصبح هناك اتجاهان مختلفان غير قادرين على تنفيذ شعارات تحرير فلسطين من النهر إلى البحر أو إلقاء إسرائيل في البحر . فبدأت التنازلات وتصريحات المناورة والتكتيك ، في مَواقفَ متضاربة لا يملك أيٌّ من الاتجاهين تحقيق شعار تحرير فلسطين كاملة . فما هما هذان الاتجاهان ؟!

الأول اتجاه منظمة التحرير التي سارت على نهجها طويلاً ، وبذلت كثيراً حتى أدركت أنها لا تستطيع أن تلقي إسرائيل في البحر ، ولا أن تدخل المعركة مباشرةً مع إسرائيل لتحرير فلسطين ، لأنها لا تملك القدرة على دخول هذه المعركة . وهذا

الموقف أعلتنه الدول العربيّة بشكل واضح وصريح رسمي . لقد أصبح الموقف الرسمي المعلن هو السعي إلى الحوار مع إسرائيل لإحلال السلام بينها وبين الدول العربيّة . وأصبحت منظمة التحرير تقود هذا الاتجاه بوضوح وإعلان صريح . وأصبح هذا الاتجاه يمثل قناعة لدى منظمة التحرير والدول العربية والشعوب صامتة لا تبدي اعتراضاً ولا تملك قوّة لتنفيذ التحرير ! وخلال مسيرة المنظمة بشعاراتها الثورية **لم يسأل أحد أبداً المنظمة ما هي الخطة التي وضعوها لتحقيق الشعار الثوري المعلن ؟!** ولكن تبيّن أنه لم يكن هناك نهج ولا خطة إلا الشعارات ! وسرعان ما تغيّرت الشعارات !

الثاني هو اتجاه حماس الذي أعلن أن هدفه هو تحرير فلسطين من النهر إلى البحر . وقامت حماس سنة ١٩٨٦م على هذا الأساس ، ولكن لم تأت نهاية القرن العشرين ، مع سنة ١٩٩٩م حتى أدركت حماس بشكل يقيني أنه لا سبيل لتحقيق هذا التحرير . فبدأت المطالبة بتحرير **(الأرض المحتلة)** سنة ١٩٦٧م . وأصبح هذا شعار الفصائل كلها ، وأصبح الجميع ينادون بهذا التحرير وبالموافقة على قيام " **دولة فلسطينية** " حتى حدود ١٩٦٧م ، وعاصمتها القدس . وتبنّى الجميع هذا الشعار ، شعار منظمة التحرير ونهجها وخطتها ! وتبنّى الجميع الديمقراطية . وحماس كانت من أهم المؤيدين لمنظمة التحرير ولفتح كما سبق أن ذكرنا . ونعتبر أن هذا التراجع أو التنازل من حماس لم يكن له مسوغ مادامت المقاومة هي نهجها وخطها . إلا أن هذا الموقف الجديد ، أصبح شعاراً يوحى بتغير الاتجاه من عدم المشاركة السياسية ، بل يوحي بأنها خطوة أولى على طريق الانغماس السياسي . وأصبحت التصريحات العلنية والاتفاقات السرّية التي أُعْلِنَ عنها تحمل صوراً متضاربة غير مستقرّة على نهج غير ثابت ولا مستقرّ ، يدفَع الأحداث بصورة متسارعة ! **ولم يظهر أحد يسأل حماساً ما هي الخطة أو النهج الذي وضعتموه من أجل تحقيق شعاراتكم !** ولما سألت أحدهم قال :

والله نحن ماضون على البركة ؟! وتبين كذلك أنه لم يكن هناك نهج ولا خطة إلا الشعارات وسرعان ما تغيّرت الشعارات !

ولما دخلت حماس الانتخابات ، مخالفين خططهم الرئيس ومخالفين النصائح الكثيرة التي وُجِّهت لهم ، كان أول نتائج ذلك بدء الصدام العملي مع حركة فتح في صراع شديد على دولة ميّتة لا خير فيها أبداً ، ولا تملك أيَّ شيء من مقومات الدولة . ألم يكن أحدٌ يفكّر ليدرك أنهم يتقاتلون على لا شيء !

وأصبحت الديمقراطية شعار الجميع ، تقام لها الاحتفالات والمهرجانات والأعراس . وكذلك أصبحت الديمقراطية شعار كثير من الحركات الإسلامية والدعاة المسلمين . واختلطت الشعارات والمناهج . وأصبحوا بذلك منسجمين مع كثير من الدعاة المسلمين .

وبدأ الصراع بين فتح وحماس يأخذ صوراً متعدّدة ، ويتسابق كل فريق على المهارة في صياغة التصريحات وإدارة المناورات . ووضح أن الدولة الفلسطينية التي ألفّتها حماس وقادتها غير قادرة على مجابهة الواقع الدوليّ ومطالبه إلا بتصريحات متضاربة ، واللجوء إلى روسيا وإيران وهنا وهناك ، واستجداء الدعم والعون . فأين وجدته ؟ ومن أصبح يملك زمام أمرها ؟!

وكانت المشكلة الكبرى أمام حماس هي كيف توافق بين دخول الحكومة من ناحية ومواجهة المتطلبات الدولية والداخلية وبين الإعلان بين حين وآخر عن عدم الاعتراف بإسرائيل ، مما كوّن عقدة كبيرة أحرجت الكثيرين منهمً . ولكن الصراع بين فتح وحماس كان يتزايد ، وكانت المناورات تتصاعد ، في أجواء تُشْحَن بالتحدّيات ، حتى وقعت الواقعة ، ووقع الصراع الأخير الذي لم يكن في مصلحة أيٍّ من الطرفين ، والذي كانت القوى السياسية المؤثرة توجهه وتغذيه ! والفلسطينيون جميعهم يستسلمون له تحت ادعاءات كثيرة ! حتى تفجّرت الأحقاد المطويّة في الصدور بصورة جنونيّة غير مقبولة أبداً ، وكأنه تنفيس عن التناقضات الخطيرة في الساحة ، والإحراج الكبير الذي يجده بعضهم أمام الواقع الدولي والداخلي .

سارت الأمور على هذا النحو : ظاهر الأمر تعاون ، وفي النفوس أحقاد وعداء كبير ، لابد أن ينفجر في لحظة ما . وساهمت حماس في تغذية الأحقاد بما تنشره من تصريحات عدائية على هذا وذاك من فتح ، ولم تبخل فتح بتصريحات مماثلة عدائية مستفزة ، ولم يبخل الإعلام بنشر هذا وذاك . وخلال ذلك كنت ترى الجميع صامتاً ، حتى كان اتفاق مكة ، فهدّأ الأوضاع حيناً ، ولكن اتفاق مكة لا يستطيع أن يغسل ما في القلوب من أحقاد تنمو مع الأيام . وظلّت التصريحات تتوالى من هذا الطرف ومن ذاك ، كلٌّ يتَّهم الآخر بالعمالة والخيانة .

ولما دار الصراع الأخير الذي استمرّ أكثر من سبعة أيام وقع فيه من القتلى بحدود (١٢٠) والجرحى أكثر من (٤٨٠) . قتال عنيف ، ورصاص يُلَعْلِعُ في الشوارع ، والمحلات التجارية والمدارس والدوائر أُغلقت . ولم يبق إلا المسلّحون يجولون يقتلون من هنا ومن هناك . إنها معركة بكلّ ما في الكلمة من معنى ! مَنْ خطط لهذه المعركة ، ومَنْ أعدَّ لها السلاح والنفوس ؟! ومَنْ حدّد موعدها ؟!

هُزِمَتْ فتح في غزة ، وذاقت مرارة الهزيمة للمرة الثانية ، فزادت النفوس اشتعالاً ! والإعلام منه ما شجب ذلك كله وبيّن آثاره الخطيرة ، ومنه ما تبنّى هذا الطرف أو ذاك ، يعلن شعاراته ويغذي موقفه بأسلوب مباشر وغير مباشر ، ويُغذِّي المعركة ويزيد اشتعالها .

ولا شك أن هذه المعركة كانت عرساً كبيراً لإسرائيل ، قدم لها العرس فرحتين في وقت واحد . أولاً أن ترى نجاح تخطيطها ، وثانياً : أن أُشْغل الفلسطينيون بصراعهم وقتالهم وجراحهم ! فافرحوا أيها اليهود ! وابكوا أيها المسلمون !

المؤلم أنك لم تكن ترى في أجواء هذه المعركة أيّ خُلُق إسلامي ، أو أيَّ تراحم ، أو أيَّ وطنيّة ، أو أي مظهر من مظاهر الشعارات التي دوّت طويلاً ! لا ترى مبادئ الإسلام تتحقّق ولا شعارات العصبية الفلسطينية . ولا شعار " **الدم الفلسطيني حرام** " ! طاشت الرؤوس فداسوا جميع القيم والشعارات !

يقتل المسلمُ المسلمَ كأنه يقتل اليهودي أو الكافر ، أبرياء من الشعب ذهبوا في هذه المعركة قتلى ، وربما ظلّت الجثث في الشوارع . ودوّت المآذن تنذر من يخرج من بيته : الزموا بيوتكم ، من لزم بيته فهو آمن ! ونسيَ الجميعُ هول الموقف والحساب بين يدي الله !

هذا يُذبح على الهوية ، وذاك يذبح على الشكل ، وطاشت العقول وارتكبت جرائم مروّعة لا يغفرها الدعوة إلى الصلح ! وأي صلح !

وقامت فتح في الضفة حيث حقَّقت هي النصر هناك ، واعتدت على مراكز حماس ، كما اعتدت حماس على مراكز فتح مؤسسات الدولة في غزة . وتفجّر الحقد بين الطرفين . وبعد ذلك كله يخرج من يقول نحن لسنا أعداء إخواننا في فتح ، نحن ندعو إلى حكومة وحدة وطنية ، إلى تعاون ! أي تعاون بعد أن حدث ما حدث ، من قتل ونهب وحرق وتدمير ، وإطلاق الاتهامات بالخيانة ! بعد هذا كله كيف يُدعى إلىٍ التعاوًن . كانً من المفروض أن يتلافى الجميع وقوع ما حدث عسى أن يتمّ التعاون . أو أن تسكت الألسنة عن الاتهامات إن كانوا جادين بالدعوة إلى التعاون ، وكأنَّ هذه الدعوة كانت شعاراً كسائر الشعارات أو تكتيكاً من التكتيكات ! في هذا الموقف العصيب أصدر الرئيس عباس ثلاثة قرارات : إعفاء هنية من رئاسة الحكومة وإلغاء الحكومة ، وفرض حالة الطوارئ ، وتكوين حكومة طوارئ برئاسة سلام فياض . وبذلك رفع الغطاء الرسمي عن حكومة الوحدة ! فحكومة الوحدة أَلغَت نفسها بنفسها ، وغرست في الأرض بدلاً منها أحقاداً تشتعل، وحطمت كلَّ مؤسساتها ، فأي حكومة بقيت ، وأي قانون يسري وأيّ شرعية ؟!

إنها لحظات من الفرح قد يعيشها بعضهم ، ولكنهم سيقفون بعد حين ذاهلين أمام الأخطار والمشكلات والأوضاع والنفوس الجديدة . وكيفية معالجتها ، والحصار على الشعْب قائم ، والكل يتغنّى بالشعب ومصلحته وقد قتلوا الشعب وذهبوا بقضيته إلى أسفل سافلين .

هل سيدركون جميعهم أن ما فعلوه يغضب الله وقد ينزل عقوبته على الجميع . استباحوا الدماء والأموال ! هل سيشعرون جميعهم بالندم ، وهل يتوبون جميعهم إلى الله ؟!

الجامعة العربية تدعو إلى عودة الأوضاع إلى طبيعتها ! عجباً أن تطلبوا هذا الطلب ! من يداوي الجراح والأيتام والثكالى ، من يزيل الحسرات من القلوب ، من يعالج الأنات ، من يغسل الأحقاد التي غُرِستْ بمكر وكيد ؟! وكيف تكون العودة ؟!

لقد حققت إسرائيل بهدوء وروية تعطيل فكرة الدولة المزعومة المسخ المهزلة ، حتى أصبح هناك من يقول : هؤلاء لا يستحقون دولة . انظروا إلى إسرائيل ، في نفس هذه المرحلة ، أجرت انتخابات وتمَّت أمورها بهدوء . يختلفون ولكن لا تدور بينهم معارك كالتي دارت بين الفلسطينيين .

خسرت حماس كثيراً جداً ، وخسرت فتح كثيراً جداً ، وخسرت قضية فلسطين كثيراً جداً ، وخسرنا كلنا .

يقولون إن تكوين حكومة طوارئ ليس دستورياً ومخالفاً للقانون ! عجباً ! هل بقى هنالك دستور أو قانون ؟! هل تحطيم مؤسسات الدولة كلها وحرقها ونهبها وقتل رجالها قانوني أو دستوري ؟! أين القانون وأين الدستور ؟! يخدعون مَنْ ؟! إنهم يخدعون أنفسهم ! وينشر الإعلام كلَّ ذلك ، وتُنشَر صورُ عباس وعرفات على الأرض يدوسها المقتحمون !

وعجيب أمر جامعة الدول العربية حين كونت لجنة تقصّي الحقائق ، آلآن! بعد أن دُمِّر كل شيء ! أين كان الجميع والفتن يُعَدُّ لها ؟! أين كانوا والفتن بدأت تتفجر ؟! أين كانوا والفتن بلغت ذروتها ؟!

وكذلك أي حقائق يريدون أن يتقصّوها ! كلُّ الحقائق دوّت بها وسائل الإعلام ، من صحف وفضائيات . المشاهد كلها مصوَّرة ، عمليات القتل واحدة

واحدة ، عمليات التدمير والاعتقال والقتل ! كل ذلك مدوّن ومصوّر والحقائق جلية ! ولكن يبقى نوع آخر من الحقائق مخفيّ ! من خطّط لهذه المعركة ومن أشعل فتيلها ومن أدارها من وراء الستار ؟! هذه الحقائق المخفية هي مسؤولية الجامعة العربية أن تكشفها وتعلنها ليُعْلَم كُلُّ دورٍ فيها .

من مآسي واقع المسلمين أن ماتت النصيحة بينهم ! قليلون من ينصحون على استحياء ، وقليلون يقبلون النصح . الأمة كلها بمختلف مستوياتها لم تنصح " حماساً " وقبل ذلك لم ينصح أحد " فتحاً " . وكلٌّ سار باندفاعاته ! ، وذاك أيضاً ! لم يكن هنالك من يكبح النزوات ويوقف الأحقاد ، حتى تصاعدت تصاعداً أورثنا الكارثة .

أكتب هذه الكلمات والمسرحيّة المأساة لم تكتمل ! والجميع ينتظر التطورات ونسأل الله أن يلطف بنا ! ولكن الشتائم والاتهامات المتبادلة متزايدة ، كلٌّ له قناته الفضائية يطلق منها ما يشعل نار الفتنة !

ولكننا في ختام كلمتنا ننصح للجميع بأن يحاسب كلٌّ طرف نفسه قبل أن يحاسب غيره ، على أساس من منهاج الله ، ثم يتوبوا إلى الله ويستغفروه ، ويتوقفوا جميعهم عن النهج الذي يسيرون فيه ، فإنه طريق يدمّر القضية ويدمّر الجميع : ﴿ ... **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴿٣١﴾ ﴾ [النور: ٣١]

فإن الموقف بين يدي الله يوم القيامة شديد رهيب لا تغني فيه حشود ولا سلاح ولا تكتيك ولا أعوان ؟! إلا ما علم الله وما حوته الصدور ، وإلا ما صدقت النيّة فيه وأخلصت لله ربها ، وإلا ما وافق منهاج الله موافقة كاملة .

الواقع اليوم في الدنيا خطيرٌ جداً ، ولكن الموقف يوم القيامة أشدّ وأخطر ، **فتوبوا إلى الله جميعاً أيُّها المؤمنون !**

الفصل الثانـي

من نحـن ؟!

ماذا نريـد ؟! وإلى أين نسير ؟!

إن قضايا المسلمين اليوم تشعّبت وامتدّت في الأرض : في فلسطين ، العراق ، السودان ، أفغانستان ، الصومال ، الفلبين ، الشيشان ، الهند ، باكستان ، تركيا ، تونس ، الجزائر ، وسائر أقطار العالم الإسلامي ، والعالم الغربي حيث يقيم عدد غير قليل من المسلمين يعانون ما يعاني منه المسلم اليوم حيثما أقام أو رحل .

ومع هذا الامتداد يلقى المسلمون المذلة والهوان ، والهزائم والشتات ، وهم يبذلون ويجاهدون ويدفعون ، على تفرّق حال وتمزّق صف .

ومن أخطر هذه القضايا قضية فلسطين وفيها المسجد الأقصى ، وفيها تاريخ الإسلام العظيم منذ أقدم العصور ، منذ أيام إبراهيم عليه السلام وقبله .

ومن خلال نظرة سريعة على أحوال المسلمين في ديارهم وخارج ديارهم تبرز أسئلة مهمة : من نحن ؟ ما هويتنا ؟! وما هي رسالتنا في الحياة الدنيا ؟! ماذا نريد ؟! وإلى أين نسير ؟! لقد فقدنا السيطرة على قضايانا وتفلتت من أيدينا ! وتبدَّلت شعاراتنا على تنازلٍ أو استسلام !

لقد مضى على قضية فلسطين أكثر من تسعين عاماً ، ولقد كتبتُ عنها عدداً من الكتب والمقالات والدراسات ، ولكن الأحداث مازالت تتجدّد بالنسبة إلينا نحن المسلمين ، لأنَّنا لسنا الذين يخططون ولا الذين يوجّهون الأحداث . فلدى قوى الغرب نهج مدروس يُحدّد أهدافهم وخطواتهم وأساليبهم التي يتعاملون فيها مع العالم الإسلامي . لهم أهداف ثابتة ، وهم ثابتون عليها ، ولكن الوسائل والأساليب تتغيّر !

ونحن المسلمين ، لا نفكّر ولا نريد أن نفكر ، وقد تجاذبتنا الأحداث حتى بدّلنا

فكرنا وأساليبنا ، فبدلاً من أن نكون نحن الموجِّهين أصبحنا التابعين ، وبدلاً من أن نكون أقوياء أصبحنا ضعفاء .

في بداية الأمر كانت قضية فلسطين قضية إسلامية ، تقع تحت مسؤولية المسلمين جميعاً . ومع هذه المسيرة الطويلة أصبحت قضية فلسطين هي قضية الفلسطينيين وحدهم ، وأصبحنا نحن المسلمين ننتقل من حال إلى حال ، فتارة نحن اشتراكيون نتغنّى بالاشتراكية ، وتارة نحن قوميون ، وتارة علمانيون ، وأخرى ديمقراطيون ، حتى لم يعد لنا هويّة حقيقية نتميّز بها كما كنا سابقاً .

وتغيّرت شعارات قضية فلسطين من شعار تحرير فلسطين ، إلى شعار دولة فلسطينية لا قدرة لها ولا إمكانات ، الكهرباء والماء والبترول من إسرائيل ، والرواتب لموظفي الدولة من الدول الحامية لإسرائيل ، فالدولة في حقيقتها أصبحت في جميع الحالات تحت سيطرة إسرائيل التي تستطيع أن تدخل إلى أيّ مكان في هذه الدولة فتعتقل من تشاء ، وتقتل من تشاء ، وتهدّم ما تريد من البيوت والمنازل ، وتفتك وترتكب كل أنواع الجرائم ، ولا تجد من يوقفها لا محلياً ولا دولياً ! فما هي هذه الدولة التي يتصارع عليها الفلسطينيون ؟!

ومن خلال هذه المراحل فقدنا هيبتنا في قلوب الآخرين ، حتى لم يعودوا يقيمون لنا وزناً ونحن ممزَّقون :

أمّة الحقِّ ! ما دهاك فأصبحـ ـت شظايا تطايرت في النّجاد
كلما رُمْتِ ملتقى كنتِ في السا حةِ أوهى من حفنة من رمادِ[1]

كنا في سالف الزمان مسلمين ، هويّتنا الإسلام ، والإسلام يحكمنا ، وكلمة الله هي العليا ، ثم غيّرنا النشيد وأصبحت أنشودتنا " العروبة " ، والعرب ، وانعزلنا عن العالم الإسلامي كما أراد الغرب ! نريد أن يجمعنا لسان الضاد ، وأن لا يُفَرِّقنا الدين ، وأن بلادنا هي بلاد العرب وحدهم فقط . وهذا هو النشيد الذي كان يردّده كثير من أبناء المسلمين ، كما ذكرناه سابقاً ، ونعيده هنا لأنّه يمثّل أساس ماساتنا :

(١) أبيات من كتاب : " ملحمة الإسلام من فلسطين إلى لقاء المؤمنين " . للمؤلف .

بلاد العرب أوطاني — من الشام لبغدان
ومن نجد إلى يمن — إلى مصرَ فتطوان
فلا حدٌّ يباعدنا — ولا دينٌ يفرقنا
لسان الضاد يجمعنا — بغسانٍ وعدنانِ

زعموا أن الدين يُفرقنا ، وأنهم لذلك يلغون الدين من حياتنا لتجمعنا العروبة ! ولكن لسان الضاد لم يجمعنا ، والحدود التي أقيمت أصبحت تُباعدنا ! أُطْلقَ هذا الشعارُ ، شعار العروبة فتنازل الكثيرون عن دينهم أو عن نصف دينهم ، وهذا وذلك سيّان ، رغبة غربيّة ينفّذها أبناء الإسلام أو المنتسبون إلى الإسلام . ورضي الجميع بذلك أو سكتوا عنه .

سقطت الخلافة الإسلامية لأول مرّة ومُحيت من الأرض ، بعد أن بذل الغرب وأعداء الإسلام جهوداً كبيرة لمدة قرون طويلة وهم يضعون الدراسات والخطط لإسقاط الخلافة وتدمير العالم الإسلامي ، ولأهداف أخرى مازالت مطوية يظهر بعضها ويختفي بعضها . ومُزِّق العالم الإسلامي إلى قطع متناثرة ، وأقيمت الحدود ، ورضيت الشعوب ، وتمّ الأمر بسهولة لم يكن يتوقعها المجرمون ! ودار الصراع بين المسلمين أنفسهم !

وحلّت بنا النكبات : هزائم ، وسقوط الديار ، ومجازر ، ودماء تتدفق ، وأشلاء تتطاير ، فنادَوا العروبة فما أنقذت ، ونادَوا الاشتراكية ، والعلمانية والديمقراطية ، فما أنقذت ! ونادوا أمريكا . وأوروبا وروسيا فما أنقذوا ، ولكن أجرموا وغدروا ومزَّقوا ! ونادَوا مجلسَ الأمن وهيئة الأمم المتحدة ، نادوا جميع الأوثان فما استجاب لهم وثن واحد !

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٤]

طُوفوا على الدنيا فما من مسعف		أبداً لأيدي عاجز متسوِّل
نادُوا "العروبَةَ" كي تُغيث! فمن يُجيـ		ـب؟! سوى دَعيٍّ خابَ أو مُتَنَصَّل
صَرَخُوا ونَادَوْا يا شُعُوبُ تكلَّمي		يا مَجْلسَ الأَمْنِ العَزيز فأَقْبلِ
يا دَارَ أَوْروبَّا حَنانَك ! أَشْفقي		يا دارَ أَمْريكا أَطلّي واعْجَلي
يا رُوسيا ! هلاّ نظرتُمْ حالَنا		شعباً يُذبَّحُ بالمدَى والمقْصَلِ
إن لم تَقُمْ في الأرضِ أُمَّةُ أحمدٍ		خَابَ الرَّجاءُ وضَاعَ كُلُّ مُؤَمَّلِ (١)

* * *

واليوم نرى المنتسبين إلى الإسلام نماذج كثيرة متعددة .

فئة تركت الإسلام وتبنّت العلمانية وصرّحت بذلك !

فئة أعلنت كفرها إعلانا صريحاً مدويّاً ، أو إعلاناً ملتوياً !

فئة رفعت شعار الإسلام دون أن تلتزمه ودون أن تحكمه في قضاياها .

فئة رفعت شعار الإسلام والتزمته على ضعف وقلة إمكانات !

ولكن عمّ بين المسلمين شعارات تغيّرت من زمن إلى زمن ، دوّى جميع المسلمين بها إلا من رحم ربك : شعار الاشتراكية ، شعار الديمقراطية ، شعار العلمانية ، شعار القومية ، شعار الوطنية !

ألقى الغرب بيننا جميع الشعارات والدعوات المزخرفة لنتوزّع بينها ونتصارع عليها ، ويهلك بعضنا بعضاً من أجلها !

وسرعان ما يلهث بعض المسلمين وراء كل " صرعة " جديدة يطلع بها الغرب ، حتى إذا بدّل الغرب صرعته يسرع هؤلاء فيبدّلون ، ذلك كله لضعف الإيمان واضطرابه في النفوس التي فُتنت عن دينها :

---

(١) أبيات من كتاب : " ملحمة الإسلام من فلسطين إلى لقاء المؤمنين " . للمؤلف .

﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٣]

﴿ .... وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ: ١٣]

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٦]

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [الشعراء: ٨، ٦٧، ١٠٣ ، ١٢١، ١٣٩، ..]

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال : " **لَتَتبِعُنَّ سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر ، أو ذراعاً بذراع ، حتى لو سلكوا جحر ضبٍّ لسلكتموه . قالوا : اليهود والنصارى ؟! قال : فمن ؟!** " (١)

إن رسالتنا الحقيقية هي الإسلام ، دين الله الذي لا يقبل الله من أحد سواه ، فما بال بعض المسلمين يتحلّلون من الإسلام ، يرفعون شعار الإسلام ولا يلتزمون الإسلام ، وتذهب القلوب بهواها هنا وهناك ، يتَّبعون وثناً بعد وثن ، فتمزّقت الأمة فرقاً شتى ، وأحزاباً شتى ، وأهواءً شتى ! وتنافرت القلوب ، وتمزّقت العزائم ، وتباعدت الأهواء ! وأخذ يصارع بعضنا بعضاً ! فمن نحن اليوم ؟! ما هي هويتنا ؟! ما هي رسالتنا في الحياة ؟! وماذا نريد ؟! وإلى أين نسير ؟!

فعن ثوبان رضي الله عنه قال : " قال رسول الله ﷺ : **إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوِيَ لي منها . وأُعْطِيتُ الكنزين الأحمر والأصفر . وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسَنَة عامة وأن لا يسلط عليهم عدوّا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم . وإن ربي قال لي : إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد ، وإني أعطيت لأمتك أن لا أهلكهم بِسَنَة عامة ، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها ، أو قال : مَن بين أقطارها ، حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً . وإنما أخاف على أمتي**

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته (رقم :٥٠٦٣) . أحمد : الفتح : ٤/ ٢٧٩ ، الترمذي : (٢١٧٦) .

الأئمة المضلينَ ، وإذا وضع في أمتي السيف لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة ، ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين ، حتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان . وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون ، كلهم يزعم أنه نبيّ ، وأنا خاتم النبيين لا نبيّ بعدي ، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين ، لا يضرّهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله "

[أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه][1]

فبهذا الواقع كيف يمكن أن نخوض معركة مع اليهود أو مع أمريكا ، أو مع الغرب ، أو مع أعداء الله ؟! إن جهودنا يُصرف معظمها في صراعاتنا الداخلية ، حتى استهلكت هذه الصراعات قوانا ، وحطمت أسلحتنا ، وصرفتنا عن أيّ إعداد جادّ للقوة المطلوبة ، القوة التي أمرنا الله بإعدادها وما أعددناها !

انظر إلى أيّ بلد منتسب إلى الإسلام لترى المصالح المادية الدنيوية تتصارع ، والأهواء الهائجة تتصارع ، لتستهلك قواه ، فيُشغل بها عن قضاياه الحقيقية ورسالته في الحياة .

ويظل السؤال الذي يجب أن يثار في وسط هذا العجاج : من نحن ؟! وما هي هويتنا ؟! وما هي رسالتنا ؟! وإلى أين نسير ؟! وماذا نريد ؟!

هل نريد أن نتقدّم إلى العالم على أساس أننا " عرب " فقط ؟! وإلى ماذا نريد أن ندعوهم ؟! هل نريد أن ندعوهم إلى العروبة ؟! وهل العروبة منهج حياة ورسالة عالمية ؟!

هل نحن فلسطينيون ؟! هل نحن سوريون أم مصريون أم سعوديون أم تونسيون ؟! هل هذه الإقليميات هي التي نريد أن نتشبّث بها وندعو إليها ونطلع على العالم بها ؟! وندعو البشريّة إليها ؟! هل هذه هي رسالتنا في الحياة ؟!

هل نحن اشتراكيون أم حداثيون أم ديمقراطيون أم علمانيون ؟!

---

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته (رقم ١٧٧٣) .

هل نحن مسلمون حقّاً ؟! وهل التزمنا هذا الدين العظيم التزام إيمان وعلم وصدق ، وأرضينا الله بالتزامنا ؟!

لا بد أن نقف مع أنفسنا وقفة صريحة فنحدّد أهدافنا كلها ، أهدافنا المحلية وأهدافنا العالمية ، لنقرر ماذا نريد وكيف ننشط وما هي مسؤوليتنا !

إذن هناك سؤالان يجب الإجابة عليهما بصورة جريئة صريحة صادقة :

من نحن ؟!

وماذا نريد وإلى أين نسير ؟!

وإذا لم نسأل أنفسنا اليوم هذه الأسئلة فسنسأل عنها يوم القيامة بين يدي الله ! إنها قضية الفرد والأمة والناس جميعاً !

وعلى ضوء ذلك يمكن أن نضع الخُطَّة والنهج ! ونرسم الدرب العمليّ في الحياة ، ولنتحمل مسؤوليّة القرار في الدنيا والآخرة .

ومهما تكن الإجابة على السؤالين السابقين ، فهناك قضية أخرى يجب أن تؤثر في نوع الإجابة ، ولكن معظم الناس يهملونها .هذه القضية هي الموت ومفارقة هذه الدنيا إلى الدار الآخرة . فالموت حق على كل إنسان ، بل كل مخلوق . والناس كثيراً ما ينسون الموتَ والقبر ، والبعث والساعة والحساب ، والجنة والنار ، تغيب هذه بين أمواج الشعارات الدنيوية والأماني المادية بزخارفها المتنوعة ، وفتن الحياة ولهيبها !

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧) بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٢٨) وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٢٩) ﴾

[الأنعام : ٢٧ – ٢٩]

وكذلك :

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٠) ﴾ [الأنعام: ٣٠]

إن النظرة السريعة لسلوك الناس توحي بأن الدنيا جذبتهم وأنستهم الآخرة ، وهُرِع الجميع إلى ميادين التنافس المادي ، يلهثون خلف مصالح مادية يظنون أنها تعطيهم القوّة ، وتقودهم إلى النجاة ، وقد نسوا الله ونسوا الآخرة ويوم الحساب . والذين يؤدون الشعائر ثم يغيبون في أمواج الدنيا وطوفانها ، الله أعلم بما في قلوبهم وحسابهم عند الله ! ولكنهم في الدنيا أساؤوا وخذلوا الإسلام وقد تركوا ميادين نَصرِته !

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾** ﴾ [الحشر: ١٨، ١٩]

وقد اختلطت النماذج في الواقع : فترى الفتاة في ملابس أقرب إلى العري ، ملابس كاشفة غير ساترة ، تسير مع امرأة محجبة ولو بنسبة قليلة أو كثيرة . وترى الرجل الذي يصلّي ويصوم له أصحاب متفلتون من كل أسباب الالتزام ، وهو لا يدعوهم إلى الإسلام !

وترى المسلم يهجر المسلم ، ويتعاون مع الشيوعي أو أشكال أخرى من الفكر اليساري . وترى المسلم الداعية يهجر الدعوة إلى الإسلام في مؤتمرات إسلامية ويدعو إلى العلمانيّة بصورة واضحة جليّة ، أو يدعو إلى الديمقراطية ، أو إلى غيرها . الديمقراطية التي أدارت المجازر للمسلمين ، والتي أذلتهم ، واحتلت ديارهم ، وطردتهم منها لاجئين ، هذه الديمقراطية المجرمة يقيم لها بعضهم مهرجانات وأعراساً !

وأسوأ من هذا وذاك من يُلْبس أشكال الانحراف المتعددة ثوباً إسلامياً أو صبغة إسلامية . قالوا : الاشتراكية الإسلامية ، والديمقراطية الإسلامية ، والعلمانية الإسلامية ، والحداثة الإسلامية والبنيوية الإسلامية ، وقس على ذلك ، خليط عجيب في واقعنا ، يراه الجميع ، يراه بعض الدعاة والعلماء ولا ينصحون

ولا يصلحون ، وقد يجاملون ويصمتون ! هؤلاء كلهم يمثلون المجتمع الإسلامي في الكرة الأرضية ، بالإضافة إلى المنتمين إلى الحركات الإسلامية على تفاوت كبير في مدى التزامهم ! ولكن كلَّ هذه النماذج هل تنجو من الموت ، من الحساب ، أو تأمن مكر الله ، فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون !

لقد استطاع الفكر الغربي أن يخترق جميع حصون المسلمين ومجتمعاتهم بغزو منهجي مبرمج ، والمسلمون ، وهم في درجة كبيرة من التخلّف ، استجاب الكثيرون منهم لهذا الغزو بأشكاله المختلفة ، مع رفضه أول الأمر ، ولمّا اعتادوه تحت ضغط إصرار الغزو قبلوه ، ثم التزموه ، ثم أَصبحوا دعاةً له .

اختلطت النماذج ، وأصبح محرّماً أن تكفّر الكافر حتى ولو أعلن كفره جهاراً نهاراً بالسلوك والموقف والكلمة الصريحة ! الكافر بالله ورسوله أصبح له حرمتُه والمسلم لم يعد له حرمة !

من نحن ؟! هل نحن مسلمون ، وقد رضينا بهذا التحوّل السريع والانحراف الكبير عن الإسلام ؟!

يُعرَف الناس أو الشعوب والأقوام برسالتهم التي يعلنونها ويدعون إليها ، فما هي رسالتنا التي نريد أن نُعْرَفَ بها ؟!

أما وقد كثر المسلمون الذين يدعون إلى الديمقراطية بالفضائيات والمقالات والمؤتمرات والندوات ، بعد أن أذلتهم الديمقراطية ومزّقتهم وأثارت الفتن بينهم ، واحتلت ديارهم ، وطردتهم لاجئين تائهين في الأرض ، فهل نحن ديمقراطيون ؟!

وكذلك كثر الذين يدعون إلى العلمانيّة ، وحسبك أن أكبر حزب إسلامي في تركيا يعلن ، كما نقلت الصحف عنه : " **لا تقولوا عنا إننا إسلاميون ، نحن علمانيون ؟!** " وها هم اليوم يؤكّدون تمسّكهم بالعلمانية ويعاهدون على التزامها ونصرتها . وربّما يقول قائل : هذا تكتيك مرحلي ! فهل يعقل أن يكون إعلان الكفر مرحلة تكتيك ؟!

ماذا أقول ؟! وأي وقائع أضرب بها مثلاً ، وهي كثيرة كثيرة جداً ؟! قد نعْتب على هؤلاء وهؤلاء ، ولكننا نعْتب أكثر وأكثر على الذين لم تُرهبهم الآيات الكريمة ، ونَسُوا قوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٥) ﴾
[الأنفال: ٢٥]

ذلك حين يسكت الصالحون ولا يؤدون واجبهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما أمرهم الله . أما الذين يأمرون وينهون فينجيهم الله برحمة من عنده ، كما قال سبحانه وتعالى :

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥) ﴾ [الأعراف: ١٦٥]

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدعوة الإسلامية ، وهي تبليغ رسالة الله إلى الناس كافة كما أُنْزِلتْ على محمد ﷺ . هي المهمة التي بها تصبح كلمة الله هي العليا ، والتي بها يسعد الناس والبشرية ، ويسود العدل فيها ، والأمن ، والحرِّية المنضبطة بضوابط الحق والخير ، بالإسلام ، **ولا عدالة ولا حرية ولا أمن بغير الإسلام !**

هل هذا قائم فينا اليوم ، هل نحن اليوم نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ، أم انقلبت الآية في كثير من المواقع ؟!

من نحن ؟! وإلى أين نسير ؟! هل نحن عربٌ ، نجعل العروبة رسالة نبلغها للناس ؟! إذا كانت اللغةُ العربيّةُ آخذة بالضعف والهوان في قلب المجتمعات العربية ، وعلى ألسنة دعاة العروبة ، وفي صحافتنا وجامعاتنا ووسائل إعلامنا ؟ إذا كانت اللغات الأوروبية الفرنسية والإنجليزية امتدت في قلب العروبة ، فأصبحت اللغةَ الرئيسةَ في الفنادق وأماكن السياحة ، والمستشفيات وعلى لسان المثقفين ، وفي ميادين كثيرة ، فماذا بقي لنا من العروبة أَو العرب ؟!

من نحن ؟! إذا فقدنا لغتنا ولَوَيْنا ألسنتنا ، وغلبت " العامية " في معظم مواقعنا ، إذا غيّرنا أشكالنا وأخذنا بأشكال الغرب ، إذا غيرنا عاداتنا وأخذنا بعادات الغرب ، إذا غيرنا فكرنا وما تحويه قلوبنا وملأنا قلوبنا ورؤوسنا بشتى أنواع الفكر الغربي من اشتراكية وديمقراطية وعلمانية وحداثة ، وما ظهر منها وما سيظهر ، فمن نحن ؟! وماذا نريد ؟! وإلى أين نسير ؟! حتى تاريخنا العظيم ، ظهرت دعوات الحداثة لتعزلنا عن الماضي كله بدينه وتاريخه ! فماذا بقي لنا ؟!

كنا أمة مسلمة واحدة ، رابطتها أخوة الإيمان ، فأعزّنا الله ما تمسكنا بذلك ، وصدقنا الله فيه . ثم أصبحت دعوتنا متعدّدة الألوان والأشكال ، وتعدّدت الشعارات في كل مكان وكل مناسبة ، فماذا جنينا ؟! تمزّقنا شعوباً وأقطاراً وأهواءً ، وما جمعتنا دعوة ولا شعار منها أبداً ! وهذا واقعنا اليوم يشهد بذلك ! ولكن فَتَحت الأبوابَ لكل طارق من الغرب والشرق : الشيوعية ، الاشتراكية ، الديمقراطية ، الرأسمالية ، العلمانية ، الحداثة البنيوية ، وما بعد البنيوية ، والتفكيكية وما بعد التفكيكية ، ومازالت نفوسنا وقلوبنا مفتوحة لكل تمزيق جديد !

فمن نحن ؟! وماذا نريد ؟! وإلى أين نسير ؟!

نحن المسلمون المؤمنون ! نريد أن تكون كلمة الله هي العليا وشرعه هو الأعلى ، وأمته هي الأعزّ ! نسير لنحقق في الحياة الدنيا نصرة الله ورسوله ، ولنبلغ في الآخرة جنته ورضوانه ومغفرته ! نحن مسلمون ، هويتنا الإسلام ، ودعوتنا الإسلام ، وشعارنا الإسلام ، إذا أردنا العزّة في الدنيا والنجاة في الآخرة !

الفصل الثـالـث
إلى أين تسير
قضية فلسطين الآن
هل هذا هو الفصل الأخير ؟!

لا تزال كلمات نيكسون في كتابه : " **نصر بـلا حرب** " ، كلماته التي يقول فيها : " **لا نعني بالسلم حلّ المشكلة ، وإنما نعْني التعـايش معها** " ، لا تزال هذه الكلمات تدوّي في أذني كلما تأمّلتُ ونظرت في مشكلة من مشكلات العالم ، وكل مشكلات العالم اليوم تصنعها وتطلقها وتسيّرها الدول الكبرى . وكلما تأملت أرى أن المشكلات قائمة مستمرّة ، وربّما مع الأَيام تولّد مشكلات أخرى ، وكأنّي أمام مسرحيات ممتدة ليس لها فصل أخير أو نهاية .

وهل قضية فلسطين لها نهاية ؟! هل لهذه المسرحية فصلٌ أخير على المسرح الدولي ؟! وحتى نقدّر هذا الاحتمال أو ذاك ، لا بدَّ أن نفهم القضيّة فهماً سليماً ينبعث من الحقائق لا من الهوى .

أول منطلق لفهم القضية أن الدول الكبرى الغربية ، بعد أن قضت على الخلافة الإسلامية ، ومزّقت العالم الإسلامي أقطاراً متناثرة ، ونشرت العصبيات الجاهلية واستجاب لها الكثيرون ، واطمأنت إلى النجاح الباهر في ما نفّذته في العالم الإسلامي آنذاك ، واطمأنت إلى أنّ العالم الإسلامي في غفلة شديدة وسبات عميق ، وغزت فلسطينَ بانتداب بريطاني وفتحت باب الهجرة اليهودية إليها ، تنفيذاً لوعد بلفور ، ثم أقاموا دولة إسرائيل ، وصدرت تصريحات واحدة من وزراء خارجية العالم الغربي تنصّ كلها على " **أن إسرائيل وُجِدَتْ لتبقى** " ! ووضح أنه أمر متفق عليه بصورة حاسمة بين الدول الغربية ويشاركها الاتحاد السوفيتي سابقاً وروسيا حالياً ، واليابان والصين ، وكأنه قرار دولي حاسم . ومازالت هذه الصورة واضحة جليّة حتى اليوم .

هذه هي **القاعدة الواقعية الأولى** التي يجب أن نعيها لنفهم حقيقة قضية فلسطين سابقاً وحالياً ومستقبلاً ، وماذا كان علينا أن نفعل ؟! وماذا يجب أن نفعل اليوم ؟!

القضية الثانية هي أنَّ الدول الكبرى ، مهما كان بينها اختلاف وتنافس على الغنائم والثروات ، فإنها كلها تقف صفّاً واحداً دعماً لإسرائيل وحامياً لها ، وفي الوقت نفسه يقف العالم الإسلامي ، ليس صفّاً واحداً كما يجب أن يكون ، ولكن يقف نزعات متضاربة متصارعة ، وخلافات عميقة تسجل نجاحاً باهراً لتلك القوى التي أوجدت فيها هذه الخلافات والصراع الذي مازال ممتداً !

والحقيقة الثالثة هي أن هذا الصف الواحد من الدول الكبرى يتألف من دول قويّة في سلاحها وصناعتها وإمكاناتها المختلفة والعالم الإسلامي الممزَّق يتألف من دول ضعيفة في معظم نواحي القوة ، ضعيفة في سلاحها وصناعتها وعلومها !

والحقيقة الرابعة أن هذه الدول الغربية والشرقية غزت العالم الإسلامي بأفكارها المنحرفة المتضاربة ، ومفاسدها الممتدة بالخمر والفاحشة وتعدّد المذاهب والفلسفات من : اشتراكية وديمقراطية وعلمانية ورأسمالية مجرمة ، وحداثة بكل مذاهبها ، وبما بعد الحداثة ، وبالعولمة ، وشعارات ينشرونها ولا يلتزمونها هم أنْفُسُهم ، مثل شعار " **الحرّية** " ، واحترام " **الآخر** " ، **والعدالة والمساواة** ، إلا في ميادين الفتنة والضلال ، فالجميع يتساوون في حرّية الزنا ، ولكن تشتد القيود القاسية على الحرية في الميادين الأخرى ، حيث يُطبّق الشعار : " إما أنت معي وإما أنت ضدي " ، وصدّق كثير من المسلمين مبادئ الغرب واتبعوها وظنوا فيها النجاة . وتمضي السنون ، وإذا نحن نزداد في هذه المبادئ تفرّقاً وهواناً وهزائم !

من خلال هذه الأجواء والمراحل استطاعت هذه الدول تنفيذ مراحل مسرحية لقضية فلسطين بأسلوب ماكر ولعبة ماكرة ، انْطَلَتْ على المسلمين حتى كان كثيرٌ منهم جزءاً رئيساً في تنفيذ مخطّط هؤلاء الأعداء المجرمين .

فلنستعرض أهم هذه المراحل :

١ - نقل القضية من قضيّة إسلامية إلى قضيّة عربيّة عُزل فيها العالم الإسلامي عزلاً كاملاً ، وتجاوب المسلمون والعرب مع هذه النقلَة تجاوباً كاملاً .

٢ - نقل القضية من قضية عربيّة إلى قضيّة فلسطينية . وقد تمت هذه النقلة من خلال فصل متقن من المسرحيّة ، برضاء جميع الأطراف المعنية ، بعد أن تمّ قبل ذلك الإعداد النفسيّ والفكري ، وإعداد الأشخاص والممثلين ، وتحديد أدوارهم ومراحلها . وكانت هذه هي أكبر ضربة وجّهت لقضية فلسطين بأيدي أبنائها وبضجيج إعلامي كبير . وأخذ الفلسطينيون والممثلون منهم يتصدّون لدولة اليهود بما كانوا يسمونه أعمالاً فدائيةً ، شعارها المعلن إلقاء إسرائيل في البحر وتحرير كامل التراب الفلسطيني ، ولما جاءت حماس أعلنت أنها ستحرّر فلسطين من النهر إلى البحر ! وكأنما دخل الميدان أو المسرحية ممثّل جديد ! كيف دخل ولماذا دخل ؟! وكيف سيحقّق شعاره الكبير ؟! لم يسأل أحد من الأمة كلها عن ذلك ، وحماس لم تَدَّعِ أنها تملك خُطَة أو نهجاً ، وكما قال لي مسؤول كبير فيهم : " **إننا نسير على البركة** " ! ولم يكن لدى منظمة التحرير أو فتح أي خُطَّة مدروسة أو غير مدروسة لتحرير فلسطين ، ولم يسأل أحد عن خُطَّتهم لتحقيق الشعارات التي أطلقوها !

٣ - **مرحلة السلام مع إسرائيل :** بعد مسيرة طويلة أو قصيرة نسبياً أدركت منظمة التحرير أنها لا تقوى على تحقيق الشعار ، فأعلنت إلغاءه ، واتجهت اتجاهاً جديداً ، وفَصْلاً جديداً في المسرحية ، يطالب بالسلام مع إسرائيل ! وأدركت جميع الفصائل هذه الحقيقة المؤلمة ، فمنهم من اعترف بعجزه عن تحقيق الشعارات ، وانضم إلى " موكب " السلام ، ومنهم من صَعُبَ عليه أن يعترف بعجزه عن تحقيق شعاراته مثل حماس ، فظلّ يعلن شعاره بعدم الاعتراف بإسرائيل ، ولكن من وراء الكواليس تدور مفاوضات واتصالات ، والبحث عن أسلوب جديد للخروج من المأزق .

٤ – **مرحلة الدولة الفلسطينية :** طُرِحَ موضوع الدولة الفلسطينية كفصل جديد في مسرحية قضية فلسطين ، وتسابق الجميع إلى المطالبة بالدولة الفلسطينية ، وكان ياسر عرفات ومنظمة التحرير محور هذا المطلب .

أساس هذا الاتجاه يعود إلى أيام مفاوضات كامب ديفيد . ولسنا هنا بصدد عرض تاريخ مفصّل لذلك . ولكن هذا الاتجاه أخذ ينمو ويشتد . ولم يشعر الفلسطينيون أن القضية تمر بمراحل يمكن أن تنتهي بالتصفية ! ولكن لو شعروا فما هي الإمكانات العسكرية والوسائل والأساليب التي يمكن أن تفيد وتمنع مسلسل التنازلات ؟!

٥ – **الدولة الفلسطينية حتى حدود ١٩٦٧م :** تركزت مطالب العرب جميعاً (وقد سبق أن ذكرنا أن سائر العالم الإسلامي عُزل عن القضية إلا من عواطف تشده إليها على عجز واضح) على دولة فلسطينية حتى حدود ١٩٦٧م . وأعلنت الدول العربية أن هذا المطلب هو أساس لقبول السلام الكامل مع إسرائيل وأخذت حماس تنادي كذلك بدولة حتى حدود ١٩٦٧م . وأخذ الجميع ينادون بذلك ! وإن كانت هذه المناداة والشعارات قابلة للتغيّر بين لحظة وأخرى .

٦ – **الصراع الفلسطيني الفلسطيني :** كانت منظمة التحرير هي السلطة الشرعية الوحيدة في غزة والضفّة . واستمر هذا الوضع محرجاً للغرب ولإسرائيل حين يبدو أن الجوّ هادئ لا صراع فيه . فلا بد من مجيء منافس قوي يصارع منظمة التحرير . وتمّ ذلك ، وانتقلت حماس كلية من خط المقاومة إلى الميدان السياسي دون أن يكون لها أيّ تصور أو نهج لمجابهة ما يموج في قلب السياسة من أحداث . ولكن تابعت سياسة الشعارات الحماسية والوعود الوطنية ، ودخلت الانتخابات وفازت فوزاً كاسحاً ، ساعد عليه هجوم إسرائيل على حماس وهجوم أمريكا ، مما وفّر دعماً شعبيّاً كبيراً لحماس ، سهّل لها فوزها الكاسح في الانتخابات ، كأنما هو شيء يخطط له

بمكر ودهاء من مخرجي المسرحيات . واستُدرجَتْ حماس لجوّ جديد ، يمهّد لهدف كبير تريده إسرائيل ، وهو إشعال الفتَنة بين الفلسطينيين ، وقد تحقق هذا الهدف ، وتحوّلت العلاقات بين فتح وحماس على تنافس دنيوي استخدمت فيه الأسلحة ، ووقع مئات القتلى من الطرفين ، احتلت حماس مدينة غزة ، ومقرّ الدوائر الرسمية ، وأنزلت الصور من على الجدران وداستها بالأقدام ، وأنزلت علم فلسطين ورفعت علم حماس ، وقتلت من قتلت ! وحققت إسرائيل هدفها .

٧ - **مرحلة الحصار وما تلاه :** استمرّت حماس في إطلاق الصواريخ على بعض المناطق اليهودية ، وبعد كل إطلاق للصواريخ كانت تتعرض غزة لغارات جوية إسرائيلية واعتقالات ، وزحف بالدبابات هنا وهناك ، فيقع القتلى والجرحى والتدمير بصورة أوسع بكثير ممّا تُحدثُ صواريخ حماس . وبقيت صواريخ حماس لا تقدّم هدفاً معقولاً لإطلَاقها ، خاصة إذا كانت خسائر الفلسطينيين أضعاف أضعاف خسائر الإسرائيليين ، واشتدت الغارات على قطاع غزة ، واستمرت حماس بإطلاق صواريخها ، مما يوحي بأنّ هناك شيئاً يدبّر ، لأن إطلاق صواريخ حماس لم يكن له أيّ جدوى إلا الاستفزاز . وأَمّا غارات إسرائيل فهي قتل وفتك واعتقال وتدمير . ثم أعلنت إسرائيل الحصار المطبق على قطاع غزة ، وأغلقت كل المعابر . وضجّت الدنيا على هذا الحصار الإجرامي !

وهنا يجب أن نتذكر كيف أَنه سَبَقَ لإسرائيل أن أغلقت مستعمرتين لها في قلب قطاع غزة ، رغم رفض سكانها اليهود ! فهل كانوا يُعِدّون قطاع غزة منذ ذلك الوقت ليكون بحراً من الدم والدمار ؟!

لا شك أن هذا كله كان يتم وفق سياسة مرسومة ومسرحية وفصول ، مَنْ المخرج ومَن الممثلون ؟! سيُكْشَف بعد حين ! واقتحمت الجماهير معبر رفح واخترقوا الحاجز بالمتفجرات ، وانطلقوا إلى رفح المصرية والعريش ، وحدث ما حدث !

٨ – **مرحلة الصراع على تسلّم وإدارة معبر رفح :** إلى هذا المستوى نزلت قضية فلسطين ، نسى الجميع القضية ، ودار صراع جديد على إدارة المعبر ، ووقف كل فريق عند رأيه معانداً ومصادماً الفريق الآخر ، وفشلت كل واسطات الإصلاح بين فتح وحماس ، وأصبح الموقف ينذر بشر جديد ، وإشغال بأمر جديد يلوح في الأفق .

٩ – ماذا نكتشف من هذه المراحل والأحداث ومن الحصار بالذات :

أ – أوّلَ ما نكتشفه أنه يُشْغَلُ الفلسطينيون بين حين وآخر بقضايا جزئية تصرفهم عن قضيتهم الرئيسة ، وتمزّق قواهم ، وتثير التنافس بينهم على الدنيا ! وهم يستجيبون لذلك ويقعون في الشرَك !

ب– نكتشف من آثار الحصار أن القطاع مرتبط كلّ الارتباط بإسرائيل أولاً ، وبالدول الكبرى ثانياً . فقد استطاعت إسرائيل أن تقطع الكهرباء والماء ، وتوقف الإمداد بالبترول ، والمواد الطبية ، ومواد المعيشة ، حتى عاش القطاع أياماً في الظلام الدامس .

ج– إذاً ما هي هذه الدولة التي يتصارع عليها الفلسطينيون ؟! هي دولة مسخ لا تستحق الدماء الغالية التي سُفكَتْ من أجلها . دولة كلُّها مرتهنة لدى إسرائيل ، تستطيع إسرائيل الدَخول إلى أي نقطة متى تشاء ، تقتل ، تدمر ، وتعتقل ، كما تشاء في هذه الدولة ! دولة تعيش على إعانات الدول الكبرى ورعايتهم وحمايتهم ! تطلب منهم الماء والكهرباء والأدوية والعلاج والمال .. الخ .

مثلنا بذلك كمثل قوم يريدون إقامة دولة لهم . فيخاطبون العالم وإسرائيل : يا قوم ! نريد دولة لنا لا نستطيع نحن أن نقيمها ، فأقيموها لنا ، وأعطونا مالاً ، وطعاماً وكهرباء ، وبترولاً ،وماءً ، ودواءً ، وافتحوا مستشفياتكم لنا لتعالجوا أنتم مرضانا ، وأعطونا سلاحاً وصواريخ كي نحاربكم !

د- يتضح من هذه الأحداث أن جميع الفصائل لا يتبنَّون الإسلام شريعة ومنهاجاً لهم في صراعهم مع اليهود ، فمنهم من تبنّى الديمقراطية وأقام لها الأعراس ونادى بها ، ومنهم من تبنى العروبة ، فلا العروبة أمدتهم بأسباب النصر ، ولا الديمقراطية وعرسها أمدتهم بشيء ، ولا سائر المبادئ اليسارية والعلمانية أفادت بشيء ! ولكن بقى للإسلام شعار يُرفَعُ كلَّما لزم الأمر ، شعار يرفع دون محتوى أو التزام !

وبعد هذا التراجع المكشوف جداً عن جوهر قضية فلسطين ، حتى وضح أن الجميع تناسوها ، فماذا يريدون الآن وهم في الميدان يهدّدون وينذرون ... !

ماذا تريد فتح وماذا تريد حماس ؟! وأين حقيقة الشعارات التي كانت تدوّي لوقت قريب . أما فتح فقد أعلنت خطها ونهجها بوضوح منذ أيام عرفات ، وهو عدم القدرة على تحرير فلسطين لا من النهر إلى البحر ، ولا من الشمال إلى الجنوب ، وعدم القدرة على إلقائها في البحر ، وعُدّل الميثاق ، وأصبح الطلب نفس الطلب الذي تنادي به الدول العربية ، ألا وهو السلم والسلام مع اليهود على شروط يتفق عليها ، وتدور المفاوضات حول ذلك . هذا خط معلنٌ واضح ، سواءً أكان سليماً أم غير سليم !

أما حماس فماذا تريد اليوم ؟! لقد ألغت شعارها تحرير فلسطين من النهر إلى البحر في مرحلة ما ، ونادت بالدولة الفلسطينية إلى حدود ١٩٦٧م ، وحتى حزب الله في لبنان نادى في مرحلة ما بهذه الدولة وقال : **بغيرها لا تتوقف المقاومة** . ثم عادت حماس تنادي بتحرير فلسطين كلها وإلقاء إسرائيل في بطن البحر ، متجاوبة مع تصريحات إيران على لسان زعمائها وعلى لسان محمود أحمد نجاد رئيس إيران ، تصريحاته التي تخرج بين حين وآخر ، وآخر تصريح هو أن إسرائيل على وشك الانهيار والزوال !! لقد سبقه كثيرون بشروا بزوال إسرائيل ! ونحن نبشّر بذلك فهو وعد من الله ورسوله . ولكن هذا الوعد لم يطلقه الرسول ﷺ للتخدير ، ولكن للإعداد والاستعداد ، ولبيان الشروط الواجبة لإزالة إسرائيل ؟!

فهل توافرت اليوم هذه الشروط والفلسطينيون يتصارعون على دنيا ، على معبر ، على دولة مسخ ، على شروط ماديّة ومصالح دنيوية مغلّفة بشعارات الوطنية أو الإسلام .

ماذا تريد حماس ؟! وما هي خطّتها ونهجها ، غير الشعارت ، لتحقيق الهدف المخفيّ الذي يمكن أن تسعى إليه ؟!

لنفرض جدلاً أن منظمة التحرير اختفت كلّية عن المسرح ، وبقيت حماس وحدها في الضفة وغزة لتجابه إسرائيل وحدها ، وتجابه السياسة الدولية كلها وحدها ، فماذا هي فاعلة ، وما هي خطتها ونهجها وإعدادها ووسائلها وأساليبها ، خلاف الشعارات ؟!

لقد تسلمت حماس الحكومة وحدها بعد فوزها في الانتخابات ، وصرّح خالد مشعل بقوله : " **نحن لها** " ! وانطلقت حماس إلى روسيا وإيران وأوروبا تطلب العون والمدد ! فما وجدت إلا إيران التي سحبتها لتُدخلها في سياستها وأهدافها ، لا لتدخل إيران في سياسة حماس وشعاراتها ، ذلك لأن إيران لها نهجها وخطتها كدولة ، ولها مصالحها وأهدافها ، فهي تستطيع أن تستوعب حماساً وغيرها في داخل خطتها ، أما حماس فلا نهج لها ولا خطة إلا الظن بأنها تريد إقامة دولة إسلامية في الضفة وغزة ! ولو كان هذا ممكناً لديها لكانت طبّقت الإسلام في جميع مواقفها وعلاقاتها وأهدافها ، بدلاً من عرس الديمقراطية ، وتكتيك الخداع ، والانتهازية واستغلال المواقف ، واستغلال الذين يقتلون برصاص اليهود ، وهم في طريقهم لشراء حاجات البيت ، ليس لهم أي علاقة بالقتال ، فإذا سقط أحد من أهل غزّة على هذا الحال ، فزعت الفصائل تتصارع عليه كلٌّ يريد أن يعتبره شهيداً من شهدائه ، فإذا تم الاتفاق على فصيل أخذه الفصيل ودفع لأهله مبلغاً من المال ، وتولّى هو دفنه وقبول التعازي بسرادق ضخم ! ثم تصدر الصحف لتتحدّث عن الشهيد البطل الذي فعل وفعل وفعل !

إذا كانت حماس تريد إقامة دولة إسلامية في الضفة والقطاع ، كلنا نرحب بذلك على أن يطبق الإسلام حقّاً دون تكتيك ودون مناورات ، ودون أعراس الديمقراطية . وكان أولى بها ، وهم أبناء غزة ، والحركة الإسلامية في غزة بدأت قبل عشرات السنين ، أن ينشئوا في غزة مجتمعاً إسلامياً تموت فيه العصبيات الجاهلية العائلية والحزبية وصراع المصالح المادية الدنيوية ! فإذا فشلوا في ذلك ، فهل ينجحون في هذه ؟!

إذا كانت حماس تعمل في سبيل الله ولله ، فلتلتزم خصائص العمل في سبيل الله ، وأولها أن تصدق الدعوة إلى الله ورسوله ، إلى رسالة الله كما أُنزلت على محمد ﷺ إلى الناس كافة وتتعهدهم عليها ، فالدعوة هي الخطوة الأولى الضرورية للجهاد ، حتى تُبنى القلوب والاستقامة ! وبغيرها لا يستقيم جهاد !

لذلك ننصح الفرقاء كلهم أن يقفوا مع أنفسهم وقفة حساب ومصارحة قبل فوات الوقت ، وليدرسوا أَخطاءَهم وليعالجوها ، ولينظروا بعد تقديم هذا العدد الكبير من القتلى والدماء ، ما هي النتيجة التي حصلنا عليها !

لماذا قامت الانتفاضة الأولى وشعاراتها وماذا حققت في الواقع ؟! لماذا قامت الانتفاضة الثانية وشعاراتها وماذا حققت في الواقع ؟!

ما هي الخطة والنهج المرسوم المحدَّد للانتفاضة الأُولى والثانية ؟!

والآن : ما هي الخطة وما هو النهج وما هي الأهداف التي يوصل إليها النهج والخطة ، دون الشعارات ؟! لا نسأل عن الشعارات ، نسأل عن النهج والتخطيط الإيماني النابع فعلاً من منهاج الله ؟! نسأل عن الأهداف الصادقة والدرب والوسائل الموصلة إلى الأهداف السابقة ، حتى لا نجد أنفسنا بعد سنين طويلة الشعارات والأهداف في الشرق ونحن نسير إلى الغرب ، نبتعد عن أهدافنا وشعاراتنا .

وأخيراً ! هل نستطيع أن نقول إنّ اللحظات الراهنة من تاريخ قضية فلسطين تمثل الفصل الأخير من المسرحيّة في هذه الحقبة من التاريخ ، لننتظر حقبة جديدة يمّن الله بها علينا بالجيل المؤمن الذي يتحلى بالخصائص الإيمانية التي يُنزل الله بها نصره عليه ؟؟؟!!!

أم أنّ هناك فصلاً جديداً تتدفق فيه دماء الفلسطينيين نتيجة صراع بينهم ونتيجة غارات إسرائيل ؟؟؟!!!

الفصل الرابع
من تاريخ فلسطين
أحداث رئيسة

لو استعرضنا أهم الأحداث في تاريخ فلسطين لوجدنا معالم الجريمة في تاريخ ممتد منذ الحروب الصليبية حتى اليوم . وقفة وتأمل في هذه الأحداث واجب وضروري لنتعلم من التاريخ :

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦) ﴾ [الحج: ٤٦]

وكذلك :

﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) ﴾ [آل عمران: ١٣٧]

وكذلك :

﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً (٢٣) ﴾ [الفتح: ٢٣]

وكذلك :

﴿ اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً (٤٣) ﴾ [فاطر: ٤٣]

إن المؤمن حين ينظر في أحداث التاريخ ليجد أن هنالك سنناً لله ثابتة في هذه الحياة الدنيا ، من عرفها واتبعها نجا ، ومن غفل عنها أخذه العذاب الشديد !

وفي نهاية هذا البحث قبل كلمة الختام نعرض هذه الأحداث والمواقف بتاريخها ، مأخوذة من المركز الفلسطيني للإعلام ، مرتبة حسب الأشهر ، ومع كل شهر الأحداث التي وقعت فيه : اليوم والشهر والسنة :

وبتتبُّع هذه الأحداث من هذه القائمة يمكن أن نلمس التصميم الدولي على هذه المؤامرة الكبيرة على فلسطين ، ونلمس خيوط اللعبة الماكرة ، ونلمس هوان المسلمين خاصة بعد سقوط الخلافة وانفراط عقدهم !

يناير (كانون الثاني)	
٢٧/ ١/ ١٩١٩	انعقد المؤتمر الفلسطيني الأول، والذي اعتبر فلسطين جزءاً من سوريا.
١٠/ ١/ ١٩١٩	انعقد مؤتمر الصلح في باريس، وكان من أهدافه رسم خريطة جديدة للعالم بعد الحرب العالمية الأولى .
١٥/ ١/ ١٩٢١	نقل الإشراف على فلسطين من وزارة الخارجية البريطانية إلى وزارة المستعمرات .
٢٥/ ١/ ١٩٣٥	انعقد مؤتمر علماء فلسطين الأول برئاسة الحاج أمين الحسيني في مدينة القدس .
٤/ ١/ ١٩٣٨	تلقى المندوب السامي البريطاني كتاباً من وزير المستعمرات يبلغه عن إرسال لجنة فنية إلى فلسطين تكون مهمتها محصورة في التأكد من الحقائق والنظر في تفاصيل إمكانات برنامج التقسيم .
٦/ ١/ ١٩٣٦	قوات الاحتلال البريطانية ترتكب مجزرة في قرية عتيل بحق النساء والأطفال وتنتهك حرمة المساجد وتمزق المصاحف .
١٩/ ١/ ١٩٤٨	وقوع مذبحة صفد على يد القوات الإرهابية الصهيونية .
٢٥/ ١/ ١٩٤٨	وصول أول فوج من جيش الإنقاذ بقيادة فوزي القاوقجي إلى فلسطين .
٢٥/ ١/ ١٩٤٩	أصبح ديفيد بن غوريون أول رئيس لوزراء الكيان الصهيوني .

١٩٥٦/١/١	أصدر الأزهر الشريف فتوى شرعية تحرم الصلح مع اليهود .
١٩٧٤/١/١٨	التوقيع على اتفاقية فصل القوات المصرية والصهيونية بعد حرب العام ١٩٧٣ .
١٩٨٨/١/٢١	اسحاق رابين وزير حرب العدو يعلن عن سياسة "القوة والعنف والضرب" لمواجهة الانتفاضة .
١٩٩٦/١/٦	استشهاد المهندس يحيى عيّاش قائد قوات الاستشهاديين في كتائب عز الدين القسام الجناح العسكري لحركة حماس بعد مطاردة استمرت أربع سنوات بتفجير الهاتف النقال الذي يستخدمه على يد جهاز الشاباك الصهيوني .
١٩٩٧/١/١٥	تم التوقيع على اتفاق جزئي بين السلطة الفلسطينية والحكومة الصهيونية يقضي باستكمال إعادة انتشار القوات "الإسرائيلية" في مدينة الخليل بعد تقسيمها بين الجانبين، وتقاسم السلطات الأمنية فيها .
فبراير (شباط)	
١٧٩٩/٢/٧	بدء الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت لاحتلال فلسطين .
١٩٢٧/٢/٢١	أعلن وزير المستعمرات البريطانية ليوبولد إيمري أن النقد الفلسطيني سيحل محل النقد المصري من أول تشرين الثاني نوفمبر ١٩٢٧ .
١٩٣٩/٢/٧	افتتاح مؤتمر المائدة المستديرة في لندن بين وفود من الدول العربية ووفد يهودي .

١٤/ ٢/ ١٩٤٧	أعلنت بريطانيا إحالة القضية الفلسطينية إلى الأمم المتحدة .
٢٨/ ٢/ ١٩٥٥	شن جيش الاحتلال الصهيوني هجوماً على قطاع غزة أسفر عن استشهاد ٣٨ عربياً وجرح عدد مماثل .
٨/ ٢/ ١٩٧٦	محكمة صهيونية تقرر حق اليهود في الصلاة على " جبل الهيكل " في منطقة الحرم القدسي الشريف .
٧/ ٢/ ١٩٨٣	لجنة كاهان للتحقيق في مجازر صبرا وشاتيلا تقدم تقريرها، وتتهم أرئيل شارون بالمسؤولية عن المجازر. وعلى أثر ذلك يستقيل شارون من وزارة الحرب لكنه يبقى في الحكومة .
٢/ ٢/ ١٩٨٨	سلطات الاحتلال الصهيوني تغلق المدارس والجامعات الفلسطينية .
٢٥/ ٢/ ١٩٩٤	وقوع مجزرة الحرم الإبراهيمي الشريف في مدينة الخليل ضد المصلين أثناء سجودهم في صلاة الفجر يوم الجمعة من شهر رمضان على يد المستوطن الإرهابي باروخ غولدشتاين .
٧/ ٢/ ١٩٩٥	أصدر رئيس الحكم الذاتي ياسر عرفات قراراً يقضي بإنشاء محكمة أمن الدولة في مناطق الحكم الذاتي .
مـــارس (آذار)	
٢٧/ ٣/ ١٩٣٩	استشهاد القائد عبد الرحيم الحاج محمد القائد العام للثورة الكبرى الثانية، وقد قام بعض الجنود الإنكليز بضرب التحية العسكرية له وهو مسجى على الأرض شهيداً .

١٨/ ٣/ ١٩٤٨	حـصل حـاييم وايـزمن على وعـد من الرئيس الأمـريكي هاري تـرومـان بالـعـمل على إنشـاء الـدولة اليـهـودية والاعتراف بها .
١٩/ ٣/ ١٩٤٨	مجلس الأمن يوافق على مشروع قرار أمريكي لإلغاء قرار التقسيم .
١١/ ٣/ ١٩٤٨	قام الشاب الفلسطيني أنطوان داود الذي يعمل سائقاً عند السفير الأمريكي بنسف الوكالة اليهودية وقتل ٣٦ يهودياً وجرح المئات .
١٠/ ٣/ ١٩٤٩	احتل الصهاينة قرية أم الرشراش المصرية (إيلات) بعد احتلال منطقة النقب .
١٤/ ٣/ ١٩٥٧	استكملت القوات الصهيونية انسحابها من قطاع غزة بعد فشل العدوان الثلاثي على مصر .
٩/ ٣/ ١٩٥٩	أوصى مجلس الجامعة العربية بالدعوة إلى اجتماع على مستوى عال لدراسة موضوع إعادة تنظيم الشعب الفلسطيني وإبراز كيانه شعباً موحداً .
٢١/ ٣/ ١٩٦٨	وقوع معركة الكرامة، والتي تصدت فيها القوات الأردنية والفلسطينية للقوات الصهيونية التي هاجمت الأردن وكبدتها خسائر فادحة .
٨/ ٣/ ١٩٦٩	بدأت حرب الاستنزاف على جبهة قناة السويس بين مصر والكيان الصهيوني .
٢٦/ ٣/ ١٩٧٩	وقع الرئيس المصري أنور السادات والأمريكي جيمي كارتر ورئيس وزراء الكيان الصهيوني مناحيم بيغن على معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل وملحقاتها في البيت الأبيض .

٦/ ٣/ ١٩٩١	أعلنت الولايات المتحدة عن مبادرة عقد مؤتمر السلام في الشرق الأوسط لحل الصراع العربي - الصهيوني .
١٢/ ٣/ ١٩٩٦	عقد مؤتمر شرم الشيخ في مصر على خلفية العمليات الاستشهادية النوعية والمفاجئة التي نفذت في شهري فبراير ومارس من نفس العام، وتم فيه اتخاذ القرارات بتفويض من المجتمعين بمطاردة حركات المقاومة في فلسطين .
إبريـــل (نيسان)	
٢٠/ ٤/ ١٧٩٩	وجه نابليون بونابرت نداءً دعا فيه اليهود في آسيا وأفريقيا للالتحاق بجيشه من أجل دخول القدس ضمن الحملة الفرنسية نحو الشرق .
٢٧/ ٤/ ١٩٠٩	وقوع انقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني وإقصائه عن الحكم على يد جمعية تركيا الفتاه. وبذلك انتهت الخلافة الإسلامية، وكان السلطان قد أصدر في العام ١٩٠٠ فرمان (أمر) ينص على عدم السماح لليهود بالإقامة في فلسطين أكثر من ثلاثة أشهر .
٤ـ١٠/ ٤/ ١٩٢٠	اندلاع ثورة النبي موسى (ثورة العشرين) .
٢٦/ ٤/ ١٩٢٠	انتهاء أعمال مؤتمر سان ريمون، والذي كان من نتائجه المصادقة على وعد بلفور وتكليف بريطانيا بالانتداب على فلسطين .
١٥/ ٤/ ١٩٣٦	بدأتْ الثورة الكبرى في فلسطين والتي انتهت في أكتوبر/ تشرين أول .

٥/ ٤/ ١٩٤٥	أعلن الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت بأن تبديل السياسة الأمريكية لن يجري إلا بمشورة العرب وأن الولايات المتحدة تتعهد بعدم القيام بأي عمل عدائي نحو العرب في قضية فلسطين .
٢/ ٤/ ١٩٤٧	طلبت الحكومة البريطانية من الأمين العام للأمم المتحدة إدراج قضية فلسطين ضمن جدول أعمال الجمعية العامة في دورتها السنوية العادية .
٩/ ٤/ ١٩٤٨	استشهاد القائد عبد القادر الحسيني في معركة القسطل .
١٠/ ٤/ ١٩٤٨	مذبحة دير ياسين على يد قوات الإرهابي مناحيم بيغن زعيم عصابة الأورغون الإرهابية والتي راح ضحيتها ٢٥٠ فلسطينياً .
١٧/ ٤/ ١٩٤٨	وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة على قرار الهدنة بين الدول العربية والعصابات الصهيونية في أعقاب حرب العام ١٩٤٨ .
٢٠/ ٤/ ١٩٤٨	انتخبت الهيئة التنفيذية للحركة الصهيونية دافيد بن غوريون رئيساً لها ومديراً للدفاع واعتبرت نفسها وريثة لحكومة الانتداب البريطاني.
٢٣/ ٤/ ١٩٤٨	عقد اجتماع في العاصمة الأردنية حضره عدد من رؤساء الوزارات والوزراء العرب وتقرر فيه دخول الجيوش النظامية العربية إلى فلسطين حال انتهاء الانتداب .
٢٤/ ٤/ ١٩٥٠	أعلنت وحدة الضفتين الغربية والشرقية لنهر الأردن في مدينة أريحا.
٩/ ٤/ ١٩٦٩	نهاية جولات جوناريارينغ مبعوث الأمين العام للأمم

	المتحدة إلى الشرق الأوسط، بعد فشل مهمته في التوصل لحل قضية فلسطين، والصراع العربي - الصهيوني .
١٣/ ٤/ ١٩٧٩	اشتعلت الحرب الأهلية في لبنان بين الموارنة والكتائب والأحرار من جانب وبين منظمة التحرير وبقية مسلمي لبنان من جانب آخر .
١٩/ ٤/ ١٩٨٨	نساء مستعمرة كريات أربع يحتللن بيت هداسا في مدينة الخليل، لإحياء الحي اليهودي في المدينة .
١٠/ ٤/ ١٩٨٨	بداية استقالات العاملين الفلسطينيين في الشرطة لدى الحكم العسكري في الضفة الغربية وقطاع غزة .
١٦/ ٤/ ١٩٨٨	اغتيال خليل الوزير (أبو جهاد) في تونس على يد المخابرات الصهيونية (الموساد) ووحدة مختارة من جيش العدو بقيادة أيهود باراك زعيم حزب العمل الحالي .
٢/ ٤/ ١٩٩٥	اغتيال كمال كحيل أحد قادة كتائب عز الدين القسام في حي الرضوان بقطاع غزة .
٩/ ٤/ ١٩٩٥	تسجيل أول حكم صادر بحق مواطن فلسطيني من قبل محكمة أمن الدولة التابعة لسلطة الحكم الذاتي .
١١/ ٤/ ١٩٩٥	أصدر وزير العدل في سلطة الحكم الذاتي فريح أبو مدين قراراً بنزع الأسلحة من المواطنين الفلسطينيين بهدف نزع سلاح حركات المقاومة .
٢٤/ ٤/ ١٩٩٦	عقد المجلس الوطني الفلسطيني دورته الـ٢١ في غزة والذي تم فيه التصويت على إلغاء بنود الميثاق الوطني الفلسطيني التي تتعارض مع الاعتراف المتبادل بين الكيان الصهيوني ومنظمة التحرير .

مايـو (أيـار)	
٢٠/ ٥/ ١٧٩٩	انتهاء الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بعد فشله في احتلال مدينة عكا الفلسطينية .
١٦/ ٥/ ١٩١٦	توقيع اتفاقية سايكس بيكو بين بريطانيا وفرنسا لاقتسام الإمبراطورية العثمانية .
١-١٥/ ٥/ ١٩٢١	ثورة يافا بين الفلسطينيين واليهود والتي انحازت فيها الشرطة البريطانية لليهود في تصديهم للفلسطينيين .
١٧/ ٥/ ١٩٣٩	أصدرت الحكومة البريطانية الكتاب الأبيض الثالث بشأن القضية الفلسطينية والذي تم فيه تقسيم فلسطين إلى ٣ مناطق عربية ويهودية ودولية .
١٠/ ٥/ ١٩٤٦	أرسل وزير الخارجية الأمريكي بالوكالة دين اتشيسون مذكرات لخمس دول عربية معتمدة في واشنطن يعزز فيها تأكيداته الشفوية لهم بأن الولايات المتحدة ستتشاور مع العرب واليهود قبل اتخاذ أي قرار بشأن لجنة التحقيق البريطانية الأمريكية .
٢٨-٢٩/ ٥/ ١٩٤٦	انعقد مؤتمر الملوك والرؤساء العرب في أنشاصي بمصر لبحث القضية الفلسطينية .
٢١/ ٥/ ١٩٤٧	قامت عصابة الهاجاناه الإرهابية بهجوم مسلح على مقهى قرية فجة من مستعمرة بتاح تكفا فقتلت عربيّاً وجرحت ٧ آخرين ووضعت متفجرات في المكان .
٩/ ٥/ ١٩٤٨	قبول العرب بشروط الهدنة مع العصابات الصهيونية .
١٤/ ٥/ ١٩٤٨	أصدر مجلس الدولة المؤقت الصهيوني قرار إعلان قيام " إسرائيل " .

١٥/ ٥/ ١٩٤٨	دخول القوات العربية إلى فلسطين .
١٥/ ٥/ ١٩٤٨	اعترفت الولايات المتحدة بالدولة اليهودية .
١٨/ ٥/ ١٩٤٨	اعترف الاتحاد السوفييتي بالدولة اليهودية .
١١/ ٥/ ١٩٤٩	أصبحت "إسرائيل" عضواً في الأمم المتحدة .
١٢/ ٥/ ١٩٤٩	توقيع بروتوكول لوزان بين مندوبو البلاد العربية (مصر وسوريا ولبنان والأردن) من جهة والكيان الصهيوني من جهة أخرى .
٢٨/ ٥/ ١٩٦٤	انعقد أول مجلس وطني فلسطيني بالقدس تم خلاله إقرار الميثاق الوطني، وأعلن عن إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية .
٦/ ٥/ ١٩٧٤	بدأت قوات الاحتلال قصف مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان.
٢٢/ ٥/ ١٩٧٥	أعلن ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية بأنه لا نية هناك للقضاء على "إسرائيل" بالقوة، وأن هدفه البعيد المدى يبقى إقامة دولة ديمقراطية لشعبه وللشعب اليهودي .
٢٠/ ٥/ ١٩٨٥	أطلقت الكيان الصهيوني سراح ١١٤٥ معتقلاً فلسطينياً مقابل إطلاق سراح ٣ جنود صهاينة محتجزين لدى الجبهة الشعبية القيادة العامة، وعرفت العملية باسم "عملية الجليل" .
١٩/ ٥/ ١٩٨٩	اعتقال الشيخ أحمد ياسين بتهمة تأسيس حركة المقاومة الإسلامية (حماس) .
٤/ ٥/ ١٩٩٤	وقعت إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية اتفاقاً حول تنفيذ الحكم الذاتي في قطاع غزة ومدينة أريحا في القاهرة .

التاريخ	الحدث
١٨/ ٥/ ١٩٩٤	دخول أول دفعة من شرطة الحكم الذاتي إلى قطاع غزة ومدينة أريحا.
٢٣/ ٥/ ١٩٩٤	تسجيل أول حالة قتل لمواطن فلسطيني على يد قوات الحكم الذاتي.
٢٩/ ٥/ ١٩٩٦	وصول حزب الليكود إلى السلطة برئاسة بنيامين نتنياهو .
يونيو (حزيران)	
١٠/ ٦/ ١٩١٩	بدء أعمال لجنة - كرين في فلسطين، والتي تشكلت في مؤتمر الصلح بباريس لدرس قضية الولايات العربية ومعرفة رغباتها .
٥/ ٦/ ١٩٢١	انعقاد المؤتمر الفلسطيني الأول في القدس، والذي قرر إرسال وفد إلى لندن لشرح وجهة النظر الفلسطينية حول وعد بلفور .
١٧/ ٦/ ١٩٣٠	إعدام أبطال ثورة البراق عطا الزير ومحمد جمجوم وفؤاد حجازي في سجن عكا .
١١/ ٦/ ١٩٥٣	أعلن عن الهدنة الأولى بين العرب والعصابات الصهيونية في حرب العام ١٩٤٨ والتي اعتبرت بمثابة اعتراف بالكيان الصهيوني .
٢٦/ ٦/ ١٩٥٣	نقل العدو الصهيوني ملكية كل أراضي الفلسطينيين الغائبين تحت سلطة أملاك الغائب للدولة إلى سلطة التطوير واعتبر الثمن قرضاً لهذه السلطة .
٥/ ٦/ ١٩٦٧	أغارت الطائرات الصهيونية صباحاً على عشرة مطارات مصرية وهاجمت الأردن وسوريا ولبنان .

١٩٦٧/٦/٧	احتلت قوات العدو الصهيوني الغازية كامل الضفة الغربية وقطاع غزة وشبه جريرة سيناء ومرتفعات الجولان .
١٩٦٧/٦/٢٧	أصدر "الكنيست الإسرائيلي" قراراً يدعو إلى ضم القدس الشرقية وفوض القرار الحكومة تنفيذ القوانين "الإسرائيلية" المختلفة في الجزء الشرقي من المدينة .
١٩٦٧/٦/٢٨	أعلن حاييم موشيه شابيرا وزير الداخلية في الكيان الصهيوني ضم أحياء القدس العربية في القدس الشرقية لتوحيد المدينة .
١٩٨٢/٦/٦	بدأت قوات الاحتلال الصهيوني بغزو لبنان تحت اسم "عملية سلامة الجليل" والتي أسفرت عن تدمير البنية التحتية العسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية .
يوليو (تموز)	
١٠٩٩/٧/١٥	احتل الصليبيون بيت المقدس، وقتلوا بالمسجد الأقصى ما يزيد عن سبعين ألفاً من المسلمين .
١٩٢٠/٧/١	بدأ الحكم المدني البريطاني في فلسطين بتعيين هربرت صموئيل كأول مندوب سامي في فلسطين .
١٩٢١/٧/٦	عصبة الأمم المتحدة تعلن مشروع الانتداب البريطاني على فلسطين .
١٩٢٢/٧/٣	أصدرت الحكومة البريطانية الكتاب الأبيض الأول بقصد تفسير وعد بلفور تفسيراً يطمئن العرب ويهدئ من مخاوفهم، وذلك بناء على آراء ونتسون تشرشل رئيس الوزراء البريطاني .

٢٤/ ٧/ ١٩٢٢	أقرت عصبة الأمم المتحدة صك الانتداب البريطاني على فلسطين .
٧/ ٧/ ١٩٣٦	أوصت لجنة بيل البريطانية بتقسيم فلسطين لدولتين عربية ويهودية .
١/ ٧/ ١٩٤٢	أعلن وزير المستعمرات البريطاني أن المنظمات "الدفاعية" المحلية اليهودية في فلسطين تعتبر مماثلة للحرس الوطني في بريطانيا .
٢٢/ ٧/ ١٩٤٦	نسف فندق الملك داود في القدس من قبل عصابة الأورغون الإرهابية مما أدى إلى مقتل ٩٥ شخصاً بريطانياً وعربياً .
٣٠/ ٧/ ١٩٨٠	أعلن الكنيست الإسرائيلي أن القدس "عاصمة كيانهم بعد توحيد جزئيها الشرقي والغربي" .
٣٠/ ٧/ ١٩٨٨	أعلن الملك حسين فك العلاقة القانونية والإدارية بين الضفة الغربية والأردن بعد وحدة اندماجية دامت ٣٨ سنة .
١/ ٧/ ١٩٩٤	دخل ياسر عرفات رئيس م.ت.ف إلى غزة وتسلم منصب رئيس سلطة الحكم الذاتي .
٥/ ٧/ ١٩٩٤	أدى أعضاء أول مجلس لسلطة الحكم الذاتي اليمين الدستورية أمام ياسر عرفات في مدينة أريحا .
٢٤/ ٧/ ١٩٩٥	اعتقال الدكتور موسى أبو مرزوق رئيس المكتب السياسي في حركة (حماس) من قبل السلطات الأمريكية في مطار جون كبندي في مدينة نيويورك .

أغسطس (آب)	
١٢/ ٨/ ٦٣٦	معركة اليرموك بين المسلمين والروم، ووقوع فلسطين تحت الحكم الإسلامي وفتح الشام ومن ضمنها فلسطين.
٢٩/ ٨/ ١٨٩٧	انعقاد المؤتمر الصهيوني العالمي الأول في مدينة بازل بسويسرا، برئاسة ثيودور هرتزل، وتم اختيار فلسطين لإقامة وطن قومي لليهود.
١٠/ ٨/ ١٩٢٢	أصدرت الحكومة البريطانية دستور فلسطين واشتملت مقدمته على وعد بلفور .
١٤/ ٨/ ١٩٢٢	تولى هربت صموئيل سلطاته الرسمية كمندوب سامي في فلسطين .
٢/ ٨/ ١٩٢٦	أصدر وزير المستعمرات البريطاني ليوبولد إيمري قانون العملة الفلسطينية، وعين مجلس النقد الفلسطيني وحدد صلاحياته .
١٦/ ٨/ ١٩٢٩	بدء ثورة البراق وكان أول الصدامات في ٢٣/ ٨ وانتهت في ٣٠/ ٨ .
٣١/ ٨/ ١٩٣٥	دعا الرئيس الأمريكي هاري ترومان رئيس الوزراء البريطاني أكلي السماح بإدخال مائة ألف يهودي إلى فلسطين .
١٤/ ٨/ ١٩٤٧	قدم الرئيس الأمريكي هاري ترومان إلى حكومة لندن المشروع الذي أقره المؤتمر الصهيوني في باريس والذي ينص على إعطاء اليهود منطقة الدولة اليهودية تقريباً بحسب مشروع بيل ١٩٣٧ مضافاً إليها النقب .
٣١/ ٨/ ١٩٤٧	أنهت لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين (انسكوب) تقريرها وعرضته على الجمعية العامة للأمم المتحدة .

٢١/ ٨/ ١٩٦٩	قام يهودي أسترالي بإحراق المسجد الأقصى، بتواطؤ مع حكومة العدو .
٨/ ٨/ ١٩٧٠	أعلن عن وقف العمليات العسكرية بين مصر والكيان الصهيوني، وهي ما عرفت "بحرب الاستنزاف" .
١٢-١٣/٨/١٩٧٦	مذبحة تل الزعتر التي قامت بها الكتائب وبمساعدة قوات الاحتلال الصهيونية بحق اللاجئين الفلسطينيين في مخيم تل الزعتر في لبنان .
٦/ ٨/ ١٩٨٢	دخلت القوات الصهيونية إلى غرب مدينة بيروت .
٣٠/ ٨/ ١٩٨٢	خروج ياسر عرفات مع رجاله من بيروت عن طريق البحر على ظهر الباخرة أتلانتس التي تحمل العلم اليوناني .
٢/ ٨/ ١٩٨٥	تبنت حكومة العدو الصهيوني سياسة القبضة الحديدية في تعاملها مع الاحتجاجات الفلسطينية .
١٨/ ٨/ ١٩٨٨	صدور ميثاق حركة المقاومة الإسلامية (حماس) .
١٤/ ٨/ ١٩٩٤	قوات سلطة الحكم الذاتي تشن أول حملة اعتقالات بحق حركة (حماس) والقوى المعارضة للعملية السلمية .
سبتمبر (أيلول)	
٦/ ٩/ ١٢٦٠	انتصر المماليك على التتار في معركة عين جالوت .
٢٩/ ٩/ ١٩٢٣	وضع نص الانتداب البريطاني على فلسطين موضع التنفيذ والإجراء .
١٣/ ٩/ ١٩٢٩	عينت الحكومة البريطانية لجنة تحقيق برئاسة قاضي كبير هو السير وولتر شو وعضوية ثلاثة نواب من البرلمان البريطاني للتحقيق في أسباب الاضطرابات ورفع

	التوصيات بشأن التدابير الواجب اتخاذها لمنع تكرار أحداث البراق .
١٩٤٧/٩/١٠	انعقاد مؤتمر فلسطين في لندن بحضور مندوبي الدول العربية والأمانة العامة للجامعة العربية والحكومة البريطانية وغياب وفد فلسطين .
١٩٤٨/٩/١٧	اغتالت العصابات الصهيونية وسيط الأمم المتحدة للسلام الكونت فولك برنادوت .
١٩٥١/٩/١	حضر الملاحة "الإسرائيلية" والدولية من وإلى الكيان الصهيوني عبر قناة السويس .
١٩٦٣/٩/١٩	تعيين أحمد الشقيري ممثلاً لفلسطين في الجامعة العربية .
١٩٧٠/٩/١٩	بداية فتنة أيلول بين الجيش الأردني والفدائيين الفلسطينيين .
١٩٧٨/٩/١٨	التوقيع على معاهدة كامب ديفيد، بين الرئيس المصري أنور السادات ورئيس الوزراء الصهيوني مناحيم بيغن بحضور الرئيس الأمريكي جيمي كارتر وعرفت باسم المنتجع الذي قامت فيه .
١٩٧٩/٩/١٦	الحكومة الصهيونية ترفع الحظر عن شراء اليهود أراضي في الضفة الغربية .
١٩٨١/٩/٢٢	وزارة الحرب الصهيونية تعلن عن مشروع "الإدارة المدنية" للأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ .
١٩٨٢/٩/١٧	ارتكب الصهاينة وبمعاونة قوات الكتائب اللبنانية مجزرة صبرا وشاتيلا ضد الفلسطينيين العزل ليلاً، وقتل فيها أكثر من ٢٠٠ رجل وامرأة وطفل .
١٩٩٣/٩/١٣	وقع الكيان الصهيوني ومنظمة التحرير الفلسطينية إعلان المبادئ (اتفاقية أوسلو) في البيت الأبيض بواشنطن .

٢٤/ ٩/ ١٩٩٥	التوقيع على اتفاقية طابا (اتفاق المرحلة الانتقالية) بين ياسر عرفات ووزير خارجية الكيان الصهيوني شمعون بيريز في القاهرة، والذي يحدد تفاصيل تنفيذ الحكم الذاتي في معظم الأراضي المأهولة بالفلسطينيين في المدن الرئيسة بالضفة الغربية .
٢٥/ ٩/ ١٩٩٧	نجاة رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل من محاولة اغتيال فاشلة قام بها عناصر من جهاز الموساد الصهيوني في العاصمة الأردنية عمان .
٢٨/ ٩/ ٢٠٠٠	اقتحم الإرهابي اريئيل شارون وقوات الاحتلال المسجد الأقصى المبارك فهب المصلون لمنعه من الوصول إلى المصلى المرواني، وشهدت باحات المسجد الأقصى مواجهات عنيفة أسفرت عن إصابة عدد من المصلين الفلسطينيين وعدد آخر من الجنود الصهاينة.. وفي اليوم التالي (٢٩/ ٩/ ٢٠٠٤) وفي جريمة مبيّتة اقتحمت قوات الاحتلال المسجد الأقصى وفتحت النار على المصلين فاستشهد تسعة فلسطينيين وأصيب آخرون.. وهكذا اندلعت انتفاضة الأقصى المباركة .
أكتوبر (تشرين الأول)	
٢/ ١٠/ ١١٨٧	فتح المسلمون بقيادة صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس .
٢٠/ ١٠/ ١٩٢٠	هربرت صموئيل المندوب السامي البريطاني يفتح سجلات بيع الأراضي وبذلك تم فتح الباب لعمليات السيطرة على الأرض من قبل الصهاينة .

٣١/ ١٠/ ١٩٣٠	أصدر وزير المستعمرات البريطانية اللورد باسفيلد كتاباً أبيض -ثاني- حدد فيه أعداد المهاجرين اليهود إلى فلسطين .
١٣/ ١٠/ ١٩٣٣	انطلاق مظاهرة القدس الكبرى، بعد دعوة القيادة الفلسطينية إلى الاحتجاج على أوضاع البلاد .
٢٧/ ١٠/ ١٩٣٣	استشهاد موسى كاظم الحسيني إثر إطلاق النار عليه في مظاهرة كبرى بعد صلاة الجمعة في مدينة يافا .
١٢/ ١٠/ ١٩٣٦	انتهاء الثورة الكبرى .
٢/ ١٠/ ١٩٣٧	بدء الثورة الكبرى مرة ثانية واستمرت حتى نهاية عام ١٩٣٩ .
٧-١١/ ١٠/ ١٩٣٨	عقد مؤتمر برلماني عربي إسلامي في القاهرة، بتوجه من لجنة مصرية برلمانية، وأعلن في المؤتمر بطلان وعد بلفور ووقف الهجرة وبيع الأراضي لليهود .
١/ ١٠/ ١٩٤٨	صدور إعلان استقلال فلسطين عن الهيئة العربية العليا .
١٤-١٥/ ١٠/ ١٩٥٢	قوات الإرهاب الصهيونية ترتكب مذبحة قبية حيث قتل ٤٢ فلسطينياً وهدمت ٤١ منزلاً .
٦/ ١٠/ ١٩٧٣	بدأت حرب رمضان (أكتوبر) على الجبهتين المصرية والسورية ضد الكيان الصهيوني .
١٧/ ١٠/ ١٩٧٣	إشراك النفط في حرب العام ١٩٧٣ كسلاح، بعد عقد وزراء النفط العرب اجتماعاً في الكويت، أقروا فيه تخفيض إنتاج النفط فوراً بنسبة شهرية متكررة لا تقل عن ٥٪ ابتداءً من الشهر الأول الذي يلي الاجتماع .

٢٢/ ١٠/ ١٩٧٣	أصدر مجلس الأمن الدولي القرار رقم ٣٣٨، الذي يقضي بوقف إطلاق النار بين مصر وسوريا من جهة والكيان الصهيوني من جهة أخرى وتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ .
١٤/ ١٠/ ١٩٧٤	وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة على القرار رقم ٣٢١٠ والذي ينص على دعوة التحرير الفلسطينية للاشتراك في مناقشاتها .
٢٨/ ١٠/ ١٩٧٤	القمة العربية في الرباط تقر بالإجماع منظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً شرعياً وحيداً للشعب الفلسطيني .
٨/ ١٠/ ١٩٩٠	استشهاد أكثر من ٣٠ مصلياً وجرح ١٥٠ آخرين آثر قيام جنود الاحتلال بإطلاق النار عليهم في ساحات المسجد الأقصى .
٣٠/ ١٠/ ١٩٩٠	افتتاح مؤتمر سلام الشرق الأوسط في مدريد بحضور أطراف الصراع، ورعاية الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي كراعيين للمؤتمر .
٢٦/ ١٠/ ١٩٩٤	وقع الأردن والكيان الصهيوني معاهدة سلام بينهما في وادي عربة بحضور الرئيس الأمريكي بيل كلينتون .
٢٦/ ١٠/ ١٩٩٥	اغتيال زعيم حركة الجهاد الإسلامي فتحي الشقاقي في مالطا على يد جهاز الموساد .
١/ ١٠/ ١٩٩٧	إطلاق سراح الشيخ أحمد ياسين من المعتقل الصهيوني .
٦/ ١٠/ ١٩٩٧	عودة الشيخ أحمد ياسين إلى قطاع غزة بعد تلقي العلاج في الأردن .

نوفمبر (تشرين الثاني)	
٢/ ١١/ ١٩١٧	أصدرت بريطانيا وعد بلفور الذي يدعو إلى إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين .
١٩/ ١١/ ١٩٣٥	استشهاد الشيخ عز الدين القسام في أحراش يعبد .
١١/ ١١/ ١٩٣٦	وصول اللجنة الملكية البريطانية (لجنة بيل) إلى فلسطين للتحقيق في أسباب الثورة الكبرى .
٢٨/ ١١/ ١٩٣٧	نفذت بريطانيا حكم الإعدام بأمير المجاهدين الشيخ فرحان السعدي عن عمر يناهز ٨٠ عاماً وهو صائم، وهو أحد رفاق الشيخ الشهيد عز الدين القسام .
١٣/ ١١/ ١٩٤٥	الإعلان عن تشكيل لجنة تحقيق أنكلو-أمريكية مشتركة لتقصي وضع اليهود في الدول الأوروبية التي كانوا فيها عرضة للاضطهاد النازي مع الوقوف على حقيقة الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية في فلسطين .
١٣/ ١١/ ١٩٤٧	أعلن ألكسندر كادوجان ممثل بريطانيا في الأمم المتحدة أن بلاده ستجلو عن فلسطين في مطلع أيار/ مايو ١٩٤٨ .
٢٩/ ١١/ ١٩٤٧	صوتت الأمم المتحدة على قرار تقسيم فلسطين بثلاثة وثلاثين صوتاً إلى جانبه مقابل ثلاثة عشر صوتاً ضده وامتناع عشرة أعضاء عن التصويت، وتشكلت لجنة دولية لتسليم الإدارة من حكومة الانتداب في فلسطين بعد جلائها في أول آب/ أغسطس وذلك تحت إشراف مجلس الأمن الدولي .
١٣/ ١١/ ١٩٦٦	هاجمت القوات الصهيونية قرية السموع جنوب الخليل وقتلت ١٨ شخصاً وجرحت ٥٤ شخصاً وهدمت ١٢٥ واسعة النطاق مع الكيان الصهيوني .

٤/١١/١٩٦٦	عقدت بين سوريا ومصر "اتفاقية الدفاع المشترك" لتوحيد قيادة العمل العسكري إزاء أية مواجهة عسكرية واسعة النطاق مع الكيان الصهيوني .
٢٢/١١/١٩٦٧	أصدر مجلس الأمن الدولي القرار رقم ٢٤٢، والذي يدعو "إسرائيل" إلى الانسحاب من جميع الأراضي التي احتلت في حرب العام ١٩٦٧ .
٢٩/١١/١٩٦٧	بدأ مبعوث الأمم المتحدة جوناريارنج للشرق الأوسط جولاته من أجل إيجاد حل للصراع في الشرق الأوسط، حيث قام بـ ١٥ جولة بين عواصم الشرق الأوسط .
٥/١١/١٩٧٣	بدأ وزير الخارجية الأمريكية هنري كيسنجر جولاته المكوكية في الشرق الأوسط للعمل على فصل القوات المصرية والسورية من جهة والإسرائيلية من جهة أخرى على جبهات القتال .
٢٧/١١/١٩٧٣	القمة العربية في الجزائر تصدر قرار الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً شرعياً ووحيداً للشعب الفلسطيني .
١٠/١١/١٩٧٥	تبنت الجمعية العامة للأمم المتحدة القرار رقم ٣٣٧٩ الذي يساوي الصهيونية بالعنصرية .
١٩/١١/١٩٧٧	قام الرئيس المصري أنور السادات بزيارة القدس كأول رئيس عربي يزور الكيان الصهيوني علناً منذ إنشائه .
١/١١/١٩٨١	بدء تطبيق نظام الإدارة المدنية في الضفة الغربية ورئيسها مناحيم ميلسون .
١٥/١١/١٩٨٨	أعلن المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الطارئة

	المنعقدة في الجزائر قيام الدولة الفلسطينية المستقلة في غزة والضفة الغربية وعاصمتها القدس الشريف واعترف ضمنياً "بإسرائيل" وذلك بقبول قراري مجلس الأمن ٢٤٢، و ٣٣٨ .
٢٤/ ١١/ ١٩٩٣	استشهاد عماد عقل أحد أبرز القيادات العسكرية لكتائب عز الدين القسام الجناح العسكري لحركة حماس، إثر مواجهات عنيفة مع جنود العدو الصهيوني .
١٨/ ١١/ ١٩٩٤	شرطة الحكم الذاتي تقتل ١٢ مواطناً فلسطينياً وتجرح أكثر من ٢٠٠ آخرين لدى خروجهم من صلاة الجمعة في مسجد فلسطين بمدينة غزة.
٤/ ١١/ ١٩٩٥	اغتيال رئيس الوزراء الصهيوني إسحاق رابين على يد المتطرف اليهودي إيغال عمير وتعد هذه أول حادثة اغتيال سياسي في الكيان الصهيوني .
ديسمبر (كانون الأول)	
٩/ ١٢/ ١٩١٧	احتل الجنرال البريطاني أدموند اللنبي مدينة القدس .
٧/ ١٢/ ١٩٣١	افتتاح المؤتمر الإسلامي العام في المسجد الأقصى، وكان من أهدافه العمل على حماية بيت المقدس .
١٨/ ١٢/ ١٩٤٧	إنشاء الهيئة العربية الكبرى أثناء انعقاد مجلس الجامعة العربية المنعقدة في بلودان بسوريا .
٢٥/ ٢/ ١٩٤٧	تأسيس كتائب الجهاد المقدس على أرض فلسطين بقيادة عبد القادر الحسيني .
٨/ ١٢/ ١٩٤٩	أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً يقضي

	بإصدار الوكالة الدولية لإغاثة اللاجئين الفلسطينيين وتشغيلهم (الأونروا) .
١٦/ ١٢/ ١٩٤٩	أعلن رئيس الوزراء الصهيوني ديفيد بن غوريون بأن القدس ستصبح عاصمة لدولة إسرائيل ابتداءً من ١/ ١/ ١٩٥٠ .
٢١/ ١٢/ ١٩٧٣	افتتاح مؤتمر جنيف للسلام بحضور كل من الجمهورية العربية المتحدة والأردن والكيان الصهيوني تحت إشراف الأمين العام للأمم المتحدة والرئاسة المشتركة لكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي .
٩/ ١٢/ ١٩٨٧	انطلاق الانتفاضة الفلسطينية المباركة .
١٤/ ١٢/ ١٩٨٧	الإعلان عن حركة المقاومة الإسلامية حماس بصدور أول بيان لها في الانتفاضة المباركة .
١٤/ ١٢/ ١٩٨٨	الولايات المتحدة الأمريكية تقرر إقامة حوار مع منظمة التحرير الفلسطينية .
١٧/ ١٢/ ١٩٩٢	إبعاد ٤١٥ شخصاً من أعضاء حركتي " حماس " والجهاد الإسلامي إلى مرج الزهور في جنوب لبنان .

الفصل الخامس

مَنْ نَحْنُ ؟!

نحن الدعاةُ إلى لقاء المؤمنين

نَحْنُ الدعاةُ إلى لقاء المُؤْ ... منين ! وفاؤنا عَهْدٌ بذلك قائمُ

مَنْ نحنُ ؟! نحن المسلمون المؤمنو ... نَ إذا تساءلَ جاهلٌ أو ظالمُ

نَحْنُ الذين نُريدُ شَرْعِ الله أَعْـ ... ـلى في الحياة ! ودينُه هو حَاكمُ

نَمْضي على هذا الصِّرَاط المُسْتَقيـ ... ـم يَقُودُنَا نُورٌ سَرَى وعَزائمُ

نَدْعُو الخَلائقَ كُلَّها لرسالة ... حَقٍّ وَهَدْي للنُّفوس يُلازمُ

وبها نَنَالُ العَزَّ في الدنيا هُدىً ... وتُشَدُّ فينا عَزْمَةٌ ودعَائمُ

وَنَنَالُ في الأُخْرى النَّجاةَ ورَحْمَةً ... وَرُؤى الجنانِ بها نعيمٌ دائمُ

* * *

نَحْنُ الدُّعاةُ إلى لقاء المُؤْ ... منيْنَ ! وَفَاؤُنَا عَهدٌ بَذلك قَائمُ

نَهْجٌ أَبَرُّ وَلُحْمَةٌ مَوْصُولَةٌ ... وبنَاءُ أَجْيَال عَلَيه تَزاحَمُ

كُلٌّ عَلى آماله مُتَواثبٌ ... لله يَدْفَعُهُ تُقىً وَعَزائمُ

والله يَعلَمُ ما تُكِنُّ صُدورُنا ... كُلٌّ على نيّاتِهِ هُو قَادمُ

* * *

مَنْ نَحْنُ ؟! مَدْرَسَةٌ يقومُ بها الدُّعَا ... ةُ فَرَاكضٌ أَوْ سَابقٌ أو عَازمُ

سَعْياً إلى دَار الجنَان ! ورَحْمَةٌ ... تَغْشَى ! وفَوْزٌ عِنْدَها وَمَغَانمُ

نهجٌ أَبَرُّ على الصِّرَاط المُسْتَقيـ ... ـم مُبَيَّنٌ ! وأُخُوَّةٌ وتَراحُمُ

وَرِسَالَةٌ لله نَحْمِلُها إلى الدُّ ... نْيا نُجاهدُ دُونَها ونُسَالمُ

نهجٌ ومَدْرَسَةٌ ! وأَهْدافٌ عَلى ... هذا الصّراطِ المُسْتقيم مَعَالِمُ

هَدَفٌ لنا أَسْمى يَشُقُّ سَبيلَنا ... سَعْياً إليه من النُّفوس عَظائمُ
بَذْلٌ لِمَنْ يَبْغي الجِنانَ ووَثْبَةٌ ... لله صادقةُ الهوى ومَلاحِمُ

* * *

نَهْجٌ يقوم على الكتَاب وسُنّة ... غَرَّاءَ يَجْلُوهَا رَسُولٌ خَاتَمُ
نَهْجٌ يجَمِّعُ كُلَّ قَلْب صَادقٍ ... لله يَدْفَعُهُ يَقينٌ حَازمُ
صَفٌّ كَبُنْيَان يُشَدُّ بنَاؤُه ... وتُرَصُّ أَرْكَانٌ لَهُ ودَعَائمُ
هَذا سَبيل النَّصْرِ ! نَصْرٌ صَادقٌ ... وَعْدٌ لِمَنْ أَوْفَى الأمانةَ دائمُ
وَعْدٌ منَ الرّحْمن حَقٌّ بَالغٌ ... وَسَواهُ وَهْمٌ خَادعٌ ومَزَاعمُ
وَعْدٌ لأمّة أَحْمَدٍ إنْ أَقْبَلَتْ ... صَفّاً يُرَصُّ وأُمَّةً تَتَرَاحَمُ

* * *

المسلمونَ تَفَرَّقوا شيَعاً وأَحْـ ... ـزَاباً وكُلٌّ في هواهُ هائمُ
فَتَفَتَّحَتْ للمشْركين مَنافذٌ ... يتسلّلون ! فمجرمٌ أو ظالمُ
وَتسَلَّلَتْ بين التُّخُومِ ثَعالبٌ ... وكواسرٌ هاجَتْ هُنا وأَراقمُ
فتَنٌ تُدَار مع الفَواجِع والنَّوا ... زل والمجازر ! والأسى يَتَفاقمُ
فَإذا الهوانُ هوى بنا والقهْرُ والأَ ... خْطارُ والإذْلالُ لَيْلٌ فَاحِمُ
غَضَبٌ من الجبَّار حلَّ بساحنا ... فإذا عذابُ الله فينا داهمُ
هذا بما كسبته أيدينا وما ... تُخْفيه أنْفُسُنا وما هو رَاغمُ
والنَّاسُ وَيْحَهم ! فهذا تائهٌ ... لا يَسْتجيبُ وذاك عَبْدٌ نَائِمُ

* * *

مَنْ للمؤمنين إذا تَفَرَّقَ جمعهم ... وَطَغَتْ عليهم فتْنة وسَخائمُ
لا مَلْجَأٌ أَبَداً ولا منجى لنا ... ما دام يُشْغلنا هوىً وتخاصُمُ

مـا دامَت الـدُّنْيـا هَـوانا والهَـوى　　　طَـاغٍ وأَحْـلام النُّفـوسِ غَـواشِمُ

* * *

هَـذا سـبـيـل الله نـورٌ مُـشْـرقٌ　　　وصـراطُـه لـلـه دَرْبٌ قَـائـم

وعلـيـه صفٌّ المؤمنين ! لقـاؤهـمُ　　　دَرْبُ النَّـجـاة ! سـواهُ دربٌ قَـاتمُ

هذا لـقـاء المؤمنين ! فَـمَنْ يَـهُـب　　　بُّ إلى الـلقـاءِ ؟!ومَنْ تَـراهُ يُسَـاهِمُ

* * *

الخـاتمـة

موجز للعبة الماكرة في قضية فلسطين

نستطيع أن نلخص **تاريخ قضية فلسطين** منذ لحظة بدايتها حتى اليوم ، بأنها تاريخ وفد قادم من الغرب ، ووفد ذاهب للغرب ، ومفاوضات ممتدّة لم تقدّم ولو مرّة واحدةً أيَّ شيء عادل حقّ لأهل فلسطين .

وكذلك فشل كلِّ محاولة لجمع كلمـة المسلمين على هذه القضية كما يأمر الله ، لوهن في النفوس ، ولتمزق المسلمين ، وإصرار الأعداء على مواقفهم وعدوانهم صفّاً واحداً خلال هذه المدة كلها ، وغياب النهج والتخطيط لدينا ، وتوافر ذلك لدى الأعداء !

وقد قام الأعداء مع هذا التاريخ الطويل ومن خلال نهجهم وخطتهم ومكرهم بغزو العالم الإسلامي غزواً متعدد الأشكال في وقت واحد : غزوٌ فكريٌّ ممتدٌّ مع إصرار وبذل ينشرون به الفتن بين المسلمين ، وتفلّت الجنس والفاحشة تحت شعار الحرّية الفرديّة ، والاشتراكية والديمقراطية والعلمانية والعولمة مزخرفة بكل أنواع الزخارف لتغري من ناحية وتخفي سوءاتها من ناحية أخرى . وكذلك نشر الخمور وكلّ ما حرّمه الله ، ليُخدروا النفوس ويصرفوها عن الحق ، عن دين الله ، وعن صدق الالتزام . يضاف إلى ذلك الغزو العسكري الوحشيّ الذي امتدّ زمناً غير قليل في حملات متتالية منذ الحروب الصليبية وإلى يومنا هذا .

ومن خلال هذا المكر والكيد استطاع الأعداء أن يمسكوا بمعظم خيوط القضية ، ويحركوا بها القوى والأحداث على قدر حقٍّ من الله وابتلاء شديد للمسلمين ، عسى أن يستيقظوا ، ولكن لم يستيقظوا إلا إلى الشعارات التي سرعان ما أخذت تتساقط وإلى الشقاق والصراع فيما بينهم حتى لا يكاد ينتهي .

ومن خلال هذا المكر والتخطيط لدى الأعداء استطاعوا شراء أعداد هائلة من النفوس بالمال أو الإرهاب أو الإغراء ، حتى تكوَّنَ لديهم جيش في داخل أمّتنا ، منا ومن أنفسنا ، يوفّر على الأعداء جهوداً كثيرة .

ومن خلال ذلك كله استطاعوا أن ينقلوا قضية فلسطين من قضية إسلامية كما بدأت ، ثم إلى قضية عربية عزل فيها المسلمون عملياًّ عن القضية ، ثم استطاعوا نقلها قضية فلسطينية يتحمل فيها الفلسطينيين وحدهم مسؤولية المجابهة العسكرية مع إسرائيل ، دون أن يكون لديهم أيُّ إعداد حقيقي أو عدّة من سلاح يوازي سلاح اليهود ، أو أيّ نهج أو خطة لتحقيق الشعارات المدوّية التي تدغدغ العواطف ، وتجمع حولهم الأنصار دون وعي أو دراسة أو بناء ، مع إعلان منظمة التحرير أنها حركة علمانية تدعو إلى دولة علمانية .

وقد حملت منظمة التحرير الفلسطينية مسؤولية هذه المرحلة الأخيرة ، وأعلنت مع انطلاقها أنها ستحرر فلسطين كلها ، وتقضي على دولة اليهود ، ولم يسأل أحد من الأمة : **يا منظمة التحرير ما هي الخطة والإعداد لتحقيق شعاراتكم ؟!** ومضوا على هذا حتى أعلنت منظمة التحرير بوضوح وصراحة أنه لا قدرة لها على تحرير فلسطين ، وغيرت ميثاقها على أساس ذلك ، ودخلت في مرحلة جديدة من المفاوضات لتحقيق سلام مع إسرائيل ، واستمرت المفاوضات في مؤتمر كامب ديفيد ، وأوسلو وغيرهما وامتدت حتى اليوم .. !

ولما ظهرت حماس أعلنت أمرين أساسيين : **الأول أن منظمة التحرير هي أقرب المقرّبين لها ففيها الأخ والعم والخال ، وهل يهجر المسلم أخاه أو أباه أو عمه ؟!!! والثاني أنها ستحرّر فلسطين من النهر إلى البحر** . وصفّق الناس على هذا وله ومن أجله ، وجمعوا حولهم المؤيدين والأنصار ، ولم يسأل أحد أبداً حماساً : **ما هي الخطة والإعداد والإمكانات لتحقيق هذه الشعارات ؟!!! كما لم يسألوا قبل ذلك منظمة التحرير ! ولم ينصحْ أحد حماساً !**

وأيَّدت حماس والإخوان المسلمون منظمة التحرير في مراحلها المختلفة وهي تدعو إلى العلمانية جهاراً ! وقامت الانتفاضة الأولى على أثر اندفاع سيارة يهوديّة في غزة لتصطدم بسيارات أخرى فيُقْتل بعض الناس ، ثم يختفي السائق اليهودي وتتلقّفه سيارة يهودية أخرى ، كانت جاهزة لأخذه والاختفاء به ، ثم كيف قامت

الانتفاضة ، ومن تابع الخطوة الثانية بعد خطوة السيارة اليهودية ، ذلك لم يكشف عنه حتى الآن ، إلا أن الإعلام وجميع القوى أيّدت الانتفاضة ، وقامت لها مهرجانات ، وجمعت لها الأموال من الدول والشعوب في جميع أنحاء الأرض ، **ودون أن يسأل أحد ما هي الخطة لتحقيق الشعارات ؟!!** وسارت الأمور على هذا النحو : عاطفة جياشةَ وحماسة ملتهبة ، وظن الناسُ أن القضاء على إسرائيل قاب قوسين أو أدنى . وضخّم الإعلام كل عملية من عمليات الانتفاضة . وحتى هدأت الانتفاضة وصمتت .

ثم دخل شارون المسجد الأقصى يتحدى العالم الإسلامي كله . دخله ولديه نهجه وخطته ، وهاج الفلسطينيون والعرب ، وعلت الأصوات ، وقامت الانتفاضة الثانية ، كما قامت الأولى ! من أقامها ومن كان وراءها ، **وما هي الخطة والنهج والإعداد ، ولا أحد يسأل وحسبنا دويّ الشعارات** .

وانتهت الانتفاضة الثانية ! وكانت نتيجة الانتفاضتين أن امتدت مساحة إسرائيل من ٥٦٪ من فلسطين كما كان مقرراً في قرارات التقسيم إلى ما يزيد عن ٩٠٪ . يضاف إلى ذلك الأعداد الهائلة من القتلى من الفلسطينيين ، وتدمير البيوت ، وخسائر كثيرة في فلسطين والعالم العربي ، وتراجع قضية فلسطين كثيراً !

وهنا أعلنت حماس بصورة أو بأخرى أنها غير قادرة على تحقيق شعاراتها وتحرير فلسطين ، فتحوّلت الشعارات إلى المطالبة بدولة فلسطينية بحدود سنة ١٩٦٧م .وانتهت كليةً المطالبة بتحرير فلسطين إلا من حيث شعارات تخفي الهزيمة ، مثل المطالبة بهدنة طويلة أو قصيرة ، ومثل شعار لن نعترف بإسرائيل .

وأصبح شعار الجميع المناداة بدولة فلسطينية على قطاع غزة ،وقسم من الضفة الغربية ، لا تكاد تشكل مساحة أكبر من ١٥٪ من فلسطين . مع استمرار شعارات التغطية : لن نعترف بإسرائيل ويمكن أن تجري هدنة طويلة الأمد ، والإعلام يظلّ يغذي هذه الاتجاهات .

هنا أصبحت القضية المطالبة بدولة لا تملك أيّ إمكانات الدولة : فالماء يأتي إليها من إسرائيل ، والكهرباء من إسرائيل والأموال من إسرائيل والدول المانحة ، وإسرائيل تستطيع أن تدخل في أي وقت تشاء إلى أيّ نقطة من هذه الدولة المَزعومة الميّتة . ولو قامت هذه الدولة فإنها لن تكون أكثر من سلطة خاضعة كلية لإسرائيل .

هنا اختلفت الشعارات والجهود والأهداف والآمال ، أو أنها كُشفت أخيراً بعد طول إخفاء . فهناك دولة وأموال من أوروبا وغيرها ، وهناك مناصب ، وهناك دنيا مؤثرة ، تفرض الصراع والنزاع بين الفلسطينيين ، خاصة وأن الخيوط كانت ومازالت بأيدي الأعداء . فدار الصراع الشديد بين حماس ومنظمة التحرير ، وأصبح الذي كان بالأمس أقرب المقرّبين أشدَّ الأعداء ، ودار الصراع وتحوّل إلى قتال شديد وقع فيه عدد غير قليل من القتلى . أسوأ من ذلك الاتهامات التي كشفت عن حقد دفين تفجّر ، وتولّى الإعلام تغذية الخلاف وإشعال ناره .

وأقيمت انتخابات ، والخيوط مازالت في يد الأعداء . ونجحت حماس ، وكونت الحكومة ، ففشلت ولم تستطع أن تفعل شيئاً ، وعاد الصراع ، وقامت حكومة وحدة وطنية ففشلت ، وعاد الصراع ، واحتلت حماس قطاع غزّة ، وهللوا وكبّروا في أجواء مازالت الشعوب العربية والإسلامية والفلسطينية فيها في غفوة كبيرة وسبات عميق .

لقد وضح بشكل يقينيّ أنه لا قدرة لأحد على مجابهة حقيقية لإزالة إسرائيل " **وإلقائها في البحر** " : الفصائل الفلسطينية واحدة واحدة غير قادرة ، وهم مجتمعون إن اجتمعوا غير قادرين ، ومنظمة التحرير أعلنت بأكثر من أسلوب أنها غير قادرة ، والدول العربيّة أعلنت موقفها في مؤتمر القمة في بيروت . إذن لماذا لم يكن هنالك صدق ومصارحة ، ولا بحث عن طريق يرضي الله لا ضجيج شعارات فيه ، ولا تساقط شعارات ، ولا صراع ولا شقاق ولا نفاق . درب يرسمه الله لنا ، صراطاً مستقيماً بيَّنه الله لنا وفصّله !

الحقيقة كانت جليّة أمام الجميع ، منذ اللحظات الأولى . كان أهل فلسطين يقومون بثورة بعد ثورة ، وهم تحت سلطة الانتداب البريطاني الذي وفّر لليهود كل أسباب القوة وأجهض جميع نشاط أهل فلسطين . والعالم العربي والعالم الإسلامي غائب عن ذلك كلّ الغياب ، إلا من مؤتمرات ومداولات واجتماعات لم تغنِ شيئاً .

ومنذ قيام دولة اليهود أعلن جميع وزراء الدول الغربية بتصريح ثابت : " **إنّ إسرائيل وجدت لتبقى** " ! ودوّت الإذاعات بهذا التصريح مع سنة ١٩٤٩م . إذن دولة اليهودُ التي قامت في فلسطين معها صفّ متراص متساند من أمريكا وإنكلترا وفرنسا وألمانيا وأوروبا كلها حكومات وشعوباً ، وروسيا واليابان والصين . كلهم يدعمون دولة اليهود ويمدّونها بالمال والسلاح ويتعهّدون بحمايتها وهم جادّون بذلك .

فلماذا تجاهل العرب والمسلمون هذا الواقع ، ولم يبدؤوا منذ ذلك الوقت بالإعداد الصادق لمعركة مقبلة دون ارتجال ؟!

لماذا تجاهلت الفصائل الفلسطينية ومنظمة التحرير وحركة حماس هذا الواقع ، وملأوا الفضاء بالشعارات لتحرير فلسطين وإلقاء اليهود في البحر ، حتى جاء أحمدي نجاد من إيران يضيف شعاراً إلى شعارات بأنه يجب حذف إسرائيل من الخريطة أو من الأرض كلها ؟!!!!

لقد كان خيراً من ذلك الإعدادُ الهادئ ، وبناء الأمة المسلمة الواحدة الصادقة مع ربها ، حتى تصبح الأمة قادرة على تنفيذ ما تقول . إن التهريج وإلقاء الشعارات لدغدغة الجماهير وحشد الأنصار حشداً مؤقتاً دون أن تكون الجماهير قد أعدت للمعركة ، أمر يقود إلى الهزيمة والخسران ، ويقود إلى معصية الله ثمّ إلى غضبه وعقابه .

الأمور كانت واضحة جليّة ، فلماذا لم يكن هناك صدق ولا مصارحة ، ولا

خطة ولا إعداد ، بل تهريج وضجيج وعنتريات ، ثم هزائم وهزائم ، وفضائح وقتلى وتدمير وخسارة كبيرة ؟؟؟!!!!

لقد قلت وكررت ما قلته منذ سنة ١٩٥٦م ، كررته مراراً ومازلت أقوله اليوم وغداً ، إذا لم تقم أمة الإسلام الواحدة صفّاً واحداً كالبنيان المرصوص صادقة مع ربها ، فلن تعود فلسطين . قلت هذا منذ اللحظة الأولى لياسر عرفات وصلاح خلف وخليل الوزير وكمال عدوان رحمهم الله وغفر لهم ، وأعدتُ ذلك لحماس وللإخوان المسلمين وللحركات الإسلامية كلها ، وأكّدت ذلك في ندوات ومحاضرات في أوروبا وفي البلاد العربية ، وأكدت ذلك في كتبي وقصائدي وملاحمي .... !

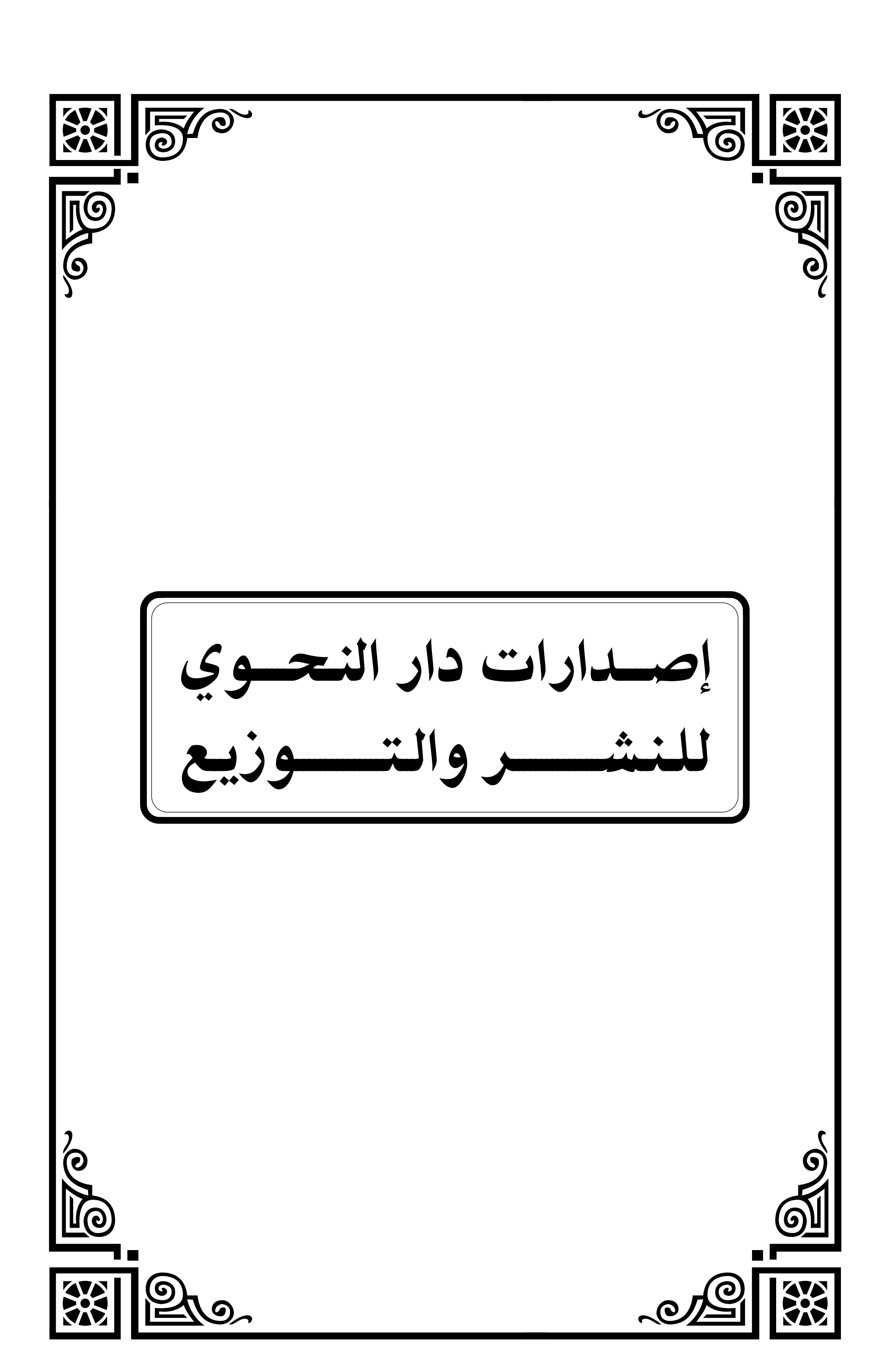
إذا لم تقم في الأرض أمة أحمد   كل الذي يجري على الساح ضائع

* * *



فهـــرس المـــوضوعـــات

فهـرس كتـــاب
فلسطـين
واللعبـة المـاكــرة !



إصـــدارات دار النحــوي
للنشـــــر والتـــــوزيع

إصدارات دار النحوي للنشر والتوزيع

* مـؤلفـات الدكـتـور عـدنان علي رضـا النحـوي

الرقم	اســـم الكتـــــاب	الطبعـة
	أولاً : كتب توجز النهج العام والنظرية العامة للدعوة الإسلامية :	
١	موجز النهج العام للدعوة الإسلامية وأساس لقاء المؤمنين	ط ١
٢	موجز النظرية العامة للدعوة الإسلامية والنهج العام وأساس لقاء المؤمنين	ط ٢
٣	أضواء على طريق النجاة	ط ١
٤	النهج والممارسة الإيمانيّة في الدعوة الإسلامية	ط ٤
٥	كيف تلتقي الجماعات الإسلامية	ط ١
٦	الموجز الميسَّر لنهج مدرسة لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن ومناهجها	ط٢
	ثانياً : كتب تفصل النهج العام والنظرية العامة في الدعوة الإسلامية :	
٧	دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية	ط ٦
٨	منهج المؤمن بين العلم والتطبيق	ط ٥
٩	النظرية العامة للدعوة الإسلامية – نهج الدعوة وخطة التربية والبناء	ط ٣
١٠	منهج لقاء المؤمنين	ط ٢
١١	لقاء المؤمنين – أسسه وقواعده – الجزء الأول	ط ٥
١٢	لقاء المؤمنين – الأهداف – الجزء الثاني	ط ٤
١٣	العهد والبيعة وواقعنا المعاصر	ط٣
١٤	قبسات من الكتاب والسنة تدبر وظلال – الجزء الأول	ط ٢
١٥	قبسات من الكتاب والسنة تدبر وظلال – الجزء الثاني	ط ١
١٦	الفقه امتداده وشموله في الإسلام بين المنهاج الرباني والواقع	ط١
١٧	الإسلام أركان وبناء – تذكير ونصح	ط١
١٨	فقه الإدارة الإيمانية في الدعوة الإسلامية	ط ١
١٩	المسؤولية الفردية في الإسلام : أسسها وتكاليفها وتميزها	ط ١
٢٠	التربية في الإسلام – النظريّة والمنهج .	ط١
٢١	النهج الإيماني للتفكير	ط١

الرقم	اســـــم الكتـــــاب	الطبعـة
٢٢	عهد الله والعهد مع الله بين التفلت والالتزام	ط١
٢٣	حتى نتدبّر منهاج الله	ط١
٢٤	حتى نغيّر ما بأنفسنا	ط١
٢٥	لؤلؤة الإيمان فريضة طلب العلم ومسئولية المسلم الذاتية (المنهاج الفردي)	ط١
٢٦	النهج في موضوعاته ومصطلحاته	ط١
٢٧	الموازنة وممارستها الإيمانية	ط١
٢٨	الاختلاف بين الوفاق والشقاق	ط١
٢٩	مواجهة المشكلات والأخطاء والتقصير وعلاجها	ط١
ثالثاً: كتب تعرض أهم قضايا التوحيد في واقعنا المعاصر والنهج للدعوة والبلاغ والبيان :		
٣٠	التوحيد وواقعنا المعاصر	ط ٣
٣١	الحقيقة الكبرى في الكون والحياة	ط ١
٣٢	النية في الإسلام وبعدها الإنساني	ط ١
٣٣	النية إشراقَة في النفس وجمال	ط ١
٣٤	الولاء بين منهاج الله والواقع	ط ٤
٣٥	الحوافز الإيمانيّة بين المبادرة والالتزام	ط ٤
٣٦	الخشـــــــوع	ط ٢
٣٧	النبي العظيم والرحمة المهداة محمد ﷺ	ط ١
رابعاً: كتب تدرس بعض القضايا الفكرية في الواقع الإسلامي وأهم أحداثه وتعتبر الملاحم جزءاً من دراسة الواقع :		
٣٨	الشورى وممارستها الإيمانية	ط٤
٣٩	الشورى لا الديمقراطية	ط ٥
٤٠	الصحوة الإسلامية إلى أين ؟	ط ٣
٤١	التعامل مع مجتمع غير مسلم من خلال الانتماء الصادق إلى الإسلام	ط ١
٤٢	واقع المسلمين أمراض وعلاج	ط ١
٤٣	بناء الأمة المسلمة الواحدة والنظرية العامة للدعوة الإسلامية	ط ١
٤٤	المسلمون بين العَلمانية وحقوق الإنسان الوضعيَة	ط ١
٤٥	المرأة بين نهجين الإسلام أو العلمانية	ط١

الرقم	اسـم الكتـاب	الطبعـة
٤٦	على أبواب القدس	ط٣
٤٧	فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع	ط ٤
٤٨	فلسطين واللعبة الماكرة	ط١
٤٩	عبدالله عزام أحداث ومواقف	ط ٣
٥٠	حوار الأديان – دعوة أم تقارب أم تنازل	ط ١
٥١	الانحراف	ط ١
٥٢	كيف ضيِّعت الأمانة التي خلقنا للوفاء بها ؟!	ط ١
٥٣	حرّية الرأي في الميدان	ط ١
٥٤	هذا هو الصراط المستقيم فاتَّبعوه !	ط ١
٥٥	المسلمون بين الواقع والأمل	ط ١
٥٦	تمزق العمل الإسلامي بين ضجيج الشعارات واضطراب الخطوات	ط١
٥٧	الرِّبـَـا وخطره في حياة الإنسان	ط ١
٥٨	الدعوة الإسلامية بين الأحزاب والجماعات	ط ١
٥٩	هوان المسلمين أمام الواقع وتعدد المواقف والاتجاهات والاجتهادات	ط١
٦٠	العولمة والإسلام	ط١
٦١	الشريعة والحياة المعاصرة	ط١
٦٢	فقه الاستشهاد في سبيل الله	ط١
٦٣	المرأة والأسرة المسلمة والتحدِّيَّات في واقعنا المعاصر	ط١
٦٤	الإسلام والحرّيّة وحريّة المعتقد	ط١
	خامساً : كتب تدرس الأدب الملتزم بالإسلام والنقد (النصح) الأدبي ، وترد على المذاهب الأخرى :	
٦٥	الأدب الإسلامي – إنسانيته وعالميته	ط ٤
٦٦	الأدب الإسلامي في موضوعاته ومصطلحاته	ط ١
٦٧	النقد الأدبي المعاصر بين الهدم والبناء	ط١
٦٨	أدب الوصايا والمواعظ في الإسلام منزلته ونهجه وخصائصه الإيمانية والفنية	ط١
٦٩	أدب الأطفال الإسلامي وأثره في تربيتهم العقدية الصحيحة	ط١
٧٠	التجديد في الشعر بين الإبداع والتقليد والانحراف	ط١
٧١	لماذا اللغة العربية ؟	ط١
٧٢	الحداثة في منظور إيماني	ط٥

الرقم	اســــم الكتــــاب	الطبعـة
٧٣	تقويم نظرية الحداثة وموقف الأدب الإسلامي منها	ط٣
٧٤	الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام	ط ١
٧٥	الموجز في دراسة الأسلوب والأسلوبية	ط١
٧٦	الشعر المتفلّت بين النثر والتفعيلة وخطره	ط١
٧٧	تجربتي الشعرية وامتدادها	ط١
٧٨	قراءة في قصيدة مهرجان القصيد أو الأدب الإسلامي	ط١
٧٩	الملحمة بين التصوّر الإيماني والتصور الوثني	ط١
٨٠	اللغة العربية بين مكر الأعداء وجفاء الأبناء	ط١
٨١	أهم الأخطاء الشائعة اليوم في اللغة العربية	ط١
	سادساً : الدواوين الشعرية :	
٨٢	ديـوان الأرض المباركـة	ط٦
٨٣	ديوان موكب النور	ط٤
٨٤	ديوان جراح على الدرب	ط ٣
٨٥	ديوان مهرجان القصيد	ط٢
٨٦	ديوان عبر وعبرات	ط١
٨٧	ديوان حرقة ألم وإشراقة أمل	ط١
٨٨	درة الأقصى	ط١
٨٩	أكثروا ذكر هاذم اللذات - أب يرثي ابنه	ط١
٩٠	أيـن الجـنى ؟!	ط١
	سابعاً : الملاحم الشعرية وتعتبر جزءاً من دراسة الواقع وأحداثه :	
٩١	ملحمة فلسطين	ط ٥
٩٢	ملحمة الأقصى	ط ٢
٩٣	ملحمة الجهاد الأفغاني	ط ٣
٩٤	ملحمة البوسنة والهرسك	ط ٢
٩٥	ملحمة الإسلام في الهند	ط ٢
٩٦	ملحمة القَسطنطينية	ط ٢
٩٧	ملحمة الغرباء	ط٣
٩٨	ملحمة أرض الرسالات	ط ١

الرقم	اســـم الكتـــــاب	الطبعـة
٩٩	ملحمة الإسلام من فلسطين إلى لقاء المؤمنين	ط ١
١٠٠	لهفي على بغداد	ط ١
١٠١	ملحمة بين سجن «أبو غريب» ورفح	ط١
١٠٢	ملحمة أفغانستان	ط١
١٠٣	ملحمة الطوفان "تسونامي"	ط١
١٠٤	ملحمة التاريخ ! قيام الدولة الإسلامية وسقوطها	ط١
ثامناً : كتب في الدعوة الإسلامية باللغة الإنجليزية :		
١٠٥	خطة الداعية (The Caller's Plan)	ط٢
تاسعاً : كتب في علوم أخري :		
١٠٦	دراسة الموجات الالكترومغناطيسية المتوسطة «بالإنجليزية»	ط١
عاشراً : كتب ترجمت إلى لغات أخرى :		
١٠٧	لقاء المؤمنين – الجزء الأول «ترجم إلى اللغة التركية»	ط ١
١٠٨	فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع «ترجم إلى اللغة التركية»	ط ١
١٠٩	فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع « ترجم إلى اللغة الإنجليزية »	ط ١
١١٠	لماذا اللغة العربية « ترجم إلى اللغة الأوردية »	ط ١
أحد عشر : الصوتيات والمرئيات :		
١	أضواء على طريق النجاة	فيديو وكاسيت
٢	لمحة عن واقع المسلمين أمراض وعلاج	فيديو وكاسيت
٣	الإسلام أركان وبناء – تذكير ونصح	فيديو وكاسيت
٤	الأُسلوب والأُسلوبيّة	فيديو وكاسيت
٥	درة الأقصى	فيديو وكاسيت
٦	النيَّة إشراقة في النفس وجمال ويَقَظةٌ في القلب ووعي	كاسيت
٧	حديث النفس بين الدنيا والآخرة	كاسيت
٨	التعامل مع مجتمع غير مسلم	فيديو وكاسيت
٩	وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه	فيديو وكاسيت
١٠	قضايا في الأدب الملتزم بالإسلام	فيديو وكاسيت
١١	المسلمون في الغرب بين الإسلام والعلمانية	فيديو وكاسيت
١٢	محاضرة الوصايا والمواعظ	فيديو وكاسيت

الرقم	اســـم الكتـــــاب	الطبعـة
١٣	ندوة شعرية – عمان	فـيـديو وكـاسـيت
١٤	ندوة شعرية عن فلسطين	فـيـديو وكـاسـيت
١٥	ندوة شعرية – جامعة قطر	فـيـديو وكـاسـيت
١٦	ندوة شعرية – مؤسسة (مركز) الملك فيصل	فـيـديو وكـاسـيت
١٧	محاضرة : «وحملها الإنسان»	كـــاســـيت

*** كتــب لمؤلفــين آخــريــن :**

الرقم	اســـم الكتـــــاب		الطبعـة
١	من ذخائر التراث الإسلامي	الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي	ط ١
٢	ملحمة بنت حواء المغربية	الدكتور عبدالرحمن عبدالوافي	ط ١
٣	معجم مصطلحات الأدب الإسلامي	الدكتور محمد بن عبدالعظيم بنعزوز	ط ١
٤	الإبدال والإعلال دراسة نظرية تطبيقية في قصيدة البردة	الدكتورة منيرة محمود الحمد	ط ١
٥	النفخ في الطين قفو الأثر في أسماء السور	الدكتور حسن الأمراني	ط ١
٦	قصيدة الإسراء	الدكتور حسن الأمراني	ط ٣
٧	ديوان أين الطريق	مصطفى حسن حمد الله النبالي	ط١
٨	قالت لي أمي – قصة	أفنان سمير الحلو	ط١
٩	كمين في منتصف الليل	منى محمد العمد	ط١
١٠	الحقوق والحريات العامة في الدولة الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة	محمد البشير أحمد موسى	ط١

*** كتب للنشر والتوزيــع :**

الرقم	اســـم الكتـــــاب		الطبعـة
١	مواقف من التاريخ العربي	سليمان مصلح أبو عزب	ط ١
٢	موسوعة العالم في صفحات	سليمان مصلح أبو عزب	ط ١
٣	موسوعة الـ١٠٠٠ سؤال في العلم والمعرفة	سليمان مصلح أبو عزب	ط ٤
٤	قطر والعالم الإسلامي – حقائق ومعلومات بيئية	سليمان مصلح أبو عزب وآخرون	ط ١
٥	بيضـة الديـك	يوسف الصيداوي	ط ١



دار النحوي للنشر والتوزيع

هاتف : ٤٩٢٤٣٣٩ - فاكس : ٤٩٣٤٨٤٢
موقع الانترنت : www.alnahwi.com
البريد الإلكتروني : info@alnahwi.com
ص . ب : ١٨٩١ الرياض : ١١٤٤١
المملكة العربية السعودية

الجمع التصويري - جمع الكمبيوتر - والتصميم والإخراج الفني بالتعاون مع :
وكالة وادي العمران للدعاية والاعلان - الرياض - هاتف ٤٧٣٣٠٥٠ ـ فاكس : ٤٧٣٣٠٦٠ - جوال : ٠٥٠٣٢٠٧٣٥٠